مبادرة

القراءة بالمجان

ليان للنشر والتوزيع

الكتاب: رسائل من نور

الكاتب: كتّاب المعتكف الكتابي

رقم الإيداع: 17637/ 2020

ISBN: 979-977-800-112-9

تصميم الغلاف: إسلام أحمد

دار ليان للنشر والتوزيع

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056

Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، وأي محاولة للطبع أو النشر بأي طريقة دون موافقة كتابية يعرّض صاحبها للمساءلة القانونية

رسائل من نور

قصص

كُتَّاب المعتكف الكتابي

ليان
للنشر
والتوزيع

العجــوز

بقلم/ نشوى عادل عبد الستار

نظـرتُ في المـرآة فرأيتـه واقفًـا هنـاك في البُعـد الآخـر يرمقنـي كـما أرمقـه.. عجـوزًا كان، يقـفُ بقامـةٍ منحنيـة وكتفـين متهدلـين، وقـد غـزت ملامحـه التجاعيـد حتـى لتظُـن أنـه عـاش لألـف عـام!.. حزنٌ عميـق وجـد طريقـه إلى وجهـه فـشرع يحفـر آثـاره عـبر السـنين.. عبـوسٌ وتجهُّـم وَشِـيَا بـما شـهده في حياتـه مـن ألمٍ.. كان عبـدًا!.. أدركـتُ ذلـك منـذ النظـرة الأولى.. ومَـنْ غـيره يمكـن أن تحيـط بـه تلـك الهالـة الهائلـة مـن الحـزن والمعانـاة؟؟.. كان عبـدًا، كنـتُ واثقًـا مـن ذلـك..

وفي عينيـه رأيـتُ دموعًـا غزيـرة تصـارع للفـرار، ولكنـه ظـلَّ يكبحهـا بـإصرارٍ فصـارت حبيسـةً مثلـه.. ولمحـتُ – بـين الحـزن الـذي أطـلَّ واضحًـا مـن عينيـه – بريقًـا غريبًـا.. هـو مزيـج متناقـض مـن الأمـل واليـأس، مـن الرضـا والألم.. أمـل في أن يحطِّـم قيـوده يومًـا ويصـير حـرًا.. مـع اليـأس لمعرفـة الواقـع الأليـم وهـو أنـه مجـرد عبـد آخـر لا يمكنـه الفـرار مـن مصـيره المحتـوم.. ومَـنْ

يحسَبُ نفسه ليحلم بالحرية وقد شرع العالم ينشر شباكه حوله بإحكام؛ فغرق فيها حتى أذنيه؟؟.. مزيجٌ عجيب من الأمل في الغد وخوفٍ منه، وتساؤلٍ حائرٍ عما يخبئه له المجهول.. بل مزيج من الرضا - وقد رأى مَنْ هم أسوأ حالًا - والألم الذي يجتاحه كلما رأى من ينعم بالحرية ويتنفسها..

ورأيتُ في عينيه طفلًا صغيرًا تائهًا أخافته ظلمةُ الطريق فطفق يتلفَّت حوله بجنون علَّهُ يجد أمه فيرتمي في أحضانها - بحثًا عن الدفء والأمان - فتخفِّف عنه همومه وتحتويه بحب وعطف، ثم تحكي له قصة خيالية يعيش في ضوئها بعيدًا عن ظلام الواقع حتى يداعب النعاس جفنيه فينام مطمئنًا.. ولكن ذلك الطفل لم يستطع رؤية أمه حيث خيم الظلام وتكاثف الضباب.. وحدةٌ قاسية وخوف قاتل غمراه حدَّ الاختناق، وحزن راح يتصاعد في أعماقه دون أن يجد حوله مَنْ يبثه إياه.. حائر في بحرٍ من الخوف لا يجد مَنْ يمد له يد العون ويبحر به إلى بر الأمان.. لقد شاخ الصغير في لحظةٍ واحدة عصف فيها الواقع المخيف بقلاع الأحلام الطفلة.. شابت يده الصغيرة الغضة وهي ترتجف متلمِّسة الطريق وحدها في عالمٍ مجهول.. بل شابَ شعر رأسه وإن احتفظ بلونه للناظرين!..

كان عبدًا، ولكنني شعرتُ أن أكثر ما يؤلمه هو شعوره بالوحدة.. حين تلفَّت حوله لم يجد بجواره رفيق دربٍ يشاركه ما يُعتَمَلُ في نفسه من أسى ويُغرِق قلبه من يأس.. لم يجد مَنْ

يشكو إليه الحياة التي اختارته دون غيره لتكشف له عن وجهها القبيح منذ البداية، ولم تتوانَ عن إظهار ظلمةِ قلبٍ لَم ولن يعرف الرحمة يومًا.. استسلم لحقيقة وحدته حتى لم يشعر بالألفة وإن التفَّ الناس من حوله.. استسلم لظُلمته حتى لم يعد يرى نورًا وإن أضاءوا شموع العالم.. يقفُ في ظلامه وحده داعيًا الله أن يمنحه القوة ليواجه مصيره بشجاعةٍ تليق بمَنِ احتمل مرارة الحياة طيلة سنوات بَدَتْ كدهور..

الغريب أنه بدا لي مألوفًا!!.. كنتُ واثقاُ أنني رأيته من قبل، ولكن أين؟؟.. حاولتُ أن أعتصر ذاكرتي.. تأملته وقد تعاظمت حيرتي؛ فشعرتُ به متحيرًا من نظراتي إليه.. ترى أين رأيته؟؟.. أجل أجل، الآن أتذكر.. كانت المرة الأولى التي رأيته فيها منذ عشرة أعوام.. حينها كنتُ في الخامسة عشر من عمري.. في تلك الليلة كنتُ أجلس تائهًا مهمومًا في منزلنا أستقبل عزاء والدي، مبعثرًا بين دموع الحاضرين وصوت بكاء أمي الذي يخيل إليك أنه سيستمر للأبد.. حينها حانت مني التفاتة لتلك المرآة القريبة فرأيته.. لم أستطع إمعان النظر فقد كنتُ غارقًا في أفكاري الخاصة.. ولكنني حين آويت لحجرتي في ساعةٍ متأخرة من تلك الليلة، وقفتُ أمام المرآة فرأيته وقد لحقني إلى هناك!.. كنتُ أشعر بضياعٍ تام، ولِمَ لا وقد كنتُ - حتى الأمس - أهفو بين أحلامي الشابة دون هموم، ولكنني - بين ليلةٍ وضحاها - استيقظتُ لأجد عبء منزلٍ كامل وقد صار فجأة على كاهلي!..

ومَـنْ غـيري يتحمـل مسـؤولية إخـوتي الصغـار وأمـي التـي لم يكـن لهـا مـن معـين في الحيـاة سـوى أبي رحمـه الله؟.. يومهـا نظـرتُ في عينيـه فوجدتـه ضائعًـا مهمومًـا مثـلي، وكأن جبـلًا عظيـمًا حـطَّ عـلى ظهـره فجـأة فصـار مكبـلًا بالظـروف تتلاطمـه أمـواج الحيـاة..

لم أرَه منـذ ذلـك اليـوم، فقـد صرتُ مشـغولًا بهمِّـي الأكـبر يوميًّـا وهـو التفكـير في وسـيلة للفـرار مـن أعبـاء الحيـاة.. لحقـتُ بأكثـر مـن عمـل أثنـاء الدراسـة محـاولًا سـدَّ احتياجـات إخـوتي وأمـي.. وكان لعـدم قـدرتي عـلى التوفيـق بـين العمـل والدراسـة الأثـر في دخـولي كليـة أخـرى غـير التـي حلمـت بهـا.. يومهـا رأيتـه للمـرة الثانيـة وقد تعاظمـت همومـه وزادت تجاعيـده، ولمحـتُ انكسـاره وهـو يحـاول جاهـدًا إخفـاء شرخٍ عميـقٍ داخلـه ظـلَّ واضحًـا في عينيـه حـين اختلى بي.. ولكنـه سرعـان مـا أخفـاه تحـت الرمـاد قبـل أن يلحظـه أحـدٌ غـيري..

كانـت المـرة الثالثـة التـي رأيتـه فيهـا يـوم رسـوبي الأول في الجامعـة.. يومهـا وقـف في البُعـد الآخر للمـرآة مبعثـرًا باكيًـا.. لم أدرِ لِمَ يبكـي كـما لم أفهـم سـبب بكائـي.. هـل حقًّـا كنـتُ أبكـي رسـوبي أم أشـيع بقايـا حلمـي؟؟.. لم أرَه منـذ ذلـك الحـين.. ربـما لأنني توقفتُ عـن النظـر في المـرآة.. عـدتُ ألهـثُ في سـباق مـع الوقـت والظـروف، بـين جامعـةٍ لا أشـتهيها وعمـلٍ لا يرحـم أحـدًا.. عـلى أنني رأيتـه منـذ عامـين بالصدفـة منعكسًـا في مـرآةٍ صغـيرة على مكتـب المديـر.. حينهـا لاحـت لي فرصـة عمـل كانـت لتغـيِّر مصـيري، مـن عائـدٍ

مـادي أفضـل وسـاعات عمـل أقـل تتيـح لي وقتًـا أكـبر للتركيـز في دراسـتي التـي طالـت كثـيرًا.. كنـتُ أجلـسُ هنـاك محـاولًا إقنـاع المديـر بـكل السُـبُل بأننـي أصلـح للعمل وسـط رفضـه القاطـع.. وفي تلـك اللحظـة، وقعـت عينـاي عـلى المـرآة فرأيتـه يقـفُ ذليـلًا محطـمًا وقـد زاد شـيخوخةً حتـى لتظـن أن اللحظـة مـرت عليـه مئـة عـام!.. هالتنـي رؤيـاه عـلى ذلـك الحـال فذابـت كلـماتي.. لم أدرِ بنفسـي وأنـا أغـوص في الحسـرة التـي فاضـت بهـا عينـاه.. ثـم لم ألبـث أن أَفَقْـتُ عـلى صـوت المديـر أمامـي وهـو يـردِّد رفضـه في حسـمٍ لا يخلـو مـن الاسـتمتاع بسُـلطته، فنظـرتُ إليـه في دهشـة كأننـي أراهُ للمـرة الأولى ولا أدري مـا أفعلـه هنـا.. ثـم لم أشـعر بنفسـي إلا وقدمـاي تحملاننـي في صمـتٍ خـارج المـكان وسـط ذهـول الرجـل..

يومهـا شـعرتُ بالغضـب مـن رؤيـة العجـوز عـلى هـذا الحـال، وعزمـتُ عـلى إنهـاء دراسـتي مهـما كلَّـف الأمـر، وقـد كان.. وقفـتُ بعدهـا بعـامٍ وفي يـدي شـهادة التخـرج أخـيرًا لأبـدأ رحلـة البحـث عـن عمـل حقيقـي.. عـادت الأمـواج تتقاذفنـي عامًـا آخـر حتـى حانـت اللحظـة.. اليـوم أقـفُ أخـيرًا - في تلـك السـاعة الباكـرة مـن الصبـاح - أهنـدمُ نفسـي أمـام المـرآة لألحـقُ بيومـي الأول في عمـلٍ يليـق بشـهادتي..

ولكـن، هـا أنـا ذا أنظـر فـأراه!!!.. هـل أنـا سـعيدٌ بـما حققتـه أخـيرًا كـما يفـترض بي أن أكـون؟؟.. لا أدري حقًّـا - فلـم أعـد أتذكـر مـذاق السـعادة - ولكـن مـرأى العجـوز يخـبرني بأننـي لسـتُ

كذلك.. هل كان من المفترض حقًّا أن أشعر بالسعادة الآن؟؟.. ربما إذا كنتُ أحارب كل تلك الأعوام من أجل ما أريده حقًّا وليس من أجل البقاء.. ربما حينها كان شعوري ليصير مختلفًا.. ولكن ها أنا ذا أستعد لأذهب لعملٍ - اقتنصته بشقِّ الأنفُس وإن لم أكن أرغبه - ليُكْمِلَ رسم مسارٍ لحياتي لم أحلم به.. سيواجهني بتحدياتٍ عديدة عليَّ أن أحارب للفوز فيها وإن لم أشتهي الجائزة!.. ولكنني سأضحك حينها متظاهرًا بالسعادة لحظة النصر؛ لأن ذلك ما سينتظره الجميع مني..

عدتُ أحدِّجه بنظراتي فبادلني النظر بعينين ذابلتين.. كان متعبًا هو الآخر.. لم يعرف إن كان بإمكانه أن يُكمل السباق وقد استُنْفِدت كل خليةٍ من جسده.. ولكنه لم يملك ترفَ الاختيار.. سيقفُ متهالكًا على قدميه الباليتين ليعاود المسير..

ارتَجَفَتْ شفتاه حتى ظننتُه سيقول شيئًا ما، ولكن الكلمات لم تلبث أن ماتت لتخرج همهمة بلا معنى.. ترى ماذا أراد أن يقول؟.. ربما لم يعد يرى جدوى للكلمات فآثر الصمت.. شعرتُ نحوه بشفقةٍ مفاجئة؛ فرفعتُ يدي تجاهه في تردُّد غير مدركٍ لما أنتوي فعله، ولكن ربما أخففُ عنه بتربيتةٍ على كتفيه اللذين أتعبهما الدهر بما حملا من هموم.. ولكن يده لم تلبث أن ارتعشت مبتعدة، ولمحتُ في عينيه الكبرياء.. كبرياء بحَّارٍ عجوز ظلَّ صامدًا يحارب أمواج الحياة الثائرة وحده بينما تدفعه إلى لا مكان، دون أن يرى أثرًا ليابسة تستقر عليها قدماه ويحتمي بها

طلبًا للأمـان.. لم يعـد يشـعر بتلـك الرغبـة العارمـة - التـي جاهدهـا طويـلًا - في الارتمـاء بأحضـان أول شـخصٍ يـراه..

وفجـأة قطـع أفـكاري صـوتُ أمـي ينـادي: "هيَّـا يـا بُنَي، سـتتأخر عـلى عملـك ".. انتبهـتُ أن وقتًـا طويـلًا قـد مـضى وأنـا أرمقـه دون أن أشـعر.. فعدَّلـتُ وضـع سـترتي في ارتبـاك، وألقيـتُ نظـرةً سريعـة أخـيرة عـلى المـرآة قبـل أن أرحـل، فرأيتـه هـو الآخـر ينظـر إليَّ بعجلـة قبـل أن يمـضي.. عـاودني شـعوري بالشـفقة تجاهـه، فأحسسـتُ بأنـه قـد بادلنـي نفـس الشـعور!.. ثـم غـادرتُ بسرعـة فلمحتـه - بطـرف عينـي - يغـادر..

***

كورونا يتحدث إلينا

بقلم/ مؤمن راشد

(٢٠ مارس ٢٠٢٠)

بينما أنا جالس في شرفتي أحتسي قهوتي رأيتُها في الأفق.. كرة كالقنبلة.

فزعت ثم تماسكت..

- مَن أنت؟!

- أنا كورونا!

- أنتِ من دوخ العالم!

- هه.. ومن قال إنه عالم عاقل؟!

- هو كذلك.. مادام العلم موجودًا!

- تقصد العلم الذي يُوجدني ويُوجد غيري كسلاح وأداة للقوة؟!

- أنا لا أؤمن بنظرية المؤامرة.

- أنا لا أتحدَّث عن مؤامرة، أتحدث عن نظام عالمي.

- وما دخل العلم والبحث العلمي المحايد بالصراع؟!

- العلم أداة كسائر الأدوات، المهم من يستخدمها ماذا يريد أن يصنع بها؟

- تقصدين أنك ذريعة للسيطرة على العالم؟!

- الأيام دول، والتاريخ لا يقف، والغلبة دومًا للأقوى، أما الاستدامة فبحسب قيم الحضارة.. هذه قوانين الكون.

- لماذا التفلسف؟ هل هربًا من الأرواح التي حصدت؟!

- وماذا عن ملايين ضحايا التدخين والوجبات السريعة وعمليات التجميل؟! يتعرضون للموت سعيًا خلف توقعات وسعادة متوهمة.

- لا تتهربي من سوآتك..

- لا أتهرب، ولكن الكثير قد أضعفوا مناعتهم بأنفسهم، وجئت أنا في المشهد الأخير، ألا تراني رحمة للكثيرين؟!

- وأي رحمة وأنتِ تفرقين الأهل والأحبة؟!

- بل اجتمعوا مرة أخرى في بيوتهم، وعادوا يتحدثون ويشد بعضهم أزر بعض، ستجد الرحمة ملازمة للنقمة لو تأملت.

- منذ متى والفيروسات قد أوتيت الحكمة؟! هل هذه هي الحكمة الصينية؟! هه

- هه لا أنتمي لبلدٍ ما، ولكني جندٌ من جنود الله.

- وهل تضعين نفسك تحت سلطان إرادة الله؟!

- بل أنا من إرادة الله يا فتى!

- ولكن الله لا يقدر الشر!

- لا يوجد في الحياة شَرٌّ مطلق، البلاء دواؤه الصبر، والصبر جزاؤه الجنة، هذا أن آمنت بوجود الإله.

- وهل أنت مؤمنة بوجود الله؟!

- أنا خلق من مخلوقاته التي تسبح بحمده.

- وأنا كذلك أؤمن بالله..

- إذًا فلتصنع صنع المؤمنين.

- وما صنع المؤمنين؟

- لن تستطيع أن تحاكم سريان الكون بعقلك، ولكن دَع عقلك وقلبك يؤمنان بمدبر الأمر، والتزم الدعاء والأخذ بالأسباب.

- ولكن العقل يريد الفكر والحُكم.. والقلب يريد السَّكينة والاطمئنان.

- اشغل عقلك وقلبك بما بين يديك، وتأمل ما حولك بعين القدر، وراجع أمرك؛ فأوقات الوعي لا تتكرر كثيرًا.

- هل سيصلون إلى لقاح يقيني منك؟

- كُلٌّ مُيسَّر لما خلق له، أنا وأمثالي آيات للفرد والأمم، وما تغن الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.. وإلى لقاء ربما قريب!

وفي ثوانٍ ابتعدَت، حاولت أن أبتعد كذلك مسرعًا فاستيقظت وقد وقعت على الأرض..

حلم عِشته بجوارحي وخواطري..

ومن يدري؟!

***

عندما وجدت «أنا»

سلوى يحيى القاضي

أنـا لسـت كل مـا يبـدو، لسـت كل المسـميات والصفـات التـي يتكـون منهـا هـذا الظاهـر أنـا سر مكنـون في أسرار الباطـن، بقعـة ضـوء قابعـة هنـاك بـين غرفـات الأسرار البعيـدة، هـذا مـا تعلمتـه الآن بعـد أن وجدتهـا وقابلتهـا. كنـت أحيـا سنواتٍ طويلـة بـ (أنـا) مزيفـة صنعتهـا الآلام والأحـزان والأثقـال، كنـت أكرههـا حتـى كرهـت لهـا الحيـاة وتمنيـت كثيـرًا أن آخذهـا معـي إلى المـوت فهـي مشـوهة كريهـة كئيبـة لا أمـل لهـا في شيءٍ جميـل بـل لا أمـل لهـا في الأمـل ذاتـه. عشـت هكـذا طويـلًا أجلدهـا وأهيـل عليهـا الـتراب وأحـاول سـحبها للمـوت مِـرارًا وهـي تأبـى لا أدري لمـاذا كانـت متشبثة بهـذه القـوة بالحيـاة، ثـم يومًـا وأنـا أسـير في دربي باكيـة يائسـة مستنفدة كل طاقـاتي وإذ بيدٍ تشـير إليَّ مـن بعيدٍ أكاد أراهـا، يـد بيضاء تظهـر مـن خلـف بوابـة حديديـة تثـير القلـق والتوجـس، الطريـق الـذي أسـير فيـه معتـم وموحـش وضيـق وهـذه اليـد والضـوء الخافـت الـذي يظهـر خلفهـا وجـدت فيهـا ربمـا فرصـةً للخـلاص

من عتمتي أو إن كان هلاكًا هناك فما يزيدني ذلك خسارة، تقدمت نحوها ببطءٍ وهي تشير إليَّ أن تعالي تقدمي، حتى بلغت البوابة فاختفت لكن الضوء موجود ما زلت لا أعرف مصدره يكشف عن درجات سلم تتجه لأسفل.. سمعت صوتًا يهمس لي بدفء أن تقدمي لا تخافي إنها هناك تنتظرك، قلت: مَن هي؟ لم أجد إجابة فقط صمت، لا أدري لماذا ملأني فضول أن أكمل وأنزل مع درجات السلم، قلبي يخفق، يداي تتعرقان قلقًا، حتى بلغت نهاية الدرجات.. وإذ بي أمام بوابة أخرى حديدية انفتحت من الداخل كأنها علمت بمقدمي.. وإذ باليد البيضاء التي رأيتها في البداية تشير إليَّ مرة أخرى لكي أدخل خلف البوابة، عبرتها ووجدت نفسي داخل غرفة صغيرة خالية من أي أثاثٍ أو كماليات، فقط جدران إسمنتية لكنها دافئة مطمئنة لسببٍ ما، مصباح صغير معلق لكن نوره أبيض يملأها بكثافة وهناك في آخرها نافذة صغيرة في أعلى الجدار مغلقة بأسياخ حديدية تطل على رقعة من السماء زرقاء صافية تمامًا، وأسفل النافذة تجلس فتاة في سكون يشرق وجهها بابتسامة بريئة رقيقة تتطلع إلى السماء وكأنها تتبادل معها حديثًا صامتًا أو تنتظر شيئًا ما، انتبهت إليَّ فوجهت نظرها لي، أصابتني نظرتها برعدة باردة في جسدي ملامحها كانت قريبة مني بعض الشيء، ابتسمت أكثر لي وقالت: أهلًا بكِ كنت أنتظرك منذ سنوات، لكن لكل لقاء كتاب.

قلت: من أنتِ؟ قالت: ألم تتعرفي عليَّ؟ قلت: لا، لم يسبق لي أن التقيتك أو رأيتك، قالت: التقينا فقط منذ زمنٍ بعيدٍ عندما كنتِ طفلة صغيرة لم تتجاوزي الست سنوات، ثم افترقنا شيئًا فشيئًا حتى انقطع حبل وصالنا، قلت مرة أخرى: إذًا مَن أنتِ؟ قالت: أنا التي أعرف عنكِ كل شيء حتى الأشياء التي نسيتها واندثرت مع السنين هي معي هنا، قلت بنفاد صبرٍ: أنا لم أعد أفهم شيئًا، هل هذا حلم أم سحر أم دجل ونصب؟ قالت في سكون وما زالت ابتسامتها على وجهها الهادئ: أرجوكِ أن تهدئي واصبري فأنتِ ما جئتِ إلى هنا إلا لأن اللقاء قد حان، وآن لطريقك أن يتغير تعالي معي وانظري، قلت: من أين جاءت هذه الصناديق الصغيرة؟ لم تكن هنا حين دخلت؟ ابتسمت في صمتٍ وبدأت تكشف لي عن محتواها، كل صندوق تفتحه أجد فيه ذكرى جميلة تتحرك أمامي مثل شريط السينما ذكرى قديمة نسيتها أو أهملتها وسط أكوام الأحزان، قلت: كيف لكِ بهذه اللقطات والذكريات التي تخصني؟ قالت: لأنني خزينة أسرارك ومنبع صفاتك التي لا تعرفين عنها شيئًا، أنا أنت، قلت: ماذا يعني أنك أنت هي أنا؟؟ قالت: أنت لست هذه الخدوش والرتوش والجروح والندوب والصفات الظاهرة لكِ كل هذا أصاب قشرتك الخارجية، أما أصلك وحقيقتك ما زالا بعيدين عن المساس، محفوظان في قرار مكين ينتظرانك أن تعيديهما إلى السطح لتعود لكِ الحياة وترى عيناكِ النور، قلت: لا، ليس هذا

حقيقيًّا فأنا هو ما أنا عليه الآن لا يمكن أن يكون لي شخصية أخرى أجمل وأفضل، قالت: بل هذا حق وحاصل في الوجود لا يمكن إنكاره، يمكن إهماله أو تناسيه لكنه سيظل هناك إلى أجل مكتوب، قلت: ولماذا لم تأتِ أنتِ إليَّ من قبل وتنقذينني مما أنا فيه؟ قالت: كنت ضعيفة لا أقدِرْ على الخروج وحدي بدون مساعدتك، تراكمت حولي الأنقاض زادت أمامي السدود التي صنعت هذا القبو عامًا بعد عام فانزويت بعيدًا حتى تستجيبي لندائي الخافت وتمدي يدك لي وتنقذيني لتنقذي ذاتك، قلت: لا أستطيع فعل شيء إن كنت حقًّا أنا الطاهرة منبع النور؛ فأنا التي بحاجة إليكِ وليس بيدي شيء لأقدِّمه لكِ، قالت: بل هي يدك ما أريد فقط يدك ضعيها بيدي واختاري القرار والرغبة في أن أكون معك، قلت: أخاف أن يكون كل هذا خيالًا ووهمًا، قالت: اقطعي الشك بالفعل، قلت: لو أن ما تقولين حقًّا فأنا أشد ما أريده، هذه يدي إلى يدك. أمسكت بيدي شعرت ببرودتها مليئة بالحياة والأمان كأنها حضن أمي، فوجئت بها تبدأ العودة بي من حيث أتيت فأوقفتها وقلت لها: لماذا نعود مرة أخرى؟ هناك مظلم وموحش ومؤلم سأبقى هنا معك، تبسمت وقالت: أنا خلقت لأكون معك لا لأن تكوني معي، قلت: لا أفهم ما الفرق؟ قالت: ستدركين لاحقًا حتمًا. خرجنا من الغرفة وإذ بها تتحول تدريجيًّا إلى حديقة تملأها الشمس لا جدران ولا حديد، زهور وأشجار وثمار وطير أخضر يغرد، نظرت إليها في ذهول

فضحكت بصوت عالٍ وقالت: كل شيء له تفسير سيصلك حتمًا في حينه، تابعنا السير لأعلى وكلما خطونا خطوة يتبدل المكان ويتحول ويضيء وتختفي الجدران ويزول الحديد حتى خرجنا إلى البوابة الأولى وعدت إلى الطريق حيث كنت، لكنه لم يكن ذات الطريق بل كان شيئًا آخر، إنه طريق متسع، سماؤه صافية، على جانبيه شجيرات صغيرة، شمسه ساطعة، قلت: هل مكثنا طويلًا إلى هذا الحد بالأسفل حتى طلع النهار؟ قالت: بل مكثتِ أنتِ طويلًا حتى سمحتِ للحياة أن تعود إليكِ، كنتِ في ليلٍ طويلٍ لا تبدو له نهاية، والآن حان وقت شمسك أن تشرق، قلت: أنا أخجل من نفسي وأنا أسير بجوارك بهذا الشكل، فأنتِ جميلة، نظيفة، أنيقة، أما أنا فيعلوني تراب وعرق وملابس غير منسقة وشعر أشعث وبدن متهاوٍ، قالت: نسيتِ سريعًا ما أخبرتكِ به؟ أنا أنت وأنت لست ما أنت عليه كل هذا طارئ، ليس الأصل فيكِ، كل هذا ظاهر القشرة ليس الحقيقة، كوني حقيقتك وهي ستتولى جمال الظاهر، قلت لها: والآن ماذا بعد؟ قالت: لا شيء سوى السير، نسير معًا لا تفلتي يدي قدر استطاعتك وإذا تهت عني ناديني سريعًا من قريب أعود إليكِ، قلت: ألن تلقنيني دروسًا؟ قالت: ستتعلمينها أنتِ وحدك أثناء السير ستكتشفينها بروحك، ابتسمت لها ابتسامة مَن لا يملك حيلة أخرى وسرنا معًا في صمت، كلما خطونا عدة خطوات تتفتح زهرة أو تنبت ثمرة تأمرني أن آكل الثمرة، وكل ثمرة آكلها شيئًا بي يتبدل أحيانًا

ظاهـرًا وأحيانًـا باطنًـا، لمحـت بقعـة نـور كبـيرة في الأفـق فيـما يبـدو نهايـة الطريـق التـي لا أعلـم متـى أصـل إليهـا، أخذتنـي وسرحـت في جمالهـا ثـم انتبهـت فـإذا بهـا ليسـت بجـواري ويدهـا ليسـت بيـدي، اضطربـت وخفـت تلفـتُّ يمينًـا يسـارًا، بالأعـلى بالخلـف، لم ألمحهـا ثـم سـمعت صوتهـا بداخـلي تقـول: اطمئنـي واهدئـي لا تخـافي أنـا هنـا معـك، قُلـت: أيـن أنـتِ؟ قالـت: أنـا معـك، قلـتُ: لا أراكِ، قالـت: انظـري إلى صفحـة المـاء بجـوارك، نظـرت فـإذا بصورتهـا أمامـي بـكل تفاصيلهـا، ثـم سـمعت صوتًـا بغـير شـفاه تتحـرك قالـت: أرأيـتِ؟ أصبحنـا واحـدًا، قلـت: هـذه صورتـك لكنهـا شـفاهي تتحـرك بالـكلام ! قالـت: أنـا أنـتِ، وأنـتِ الآن أنـا لا فـرقَ بيننـا، قلـت: ومـاذا الآن؟ قالـت: أكمـلي بنـا السـير واسـتقبلي هدايـا الطريـق لنـا حتـى نصـل معًـا إلى هنـاك. ابتسـمت لهـا أو ابتسـمنا لبعضنـا وعدنـا نكمـل السـير.

***

انتحار يوتيوبر

بقلم/ علا الفولي

رن جرس الهاتف النقال وظهرت صورة سالي ابنة العميد سامي فابتسم

فقالت وهي تصرخ وتبكي:

- بودي انتحر يا بابا أنقذه بسرعة

- بودي واحد من الجيران ولا من أصحابك في المدرسة

- يا بابا بودي أشهر يوتيوبر في مصر، من فضلك يا بابا انقذه بسرعة حرام يموت

- أنقذه لكن ضروري أعرف عنوان بيته و...

- يا بابا موجود على يوتيوب، بسرعة يابابا بسرعة من فضلك..

طَرقٌ على الباب..

ادخل

- بسرعة يا بابا - وتبكي وتصرخ- بسرعة..

- سالي أنا عندي شغل.

- إنقاذ حياته شغل، من فضلك يا بابا بسرعة بسرعة.

- طيب يا حبيبتي حالًا

يدخل الملازم يوسف والملازم شادي.

- يا أفندم أكتر من خمسين بلاغ عن يوتيوبر يشنق نفسه مباشر على قناته

- خمسين بلاغ عن موظف في يوتيوب؟

- لا يا أفندم صانع محتوى.

- لو تعرف توصَّله انقذه يا يوسف واتصل بالإسعاف.

- تمام يا أفندم.

خرج يوسف فسأل العقيد الملازم شادي عن معنى «صانع محتوى».

- شاب يصور حياته في البيت والنادي والمطاعم ثم يضع الفيديو على يوتيوب ويكسب بالدولار..

- يكسب من تصوير حياته، هو ممثل مشهور؟

- لا شاب عادي يكسب من المشاهدات والإعلانات.

- دولارات.

- دولارات كثير جدًّا.

- طيب اكتب لي تقرير سريع عنه.

- تمام يا أفندم.

عبد الرحمن الفقي اسم الشهرة «بودي» عشرين عام، طالب بالفرقة الأولى بكلية التجارة، له قناة على يوتيوب من أربع سنوات، يعرض عليها حياته اليومية وهو في المدرسة والجامعة والملاعب والمقاهي، التقى بأشرقت في أحد الدروس من ثلاث سنوات، وبدأت تظهر معه فزاد عدد المتابعين جدًّا، ثم تقدم لخطبتها، رفض والدها قبول الخطبة إلا بعد دخول الجامعة، لكن تدخل الأهل والجيران فوافق على الخطبة والزواج بعد الثانوية العامة بشرط التعهد بإتمام تعليمها، دخله الشهري من اليوتيوب آلاف الدولارات يقسمها ربع لأهله وربع لأهلها والنصف لهما، تم الزواج من سنة تقريبًا، كسب من الزواج مبلغًا كبيرًا لم يعلن عنه، قدَّم لهما صاحب شركة مقاولات شقة فاخرة في المنتجع الذي يملكه كهدية زفاف، وتم فرشها بالكامل من محل أثاث معروف، وكان حفل الزفاف أسطوريًّا في فندق شهير، تُقدَّر ثروته بربع مليون دولار، له ثلاثين فيديو تخطَّى مليون مشاهدة منها: «بكره القلقاس يا تيتا» و «طبيخ أمي وحماتي» و «مسلسلات رمضان» و «نط الحبل» و «أشرقت حامل يا بشر» و «الامتحان وسنينه» وفرح بودي وأشرقت تخطى خمسة مليون مشاهدة، أما سبب الانتحار فهو رسوب بودي ونجاح أشرقت، حاول إقناعها بعدم دخول اختبار العام القادم رفضت، وذهبت غاضبة إلى بيت أهلها، فانتحر.

نظر العقيد للتقرير وقال في نفسه: شاب عمره عشرين سنة، ثروته ربع مليون دولار، وأنا عمري ضاع في مطاردة المجرمين وقُطَّاع الطرق والإرهابيين، وكل يوم ممكن أفقد حياتي والآخر بودي فاتح ثلاث بيوت والجرائد تسأل عن سبب ارتفاع نسب الجرائم.

- التقرير ضايق سيادتك؟

- بودي من خمس سنين بيصرف على أبوه..

- يا أفندم شيء مشرف إن شاب يفتح بيت ويساعد أهله.

مع إحترامى لرأى سيادك، لكن الفلاحين أمثالى لهم رأي مختلف في عمل الأطفال، لكن وأنا عمرى تسع سنين، بدأت أجمع المحصول، وقبل ما تنتهي شهور الصيف كنت أقوم بكل شغل الأرض مع أطفال الفلاحين وأخد نفس أجرهم رغم إنها أرض جدي.

ابتسم العقيد وقال له:

- إنت قلت شغل الأرض تزرع وتروي وتتعب وتاخد أجر عن عملك، المهزلة إن جهدك وجهد الفلاحين والعمال في نظر الشباب ساذجة.

ساذجة؟

أكيد لما تعب شهور يكسبه بودي من فيديو ربع ساعة في مطعم ولا قهوة، ممكن القدوة لهم يكون إنت أو أي شاب

مكافح ولا بودي، تخيل بدل ما يكون هدف أو حلم الشباب يفيد الناس ويجتهد ولا يكون طبيب عالمي أو مهندس أو بطل رياضية يتعب في التمرين كل يوم، لا الهدف الجديد جمع مشاهدات وكسب ملايين الدولارات من لا شيء، على فكرة أنا فلاح، وكنت بشتغل في أرضنا ومحتفظ براديو صغير كان أول شيء أشتريه من تعبي.

كلام سيادتك صحيح لكنه كوَّن ثروة من مصدر شرعي

بودي لو أساء التصرف مين يوجهه أو يؤدبه

أبوه..

الأب لازم يفتح بيته ليؤدب ويوجه

الفقر

لا الطمع، الفقير يعيش من عرق جبينه «تحسبهم أغنياء من التعفف»

الحقيقة يا أفندم فيديوهات بودي محترمة

إنت من متابعين بودي؟

لا يا أفندم، ابن أختي.

ابن أختك زميل سالي في الفصل؟

هو يا أفندم، سيادتك طلبت تقرير سريع.

مصدرك طفل في الابتدائية، وتثق في حكمه على الأمور أو إنه قال لك الحقيقة كاملة، ثم إنت كاتب في التقرير إنه يقسم

دخلـه بينـه وبـين والـده وحمـاه مـن وجهـة نظـرك إعـلان الاتفاقـات الشـخصية عـلى المـلأ، لا يعتـبر تجـاوز؟

تجاوز يا أفندم لكنه تجاوز غير مجرَّم أو مُحرَّم.

تـصرُّف غـير مقبـول، ولمـا يكـون عنـوان فيديـو «بكـره القلقـاس يـا تيتـا»

كلام خـارج عـن حـدود الأدب، أنـا مـرة قلـت «لا أحـب الكوسـة" قبـل مـا أكمـل الجملـة نـزل عليـا كـف والـدي، وقـال لي تكـره نعمـة ربنـا وفضلـه، ثـم والدتـك تتعـب وتطبـخ وبـدل مـا تسـمع منـك كلمـة شـكر، تسـمع قلـة أدب ووقاحـة، إنـت ممنـوع مـن الأكل يومـين لتجـوع وتقـدر نعمـة ربنـا، وبعـد تدخـل جـدتي وافـق إني آكل بـشرط آكل كوسـة الثـلاث وجبـات لمـدة يومـين، أبـو بـودي ممكـن يضربـه ولا يقـول لـه امسـح الفيديـو أكرامًـا لخاطـر جدتـك.

يـا أفنـدم الوالـد رحمـة الله عليـه كان يـربي رجـل يتحمل المسـئولية ويقـدر نعمـة الله لكـن الحيـاة تغير والآبـاء...

دق جرس الهاتف ومرة أخرى ظهرت صورة سالي..

- مات يا بابا مات.. انتهى.. وتبكي بكاءً حارًّا..

- البقاء لله يا بنتي كلنا لها...

- كان لازم تنقـذه يـا بابـا.. سـلام يـا بابـا أشرقـت وصلـت سـلام سلام..

- مع السلامة

يغلق الهاتف ويقول لشادي بنتي مقهورة على الولد بودي..

سالي يا أفندم طفلة ونفسيتها تعبت، موقف صعب شاب ينتحر أمام عينيها

شيء مؤسف..

دق الهاتف وظهرت صورة سالي

- يوسف ضايق أشرقت يا بابا وأحرجها.

- أولًا اسمه الملازم يوسف وممكن تجاوزًا أقبل كلمة «أبيه».. ثانيًا الملازم يوسف من أكفأ ضباط الداخلية ومرفوض تمامًا تدخلك في شغله.

يا بابا أشرقت منهارة وحامل.

لو سمعت منك كلامك بنفس الأسلوب أنا حالًا هلغي اشتراك النت.

لا يا بابا من فضلك أنا آسفة.

من حُسن حظك إن عندي اجتماع مهم.. مع السلامة.

إلتفت العقيد للملازم شادي بغضب وقال بحدة:

- عظيم جدًّا نفتح قناة على اليوتيوب نسميها «الداخلية مباشر» يوسف بيه فاكر نفسه نجم سينما، كلّمه يفصل النت.

- أكيد منتظر إذن النيابة يا أفندم.

- الوضع خطير يا شادي، أطفال قصر يتابعوا انتحار شاب ولهم رأي في التحقيق، محتمل يتابعوا جرائم قبل ما نلاحظ أي شيء.

- الآباء مسؤولين يتابعوا أولادهم.

الآباء.. انزل الشوارع والنوادي والمصايف ولاحظ تصرفات الآباء وأسلوب كلامهم، وأمهات لرضع قاعدين يدخنوا الشيشة على الرصيف وأولادهم نايمين وسط الدخان، تخيل بودي لو عاش ممكن يربي مهندس أو ضابط أو مخترع أو شاب يعمل مشروع مفيد وهو شخص ضعيف

- فعلًا يا أفندم انتحر بسبب تافة رغم كل ثروته.

- الحياة من وجهة نظره لعبة فانهار بسبب عقبة بسيطة، الكارثة إن بودي وأمثاله بعد عشرين سنة هيحكموا العالم..

- يحكموا العالم

- بالتأكيد أصحاب الثروة والقدرة على التأثير، مرحبًا بالحياة في عالم سمسم.

***

غامض

بقلم/ نفيسة الميرغنى

طول ما أنا معك ما تخافيش» استيقظت مرة أخرى بنفس الحلم نفس الصوت صوته لكَم أحبَّت ذلك الصوت، كم تشتاق إليه.. تجد في نبراته قوةً وحنانًا افتقدتهما مع غياب الأب.. ولكنها شعرت أنها استعادتهما في ظهوره.. نعم كان غامضًا هادئًا.. لكنها شعرت معه بالدفء حتى في بُعده لَكَم أحبته.. لم تشعر يومًا بمثل تلك المشاعر سوى معه، مزيج من الحنين والحب والصداقة.. أرادت أن تستكمل حياتها معه.. ما زلت أتذكر أول مرة التقيت عيونهما كانت في جلسة عمل وكان هو الخبير الجديد.. لم تكترث به عندما رأته أول مرة؛ فهي معروف عنها الجدية، إلى أن جاءت لحظة معينة التقت العينان، اهتز كل شيء بداخلها.

كما لو أن بركانًا من الأسئلة انفجر بداخلها من هذا؟ من أين ظهر؟ هل التقيته من قبل؟ للحظات لم تستطع نقل عينيها من عليه، إلى أن انتبهت أنه أدرك نظرتها احمرَّ وجهها خجلًا

وابتسمت وهي تتحدث لنفسها: "إيه يا بنتي إنتي اتجننتي إنتي في اجتماع لمي نفسك»

بعد انتهاء الاجتماع طلب منها الخروج لاحتساء القهوة؛ فهو غريب عن المدينة والاجتماع سوف يستمر ليومٍ آخر، تعجبت لموافقتها بسهولة على الرغم من أنها لم تعتد الخروج مع الغرباء وهي لم تلتقِ الرجل سوى اليوم.

وكان هذا اليوم هو بداية جديدة لها تقربت منه أكثر فأكثر تعرف عليها وعلى أسرتها أحبت صحبته، شاركها هواياتها، شاركته يومها.. كان بالنسبة لها الحلم الجميل، والأجمل أنه يتحقق بحياتها بعدما عانت كثيرًا لأعوام من زيجة فاشلة وزوج أناني.. نعم طُلِّقَت وحزنت وبكت.. قامت ولملمت نفسها بعد كل ذلك الألم وبدأت مرة أخرى عملها وعادت لأسرتها، ولكنها لم تعد سلمى كما هي..

أغلقت على قلبها بمئات الأقفال، طلاق بعد خيانة..

لم تتوقع منه كل تلك الكراهية، ما زالت تذكر كلماته قبل الطلاق: "أنتِ صغيرة جدًّا لو طلقتك دلوقتي الناس مش هتسيبك في حالك.. خليكي معي وتقبلي حياتك، أنا بحب الستات وإيه يعني ما كل الرجالة كده" لم يمض أسبوع على تلك الكلمات، وكانت مطلقة ذلك اللقب اللعين والذي من خلاله يراها العالم بمنظوره الخاص وأفكاره من قبل أن يعرفها ما زالت تذكر الصديقات اللواتي اختفين مع أزواجهن من

بعـد طلاقهـا، كلٌّ منهـن خافـت عـلى زوجهـا؛ فحـين أنهـا هـي سـلمى المتزوجـة والفتـاة والمطلَّقَـة لَكَـمْ بكـت عـلى فـراق أحبـة، فقـط لإسـاءة الظـن بهـا لأنهـا مُطلَّقـة.. كل تلـك الأحـزان تحولـت في وجـود حاتـم.. ذلـك الخبـير الـذي ظهـر فجـأة في عملهـا منـذ عـدة سـنوات سـعدت بـه، مـلأ حياتهـا حُبًّـا لأول مـرة بعـد سـنوات مـن الطـلاق تفتـح أقفـال قلبهـا.. نعـم أحبتـه لم تسـتطع التصريـح بذلـك؛ فهـي تعتمـد الأسـلوب القديـم الرجـل يتقـدم أولًا.. مـرت الأيـام وهـي في انتظـار أن يتقـدم لهـا، ألمحـت عـدة مـرات بتقـدُّم عرسـان لكنـه كان يتجاهـل تلـك المعلومـات.. مـا زالـت آخـر مـرة رأتـه فيهـا مـن ٤ سـنوات تحديـدًا جـاء ليصطحبهـا لـشرب القهـوة، كان حديثـه مختـصرًا جـدًّا وشيء مـن الغمـوض بعينيـه، كان متوتـرًا لم يشـاركها الضحـك كـما اعتـادا في هـذا اليـوم، كان عُـرس أعـز صديقاتهـا، اختـار معهـا فسـتانها واعتـذر عـن القـدوم معهـا، لكنـه تواصـل معهـا طـوال الوقـت عـلى المحمـول إلى نهايـة اليـوم، اطمـأن انهـا وصلـت منزلهـا ونامـت.. مـا زالـت تذكـر كلماتـه "طـول مـا أنـا معـك مـا تخافيـش» لم تـرَه بعدهـا، أغلـق تليفونـه، تـرك المدينـة، لم تجـده في مـكان إقامتـه.. حاولـت التواصـل معـه عـبر وسـائل التواصـل الاجتماعـي، ولكـن وجـدت أنهـا محظـورة.. اختفـى حاتـم ومعـه سـعادتها مضـت شـهور وشـهور حزينـة.. ترفـض مَـن يتقدمـون لخطبتهـا.. والدتهـا تتشـاجر معهـا دائـمًا بأنـه لـن يـأتي أبـدًا.

انشـغلت أكثـر بعملهـا وهواياتهـا، تعرفـت عـلى الكثيريـن،

سـافرت كثـيرًا واليـوم كالعـادة اسـتيقظت عـلى صوتـه بحلـم أطلقت عليـه الرجـل الغامـض لم تعـد تفكـر فيـه كـما السـابق، أصبـح مجـرد قصـة عابـرة، ولكنهـا فقـط تريـد أن تفهـم.. لمـاذا؟

فبعـد مـرور شـهورٍ مـن ابتعـاده وصلهـا خـبر زواجـه.. نعـم حزنـت، ولكـن بالنهايـة كانـت الفكـرة المسـيطرة عليهـا خيانـة..

إن كان لا يحبهـا لمَ تقـرَّب كل هـذا القـرب إليهـا، وإن كانـا فقـط صديقـين لمَ لَمَ يخبرهـا أن هنـاك أخـرى.

انتبهـت أن السـاعة تحولـت إلى ٩ مـن صبـاح الأحـد ١٤ نوفمـبر ٢٠١٨، هـذا تاريـخ مهـم جـدًّا فهـو موعـد حضـور الخبـير الأجنـب؛ي فالشركـة تمـر بأزمـة في الإدارة وكانـت منشـغلة بتنظيـم هـذا الاجتـماع واجتماعـات أخـرى لم تلـقَ تركيـزًا بأسـماء الحضـور؛ فهـي مـن اجتـماع لآخـر.. توجهـت لعمـل روتينهـا الصباحـي مـن اهتـمام بتماريـن بسـيطة للبـشرة وارتـدت ملابـس عمليـه، فاليـوم سـيكون طويـلًا.. ودعـت والدتهـا وقطهـا الجميـل "تشـيكو» هديـة صديقتهـا المقربـة مـروة، فكـرت وهـي تغلـق البـاب مـن خلفهـا كـم هـي محظوظـة بـكل مَـن يحبهـا ويدعمهـا بحياتهـا.. ركبـت سـيارتها ذات اللـون الأزرق كـما لـو أنهـا تركـب موجـة مـن موجـات البحـر، أشـعلت قنـاة الموسـيقى بالراديـو وجـاءت إحـدى الأغنيـات القديمـة

«you just too good to be true »

كانت تدندن معها..

«تاخدي ورد يا قمر الله يكرمك نفعني» هكذا خاطبها طفلٌ يبيع وردًا بالإشارة، لم تستطع يومًا أن ترفض طلبًا لطفل فطالما رغبت أن تكون أمًا؛ فالواقع كانت لتصير أمًا إلا أنها فقدته في الشهور الأخيرة، كلما مرت بتلك الذكرى تحزن قليلًا، ولكنها تحمد الله أنه لا يوجد روابط بينها وبين زوجها السابق. أخذت الورد.. وصلت متأخرة على غير العادة لمكتبها، وكان الخبير بانتظارها بقاعة الاجتماعات.

«عايزة القهوة بتاعتي وخمس دقايق وهكون بالmeeting room اتاكدي إن رؤساء الأقسام كلهم متواجدين، وبعد الاجتماع عايزة تواصل مع محاميَّ الشخصي.. يلا بسرعة. «

هكذا خاطبت سكرتيرتها، وتوجهت لمكتبها.. أحضرت ملفاتها وأعادت تأنُّقها وفِي بالها يوم آخر طويل.

دخلت قاعة الاجتماعات متعجلة، صُدمَت لوهلة، لم تستطع الكلام، إنه هو هو.. حاتم.. بعد أربع سنوات لم تعرف ماذا تقول، لم تهتم بأسماء الحضور فلقد مضت أعوام وأعوام.. كعادته لم تظهر عليه أي علامة من علامات الاندهاش؛ فهو يعلم أنه سوف يلتقيها.. تمالكت نفسها فهي المدير التنفيذي، وكان عليها الثبات. أكملت الاجتماع والسؤال يعصف برأسها بقوة: لماذا.. لماذا خنت؟ ولماذا أتيت مرة أخرى؟

بعد عدة ساعات انتهى الاجتماع وخرجت مسرعة لمكتبها، أرادت تحاشي الحديث معه. بعد ساعة سألت سكرتيرتها عنه

فأجابتها أنه ذهب وسيأتي غدًا في موعد الاجتماع. اطمأنت واستنشقت الهواء كأنها كانت تختنق بوجوده. قررت الخروج مبكرًا عن موعدها المعتاد.. وفِي طريق عودتها لمنزلها قررت الذهاب لمكان قديم اعتادت في زمن مضى الذهاب إليه.. مكان بقرب النيل. ركنت سيارتها ومكثت بمكانها تتأمل في يومها وفيه.. لَكَمْ افتقدته ولكنه الخائن الغامض.. لم يحترمني.. لم يقدرني.. لم يهتم بإخباري أو حتى رفضي هو فقط اختفى، كانت منغمسة في أفكارها تحاول أن تطبق إحدى طُرُق التنفس والتي تعلَّمَتْها خلال رحلة تعاملها مع الألم..

«أحبك» صوت تعرفه جيدًا جاء من ناحية نافذة سيارتها..

«أحبك» سمعتها مرة أخرى إذًا هذا ليس حلمًا.. إنه هو.

لم تقل شيئًا، فقط فتحت باب السيارة وفِي ثوانٍ كانت بأحضانه، لكَمْ اشتقت إليه لم تعرف ماذا تقول إليه هذا الغامض، إنها تحبه، لم تستطع الارتباط بأحدٍ من بَعْده.

«بحبك" أخيرًا قالتها وعادت إليها مرة أخرى ذكرى اختفائه.

«أيوه تقدر تقولي كنت فين إزاي عملت كده.. إزاي قدرت تعمل كده فيا «

«إزاي عايزني أصدقك وأثق فيك تاني.. أيوه بحبك لكن استحالة أفضل معك.. أنا آسفة لنفسي قبل منك..

آسـفة إني حبيتـك.. حتـى لـو قلـت أي حاجـة مـش هتغـير الوضـع.. هتغـير سـنين بكائي ولا حـسرة قلبـي.. ولا تدويـر عليـك أنـا آسـفة مـش هقـول تـاني بحبـك هقـول بـس أحببتـك زمـان.. دلوقتـي مـش عايـزة أسـمعك أصـلًا.. سـلام. «

«سلمى.. أنا آسف.. سلمى بحبك..»

تلـك آخـر كلـمات سـمعتها منـه قبيـل إغلاقهـا نهائيًّـا لتلـك القصـة المؤلمـة...

الغامـض هكـذا سـتظل تذكـره، تركتـه كـما تركهـا منـذ أعـوام؛ وحيـدًا.. هكـذا تتذكـر هيئتـه.

***

نيرة

بقلم/ نفيسة الميرغنى

مامـي حطـولي روج pink أنـا خـلاص هطلـع عـلى المـسرح بسرعـة يـا مامـي» قالتهـا لي نـيرة وهـي متعجلـة.. أخرجـت أحمـر الشـفاه الـوردي مـن حقيبتـي ومررتـه بخفـة عـلى شـفتيها وفِي أقـل مـن ثانيـة اختفـت مـن أمامـي، لم أسـمع سـوى ضحكاتهـا وصـوت مدربتهـا "يـلا يـا نـيرة هنفتـح السـتار.«

اليـوم ١٦ ابريـل ٢٠١٠ عيـد ميـلاد ابنتـي الكبـيرة نـيرة «التـي تنـير حيـاتي» اليـوم حفلتهـا في المدرسـة.

اليـوم تكمـل عامهـا العـاشر.. مـا أجملهـا! قمحيـة اللـون شـعرها أسـود طويـل ليسـت فقـط ابنـة إنـما رفيقـة رحلـة.. كـم أحببتهـا منـذ وقعـت عينـي عليهـا أول مـرة في غرفـة الـولادة.. مـا أجملهـا كـم أحببـت عينيهـا عسـليتين الواسـعتين. جـاءت إلى العـالم ممتلئـة بالحـب وغمرتنـي أنـا حبًّـا..

كـم أنـا محظوظـة لوجودهـا بحيـاتي.. مـا زلـت أذكـر كل يـوم مـرَّ مـن حياتنـا سـويًّا..

كل يـوم أراهـا تكـبر وتنضـج وتختلـف، صـارت مـع وقـت صديقـة نتبـادل الأفـكار ونتشـارك الهوايـات.

نعـم طلقـت مـن والدهـا مـن أعـوامٍ مضـت ولَم يعـد متواجـدًا بحياتنـا كـما لـو أنـه تـوفى، لكننـا اكتفينـا بصحبـة بعضنـا، صرنـا أكثـر ترابطًـا، وأكثـر بهجـة ممـا كانـت الحيـاة بوجـوده.

اليـوم أراهـا عـلى خشـبة المـسرح ترقـص في حفلتهـا الأولى اختـارت أن تتعلـم الباليـة منـذ أن كانـت في السادسـة.

اليوم تمر أربع سنوات على بداية تعلُّمها الباليه اليوم.

هي الراقصة الرئيسية في حفلة المدرسة..

أمضينـا الأسـابيع الماضيـة في بروفـات وتحضـيرات والملابـس المختـارة. اليـوم أنـا في غايـة السـعادة وأنـا أراقـب فراشـتي الصغـيرة تحلـق عـلى خشـبة المـسرح.. كـم هـي جميلـة التفاصيـل وبريئـة.. محظوظـة أنـا بتلـك الابنـة الطيبـة.

أرى تركيزهـا وحركتهـا التـي تنـم عـن ثقـة بالنفس. كانـت تقـوم بـدور سـندريلا، انتهـى العـرض وانهمـر التصفيـق كـم أنـا فخـورة بهـا حبيبـة قلبـي نـيرة التـي تنـير حيـاتي. خرجنـا مـن مـسرح في طريقنـا للاحتفـال ببيتنـا الهـادئ.

أعلـم أنهـا تتعجـب مـن أن والدهـا لا يسـأل عنهـا نهائيًّـا.. في الحقيقـة لم أجـد سـببًا واضحًـا لذلـك.. وبالنهايـة تواصلـت مـع معالـج نفـسي وأوضـح لي حقيقـة الأمـر عـن أعـوام مضـت مـع

زوجي السابق كان غريبًا، دائمًا منطوٍ على نفسه يميل إلى الكآبة، لم يكن يخرج، لم يكن اجتماعيًّا في بداية زواجنا كنت في غاية السعادة؛ فقد حظيت بالرجل الأكثر علمًا وخبرة، فحسب ما عرفته عنه أنه اعتاد السفر للخارج وأنه عمل في العديد من المشروعات، وأنه كان قارئًا جيدًا دائمًا، ما كان يلفت انتباهي الرجل الذكي. سعدت جدًّا كما لو أني كسبت اليانصيب، ولكن الجائزة الحقيقية هي نيرة، مع قدومها اختفى الصمت المميت فيما بيني وبين أبيها.. كان المنزل باردًا حقًّا قبل نيرة. حاولت التقرب منه، ولكنه وضع العديد من الجدران الصلبة والحواجز. كان بعيدًا وكنت بعيدة.. فقط نيرة مَن جمعتنا ولَم نستطع استكمال الحياة بعدها فلم يكن يومًا متواجدًا، ولكن كل ابن أو ابنة يحتاج إلى والديه. طمأنني المعالج أن العديد من الأسر تقوم على عائل واحد، ولكننا قد نحتاج لعمل جلسات علاج بالرسم لمعرفة مشاعرها وأفكارها.. وما زلنا حتى اليوم نمارس ذلك، ولكن الجانب المشرق أنها بدأت تمارس الرسم كوسيلة للتعبير عن الذات.. حبيبتي الصغيرة تشارك بمختلف مسابقات الرسم بالمدرسة.

اليوم أهديها مجموعة رائعة من ألوان الزيت أعلم كم ستفرحها هديتي، كانت تتحدث هذا الصباح مع صديقتها عن رغبتها في الحصول على تلك المجموعة المعلَن عنها في المرسم الذي تتعلم فيه.

كنت أراقبها بالصباح وأنا مبتسمة لم تكن منتبهة لي.

سـمعتها وهـي تضع الخطـط مـن أجـل طلـب نقـود مـن أجـل الألـوان، ومـن أجـل دورات الرسـم، ومـن أجـل شراء ملابـس جديـدة.. كـم هـي رقيقـة! كانـت تخـشي عـلى مـن الطلبـات لأني single mom كـما هـو متعـارف عليـه في مجتمعنـا؛ فكانـت تخشـى عـلى مـن الطلبـات فقـررت أن أفاجـئ هـذا المـلاك الجميـل الـذي وهبـه الله لي بـكل مـا تريـده..

سرنـا بالطريـق وأنـا متلهفـة لمعرفـة رد فعلهـا عندمـا تـرى مفاجأتهـا.

***

فقد

بقلم/ نفيسة الميرغني

فاقت على صورة مشوشة لإناء زجاجي، أنبوب بداخله شيء غريب لم تكن الصورة واضحة. انتبهت للدموع المنهمرة من عينيها..

تشعر بألم في جسدها..

ما كل هذه الإضاءة ولمَ ترتدي هذا الزي أين هي؟؟

ما الذي بالإناء؟

انتبهت لصوت الممرضة الهادئ «حمد لله على سلامتك ربنا يعوضك عنه خير».

لم تكن الممرضة تنظر مباشرة إليها، كانت تنظر بشِبه ابتسامة وبدأت الصورة تزداد اتضاحًا.

لم تستوعب قول الممرضة، ولكنها بدأت تفهم من وجه أختها الباكي ما المقصود بربنا يعوض عليك.

نظرت مرة أخرى للإناء الزجاجي، صرخت..

وكانت الصرخة من رحمها..

« يحيى.. يحيى..»

ظلت تصرخ؛ فالألم متملِّك كل جسدها..

تذكرت الآن ما حدث كانت في الصباح الباكر كعادتها تقوم بترتيب غرفة ابنتها في هدوء وهي تغني لابنها القابع في رحمها لسبعة أشهر وهي في انتظار وصوله.

بدأت ترتب كل شيء لحضوره، أضافت سريرًا خشبيًّا أبيض اللون يمكن هدهدته فيه.. اشترت ملابس جديدة له؛ فهو الولد الذي طالما انتظرته عائلتها، أما هي فلا تهتم كثيرًا بتلك الموروثات فقط طفل آخر..

كانت تقرأ له القران كل يوم حتى يعتاد سماعه من بداية تكوينه، كم كانت متشوقة انتظار قدومه..

واليوم في الصباح أثناء ممارستها طقوسها الهادئة وجدت نزيفًا فقررت الذهاب للطبيب للمراجعة لم يتعدَّ دخولها لغرفة الكشف دقائق حينما هرع الطبيب وطلب الإسعاف، وتم نقلها لمستشفى، ومنها تباعًا لغرفة العمليات. كل ما تذكره أنها اتصلت بأختها تخطرها بذلك، لم تكن تذكر ما قاله الطبيب.. شُلَّ تفكيرها عن كل شيء فقط فكرة واحدة «ابني.. يحيى»

فقدت وعيها بعدما أخذت حقنة البنج لا تذكر شيئًا..

والآن هــي هنــا في غرفــة باهتــة الألــوان وتتــألم أشــد ألم مــن رحمهــا.. أيــن يحيــى؟ كيــف يأخــذون منــي يحيــى

كيف جرؤ على هذا الفعل؟

لم تستطع تحمل كلمات أختها وهي تقول "المهم إنك بخير"

من الذي بخير أنا.. أنتم.. أم يحيى؟؟

لم تســتطع الوقــوف عــلى قدميهــا إلى أن قــام الطبيــب بإخفــاء جثمان فقيدهــا يحيــى الــذي طالمــا حلمــت فقــط باحتضانه.

وبعد عدة ساعات تركت تلك الغرفة باهتة الألوان..

وخرجت برفقة أختها إلى الطريق دامعة متألمة.

***

الساحر

بقلم/ نفيسة الميرغني

فتحت عينيها على وجه منتفخ، عينين جاحظتين حمراوين ورائحة كريهة ومنفرة، قامت فزعة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.»

في بادئ الأمر ظنت أنه كابوس لكن الحقيقة هذا كان زوجها حسن عاشق السهر دائمًا المهتم بعالم الخوارق ويقضي ساعات أمام كتب عن السحر والشعوذة والأبراج والفلك، كان دائمًا مهتمًا بفكرة الإنسان الخارق، كانت معجبة به منذ أن كانت صغيرة، وعندما أصبحت يافعة في العشرين تزوجته، لم تكن ذات خبرة بالحياة.

كانت تبحث عن الأمان واعتقدت خطأ أنها وجدته معه.

نظر إليها شزرًا وأعطاها ظهره وأكمل نومه. قامت في هدوء من جواره وذهبت لتبدأ يومها بروتينها المعتاد من شرب القهوة، وترتيب المنزل وتحضير وجبة الغداء، لم يكن يجمعها به أي شيء ولا حتى وقت الوجبات لا قراءات، لا أفكار، لا أصدقاء. كانت

صدمتها به كبيرة بعدما أغلق عليهما باب شقتهما في أول يوم لبداية جديدة معه صُدِمَت بكم التماثيل الغريبة الشكل والكتب التي تتصدر مكتباته، كلها كتب عن السحر. لطالما شاركها شغفه بتجارب الخروج من الجسد والتخاطر، ولكنها لم تدرك أن الموضوع أكبر من ذلك، وأن تلك هي حياته، وأنه لا يستخدم تلك الأشياء لأي سببٍ إيجابي، إنما هدفه معرفة كيف يفكر الآخرين من أجل السيطرة عليهم، ومع مرور الأيام لاحظت الكثير من الغموض في علاقاته ومعارفة وفِي نفس الوقت كان أهله في غاية اللطف والوضوح والبساطة. حاولت التحدث معهم فيما يفعله وتصرفاته المريبة مثل اختفاؤه لأوقاتٍ طويلة خارج المنزل دون تواصُل معها.. نومه حتى ساعات متأخرة من النهار رفض العمل وتجنُّب الحياة فقط مع أصدقاء لا تعرفهم وأخيرًا الفترة الماضية اتهامات غير واقعية ثم اعتذارت واهية تتوالى معها مرة أخرى نفس الاتهامات غير الواقعية. حاولت كثيرًا معه أن تقنعه بالتواصل مع معالج نفسي أو طبيب لكنه اعتبر أنها إهانة.. انتبهت أنه كان يثور في وجه أي شخص يحاول محادثته في تلك الأمور.

واليوم استيقظت على تلك الرائحة العفنة، تعلم جيدًا أنه كان يمارس طقسًا من طقوسه الغريبة فلقد وقع في يديها أثناء ترتيبها كتب عجيبة ورسومات لأشكال غير مريحة.. لكنها لم تبدِ اهتمامًا؛ فهكذا كل كتبه فقط لاحظت أن شكلهم قديم جدًّا.. دخلت لغرفة المكتب لترتيبها كعادتها غيرت له تاريخ اليوم والساعة حتى يدرك ما اليوم وما الساعة، دائمًا ما تفعل هي ذلك وفِي

كثير من الأحيان تشعر بأنه في حالة من التيه يستيقظ غير واعٍ بشيء ويخرج ولا يعود إلا قبيل الفجر، ويدخل ليمارس طقوسه ولا تراه سوى وهي في بداية استيقاظها وهو يتجه للنوم.. وجدت المبخرة ورائحة نتنة تنبعث منها وبجواره أوراق محروقة.

لفتت انتباهها النباتات الجميلة التي تعتني بها والتي كانت يانعة وتشع بهجة بالأمس، إنها اليوم صفراء وباهتة ميتة.

لوهلة استشاطت غضبًا؛ فبعد آخر خلاف معه والذي كان من يومين كان قد وعدها أن يتوقف عن تلك الممارسات.. وأن يتجه لله.. كان خلافًا كبيرًا وانضم إليه العديد من أفراد أسرته، كانت سئمت المعيشة معه، وكانت تلك محاولاتها الأخيرة لتغييره؛ فلكم أحبَّته في الماضي لم تُرِد أن تنهي الحياة مع شخص فعلت الكثير لتكون معه.

ولكن اليوم فقط كانت الإجابة على سؤالها: هل تستمر أم ترحل؟ لم تُنهِ ترتيب المكتب توجهت إلى غرفتها لملمت ملابسها وكل أشيائها في هدوء، هي تعلم أنه لن يقوم قبل السادسة مساء والآن هي العاشرة صباحًا.

أخذت كل ما يخصها وتركت له رسالة: «آسفة تزوجت رجلًا اخترعه خيالي لم يكن يومًا أنت، ولن يكون يومًا أنت.

أنا فقط ظننته أنت

أنتظر ورقة طلاقي»

***

منعطف

بقلم/ أمنية عمارة

تسلَّق الدرج في عجالة ليلحق بلعبته الأون لاين؛ فقد اقترب الموعد ويريد تعويض تلك الخسارة الفادحة ليلة أمس فتح الباب وبحث بعينيه سريعًا ليجد أمه في المطبخ، وفي وثبة طويلة التقط حاسوبه، وفتح الموقع فهناك بضع دقائق زائدة على بدء المباراة ترك الحاسوب وذهب لأمه واحتضنها وطبع تلك القبلة الرقيقة على وجنتها ولم يفُتْه أن يثني على لون شعرها وملابسها الجديدة، وعيناه معلقتان بالحاسوب حتى سمع إشعارًا بشارة البدء فركض نحو غرفته وأغلق بابه والكل يعلم بالتعليمات؛ فلا يسمح لأحدٍ بطَرْقِ الباب حتى لو كان للطعام أو شراء أي احتياجات للمنزل، ولكنه قد عزم في نفسه على المرور بأمه بعد الانتهاء من لعبته.

طالت المباريات وانتقم كلٌّ لنفسه ولم ينتبه لمرور ست ساعات وقد شعر ببعض الوهن والجوع، وقد انصرف أكثر اللاعبين الكفء؛ فقرر النهوض للبحث عن العشاء. خرج

فوجـد كل الأنـوار مغلقـة، وتفقَّـد والدتـه فقـد كانـت في سـباتٍ عميـقٍ، ووجـد عشـاءه في المطبـخ كالعـادة. أخـذ الصينيـة وعـاود أدراجـه تجاه غرفتـه. وبعـد بضـع خطـوات قـرر المـرور بغرفـة أختـه أولًا؛ فوجدهـا غارقـة بـين كتبهـا وتلـك الأغنيـات القديمـة التـي لم يستسـغها أبـدًا فلـم يتبـادلا سـوى النظـرات الصامتـة وتوجـه لإنهـاء وجبتـه الوحيـدة التـي يتناولهـا في المنـزل خـلال اليـوم، ثـم هاتفـه قلبه بـأن يوقـظ أمـه علَّـه يحظـى ببضـع لحظـات معهـا؛ فكـم تـرددت تلك الخواطـر في عقلـه خـلال الأيـام الماضيـة تـرك الطعـام وأنـار الإضـاءة الخافتـة، وحـاول النـداء عـلى أمـه ولم تنجـح الهمسـات في إيقاظهـا وتعالـت أصـوات محاولاتـه واحـدة تلـو الأخـرى حتـى أصبـح يـصرخ كالمجنـون «أفيقـي يـا أمـي، بـالله عليـكِ لا تفعـلي ذلـك» لم يلاحـظ بعـد تلـك الورقـة المكتوبـة بخـط مائـل متعـرج لا تسـتطيع فـك طلاسـمه ولا لشريـط الـدواء الفـارغ..

لا يـدري كـم مـرَّ مـن الوقـت حتـى وجـد نفسـه أمـام تلـك الأبـواب الزجاجيـة والعلامـات الحمـراء "ممنـوع التجـاوز» اسـتدعى كل مـا يحفـظ مـن دعـاء ولم يفلـح الأمـر فأخـذ هاتفـه وتنقـل بـين المواقـع حتـى وجـد سـيلًا مـن الأدعيـة أخـذ في ترديدهـا ولم ينتزعـه مـن خشـوعه سـوى ضغطـة خفيفـة عـلى كتفـه مـن خالـه ليعلمـه بوجـوده، خـرج الطبيـب وأخبرهـم بأنهـا نجـت مـن المـوت بأعجوبـة، وأنهـا كانـت الدقائـق الأخـيرة لـولا عنايـة الله.

اسـتيقظ في الليـل بـألمٍ في رقبتـه جـراء نومـة بوضـع خاطـئ،

ليان للنشر ولتوزيع

وأختـه مسـتندة إلى الحائـط ولم تسـتطع مجابهـة النعـاس هـي الأخـرى فأوقظهـا وأخذهـا بـين ذراعيـه لتسـتطيع النـوم براحـة، وطـرد عـشرات الأفـكار مـن رأسـه.. مـاذا لـو؟!

وفي الليلـة التاليـة تبـادَل مـع أختـه أطـرافَ حديـثٍ قصـيرٍ وحدَّث نفسـه: «كـم تشـبهني تلـك الصغـيرة" ولأول مـره منـذ أيـام تسـللت الابتسـامة إلى كليهـما، في الليلـة الثالثـة اسـتيقظت الأم وخضعـت فـورًا لتلـك الجلسـات النفسـية، وخرجـت الدكتـورة ووجههـا ينبض بالأسـى وقالـت «اكتئـاب حـاد» باغتهـا قائـلًا: «لا يمكـن، أنـتِ لم تسـتطيعي تشـخيص الأمـر، إنهـا كانـت تلبـس فسـتانًا جديـدًا، حتـى شـعرها كانـت لونتـه لتوهـا، لا لا أنـت بالتأكيـد مخطئـة.»

مـرت قرابـة السـاعة وهـو يحـاول اللحـاق بتلـك المعلومـات التـي يسـمعها لأول مـرة، وكـم تـراءت خيـالات المـاضي أمامـه، وكـم اسـتطاع ربـط بعـض الأحـداث وفهـم الكثـير ممـا اسـتعصى عليـه ولم يلـقِ لـه بـالًا.

ركـض نحـو أمـه واحتضنهـا بقـوة وبكيـا كثـيرًا ولم ينتبهـا لتلـك الصغـيرة التـي اسـتوقفتهما بسـؤالها «يعنـي لم أفهـم مـاذا نفعـل بعـد» تدخلـت الطبيبـة وقالـت: «فقـط اركـضي لحضـن أمـك.»

تعانقـوا سـويًّا، وفي تلـك اللحظـة فقـط جـاءه صـوت رسـالة عـلى هاتفـه عرفهـا فـورًا؛ فهـو صـوت إشـعار بـدء لعبتـه الآون لايـن.

***

المصالحة

بقلم/ أمنية عمارة

استطاعت (سارة) أخيرًا ارتداء حجابها بعد عدة محاولات لم ترضَ عن أيٍّ منها، سمعت طرقة خفيفة على باب غرفتها فعلمت أن أباها يستعجل خروجها، تنفست بعمق وأغمضت عينيها محاولة تهدئة نفسها والظهور بالمظهر المتماسك، وفتحت الباب وظلت واقفه بصمتٍ، قال لها والدها بدهشة: «لماذا ارتديتِ حجابك، فهو لا يزال زوجك، لا ترسلي له تلك الرسائل السلبية وأن لا أمل في الإصلاح، أهذا ما تحدثنا به يا ابنتي الصغيرة؟» وربت على كتفها بحنانه المعهود.

ارتمت في حضنه وكانت تنتفض من التوتر والخوف؛ فاليوم هو الأخير في جلسات الصلح بينها وبين «خالد» زوجها وحبها الأول والوحيد، استجمعت قوتها وخرجت بخطوات تبدو واثقة، ولكن كان يشوبها الكثير من العثرات، ارتدت تلك التنورة الوردية التي طالما أحبَّها خالد فحدَّثت نفسها "يا ليتني لم أرتدِها، سيظن الآن أنني أتزين له، لقد أردت فقط أن ألبس

شيئًا من ملابسي المفضلة التي تشعرني بالراحة، يا إلهي سيسيء فهمي بالتأكيد» ورفعت ناظريها فوجدته شاخصًا ببصره نحو التنورة بالفعل؛ فغمغمت بنبرة لم تستطع أذنها حتى التقاطها "يا ويلي فقد أصابني ما خشيت» جلست في ذلك الكرسي قبالة الأريكه التي يجلس عليها خالد وهي تقول في نفسها «ألا يوجد غير هذا الكرسي الفارغ الذي تركوه لي تحديدًا لكي نكون قبالة بعض، يا له من تفكير خبيث.»

جالت ببصرها فلمحت هذا الكرسي الصغير البعيد بعض الشيء وأرادت الانتقال إليه وسرعان ما نفضت تلك الفكرة عن رأسها معلِّلة لنفسها بأنها لن تستطيع سماع كل ما يقال، انتزعتها من أفكارها كلمة والد خالد بأن الخلاف شيءٌ طبيعي بين كل زوجين في مقتبل حياتهما سويًّا ولا بُدَّ من بعض المرونة، همت بقول بعض الأشياء إلا أن استوقفتها وصية جدتها لها في الليلة الماضية عندما جلستا سويًّا في الشرفة تتقاسمان كوبًا من الشاي بالحبهان التي طالما تجادلت مازحة معها قائلة "لماذا تتقاسمين كوب الشاي معي؛ فأنا أريد كوبي الخاص، ولا أريده بالحبهان من الأساس، أنا اريده بالنعناع".. ثم تضحكان سويًّا ولا تضع لنفسها كوبًا آخر ولا تضع نعناعًا، حينها أخبرتها جدتها عن صعوبة تلك الشهور الأولى في الزواج، وأن محاولات التفاهم هي أساس القوة.

وفي تلك اللحظة انتزعها والدها من شرودها بمناداته إياها

لحثِّها على المشاركة في الحديث، غامزًا بعينيه لتتذكر حديثه معها في الفجر بعدما فرغا من صلاتهما جماعة بأن تعطي لزواجها فرصة كاملة حتى لا تبكي حين لا ينفع الإصلاح، استجمعت قواها وقالت بصوت بدت فيه لمحات التوتر ولم تفلح أبدًا في السيطرة عليه: "اقبل بالصلح يا أبي" تهلل وجه خالد فرحًا ولم يكن منه إلا أن قفز نحوها وفي خطوة واحدة كان بالفعل ماسكًا يدها بقوه قائلًا: "هيَّا بنا نعود لعشِّنا سويًّا نتناقش ونتفق ونكتب بنودًا تكون نبراسًا لحياتنا، لا تتركي لغيرنا متعة رسم الطريق، فأنا افتقدت حديثك كثيرًا.»

ضحك الجميع وأنقذهما والد سارة من سيل المزحات قائلا "لا تشغلا نفسيكما بما يدور هنا؛ فما زالت لعبة الشطرنج هي من ستفصل بيني وبين والدك» وكانت كلمته بمثابة المنقذ من عيون الجميع والهروب من دعاباتهم.

لم يترك يدها لحظة طوال الطريق لمنزلها؛ فقد كان يشعر بأنه لو أفلت يدها ستضيع منه مرةً أخرى، لم يتبادلا الحديث أبدًا قُرابة النصف ساعة، كُلٌّ يتحدث في نفسه وكلٌّ يتحسس الطريق حتى لا يؤذي مَن وجد بعد عناء فصارحت سارة نفسها بأنها ارتدت التنورة لأجله، وتذكر خالد التجهيزات التي أعدَّها من أجلها في المنزل، فقد حدَّثَه قلبه بأنه سيستطيع إقناعها، وظل يدعو بأن تعجب بها مثل كل مفأجآته تبادلا فقط بعض النظرات الخجلة ووصلا أخيرًا لمنزلها وكم اشتاقت سارة لتلك

الشقة؛ فقد بذلت فيها من روحها وقلبها قرابة العام ونصف طول فترة الخطوبة، ودأبت على تأسيس كل ركن حتى يكون ملاذًا لها ولحبيبها، فتح خالد الشقة بحركاته المسرحية التي لم تفشل أبدًا في إضحاكها وانبهرت سارة بالتجهيزات وظلت تلعب بتلك البلالين المتدلية من السقف وتأكل قطعًا من الشيكولاتة المفضلة لها، ثم التفت بحركة سريعة فدارت معها تنورتها فكانت أشبه بالعروس لتجد خالد ينظر إليها بهذه النظرة التي طالما عشقتها، ولم يمهلها كثيرًا لتفكر أو تتذكر أي شيءٍ. باغتها: "أفتقدك كثيرًا».. جلسا سوية في ركنهما المفضل وأخذا يتبادلان الحديث، وكل منهما يتنفس أخيرًا بعدما كتم أنفاسه لأيام، ولا تتذكر سوى كلمة واحدة قيلت في شرفة منزل والديها بالأمس بصوت جدتها "عندما يأتي حبيبك لمصالحتك، اسمعيه بقلبك وكل شيء سيحل فورًا»

***

تلك الحقول

بقلم/ أمنية عمارة

خرجت «هنية» المرأة الثلاثينية من بيتها مسرعة لتلحق بالنساء اللاتي انتظرنها في تلك البقعة كعادتهن كل صباح كانت الساعة الخامسة بالكاد، صلت الفجر لتلحق بعملها، غمغمت في ضيق تشكو المياه المقطوعة عن القرية قرابة الأسبوع «لماذا لا يلتفت لنا أصحاب الكلمة في تلك القرية!» استقبلتها زميلة الكفاح في الأراضي والشقاء تحثها على السرعة وتحذرها من إفلات الجرَّار، كانت لمحت بالفعل الجرار الزراعي والعربة المتهالكة الموصولة به، وبعد الجري حتى تلاحقت الأنفاس، تسلقت العربة في خفه ورشاقة ككل يوم.

بعد محاولة تهدئة أنفاسها المتصاعدة والسيطرة على ضربات قلبها باغتتها «زينب" بالسؤال «تركت الأولاد نائمين؟»

هزت رأسها بإشارة الإيجاب وقالت لها في نفس متقطع: «تركت رغيف الخبز ملفوفًا بقطعة قماش، ووضعت بعضَ الجبن بداخله، وقد أوصيت "مصطفى" بأن يطعم إخوته بالتساوي.

أجابتها زينب: «إنك تحملين مصطفى الكثير من المهام، فهو مازال في السابعة، كيف يتحمل كل هذه الأعباء؟ ولا أعلم ما إصرارك على إغلاق الباب الخارجي، اتركيهم ليلعبوا مع أولاد الجيران، حتى إنك لتجدين من يعطهم قطعة خبز أو يأتيهم من يحنو عليهم من أهل الخير فيعطيهم بعض الأموال تساعدك في المصاريف.»

ردت عليها «هنية "بحدة وقالت: «أنا أريد تربية رجال وليس متسولين، وإلا تعلمين بهذا الفيروس؟ كيف لا تخافين على أولادك؟!!»

لم ترد عليها «زينب "واكتفت بتلك الحركة بشفتيها.

هزت «هنية» رأسها وهي تقول في نفسها وتستعيد تلك الجملة التي طالما شغلت بالها بخصوص "مصطفى" «ما عساي أن أفعل بعدما تركني أبوه لا بُدَّ أن يكون لي عونًا وسندًا».

وصل الجرار إلى تلك الأراضي التي بها الأعمال، وألقى المُلاحِظ تعليماته، ذلك الرجل الذي طالما بغضته لعنفه وشدته وتلويحه السخيف بالعصا كم تحلم بأن تجد عملًا آخر.

مضت الساعات وقلبها وعقلها تركتهما هناك، وكانت تحاول دائمًا أن تتخلص من هذا الهاجس الذي يلازمها في ساعات شغلها في النهار وأحلامها في الليل.. وأخيرا ظهر الجرار في الأُفُق.. لملمت أشياءَها سريعًا وكانت أول الراكبين.. حثت الجميع على الهرولة، تحسست اليومية التي لم تتعدَّ الخمسين جنيهًا

بسعادة؛ فقد طلبَ طفلها بيضًا مقليًّا وبعض الحلوى ولم تستطع توفيرهما.. بالأمس ظهرت تلك الثغرة على شفتيها وهي تمنِّي نفسها بطبَق البيض وابتسامة مصطفى.

مرت الدقائق، وبدأت بيوت القرية تلوح في الآفاق، وظهر معها خيط من الدخان يلتهم السحاب، وكلما اقتربت، كلما زاد الدخان وزادت معه انقباضة قلبها وأصوات النساء يتهامسن ويتساءلن: «ياساتر يا الله ما هذا إنه أشبه بالحريق.»

نظرت للوجوه وإذ كلهن متشابهات في قلقهن، وكل واحدة تتسارع الأفكار في عقلها مع ضربات قلبها، وتمنِّى نفسها بأن الحريق ليس في منزلها.. كُلٌّ يريد النجاة بنفسه، ومرت الدقائق كالسنون.

توقف الجرَّار على مشارف القرية وترجلت «هنية» بقفزة سريعة، وأخذت تهرول نحو بيتها سقطت الخمسون جنيهًا ولم تلتفت، وسقط الشال ولم ترَه، وسقطت الدموع ولم تبالِ.. فقط تدعو وتقول: «نجِّني يا الله هذه المرة، ولا أريد شيئًا آخر فقط لأنجو هذه المرة ولن أتذمر لضيق حالي.. فقط لأنجو ولن أذهب لتلك الحقول وأترك اطفالي.. فقط لأنجو ولن أطلب من مصطفى أي شيء.»

قابلتها الوجوه الواجمة والنظرات المشفقة وكلما رأتها جارة دارت وجهها، وكم من صديقة أخفت عيونها فأيقنت الهلاك، حتى وقع بصرها على هذا الذي يشبه بيتها، عرفته من بيت

الجيران والرجال يتصارخون بينهم في محاولات إطفاء النيران وتأتي المساعدات من القرى المجاورة. وقفت وقد صمت أذناها وتوقف كل شيء للحظة حتى ظهر مصطفى من بين الرجال يتجه نحوها حاملًا أخته الصغيرة ذات العام والنصف، احتضنتهما بقوة، وحمدت الله فنظر إليها الصغير بنظرة منكسرة وقال لها بصوت متحشرج تغلبه نبرة البكاء: «أعتذر يا أمي لم أستطع إنقاذ باقي إخوتي، سامحيني.

***

أجل تعلم ولكن

بقلم/ نادية عبد الغفار

«قُل لي إنك بتحبني»

في كل مـرة تقـول هـذه الجملـة وهـي تأمـل أن يـأتي الـرد مختلفًـا، وفي كل مـرة يأتيهـا الـرد مـا بـين جملتـين لا ثالـث لهـما:

«مـا إنتـي عارفـة، هـو أنـا لازم أقـول» أو «هـو أنـا عنـدي غيركـم».

يخاطبهـا دائـمًا هكـذا بصيغـة الجمـع حتـى قبـل أن يرزقهـما الله بابنتهـما، كان ذلـك يزعجهـا في بـادئ الأمـر حتـى اعتـادت عليـه كـما اعتـادت عـلى أشـياء كثـيرة بينهـما.

ومـا بـين محاولـة إقنـاع نفسـها بـأن الفعـل أبلـغ كثـيرًا مـن القول، أو أن تصغـى لصـوت العقـل لا القلـب كانـت تقـذف برغبتهـا في أن يغمرهـا بمشـاعره في بئـرٍ لا قـرار لهـا.

و لم يكـن ذلـك البئـر إلا صدرهـا الـذي نـاء بحملـه وأراد أن يزيح ذلـك الهـم الرابـض وأصبـح يراودهـا مؤخـرًا وعـلى فـترات متقاربـة

ذلـك الشـعور الملـحّ، وتلـك الرغبـة التـي باتـت تعلـم مصدرهـا جيـدًا بـأن تـصرخ عاليًـا وتُطلـق لتلـك الآه المكبوتـة العنـان معلنـةً عـمَّا يعتمـل في صدرهـا مـن كلـمات متزاحمـة متناثـرة حـارة وحـادة كالشـظايا.

ولكن كان هناك شيء ما يوقفها لا تعلم ما هو..

ربما نصيحة أبيها لها بأن تتذكر دائمًا أن الله قد خلقنا مختلفين..

أتراهـا إن كانـت قـد أعلنـت عـن رفضهـا لهـذه الحيـاة الجافـة منـذ البدايـة لكانـت الأمـور مختلفـة عـما هـي عليـه؟

لا تـدري.. فـما يـدور بداخلهـا الآن أكـبر مـن أن يُفهَـم، كـم تَـودُّ أن يكـون مـا تعيشـه حاليًـا حلـمًا سرعـان مـا تسـتيقظ منـه لتجـد نفسـها مـا زالـت في ذلـك البيـت الدافـئ الرحـب عـلى صغـر مسـاحته، العامـر، مـشرَّع الأبـواب الـذي تسـكنه الحيـاة.

ذلـك البيـت الذي عاشـت فيـه مشـاعر الحـب والغـيرة والغضب، مشـاعر لم يمهلهـا الزمـن أن تنضـج بدرجـة كافيـة، ولكـن عـزف لهـا القلـب فَرِحًـا لحنًـا بريئًـا؛ فرقـص عـلى أنغامـه كل مـا كان في عالمهـا حينئذٍ .

يـا لتلـك الليـالي التـي انطلقـت فيهـا الضحـكات والثرثـرات لتسـابق الفجـر بزوغًـا.

حتى مشاعر الحزن وألم الفراق أصبحت تحنُّ إليها..

ولمَ لا؟ فـما نَحِـنُّ إليـه ليـس فقـط الأشـخاص ولا الأماكـن،

ولكنهـا الذكريـات التـي جمعتنـا مـع هـؤلاء الأشـخاص في تلـك الأماكــن.

تعجبـت مـن نفسـها وهـي تتذكـر أحداثًـا كأنهـا حدثـت لتوِّهـا لتعـود لواقعهـا فجـأة متسـائلة:

«أيعقـل أن يكـون هنـاك إنسـان بـكل هـذه الطيبـة وهـذه الدرجـة مـن جفـاء المشـاعر؟»

أيعقـل أن يجمـع رجـلٌ قلبَـيْن في جوفِـه؟ قلـبٌ يفيـض بالحنـان وقلـبٌ آخـر ينبـض بالحـب ولا يسـتطيع التعبـير عنـه؟»

عـلى مـدار السـنوات السَّـبع مـدة زواجهـما كان هـذا السـؤال يجـول بخاطرهـا، إلى أن أصبـح يئـنّ أنينًـا مزعجًـا، وكلـما أوشـكت عـلى إيقافـه والبـوح بأنهـا مـا عـادت تتحمـل، تنظـر إلى وجهـه الهـادئ وقسـماته الطيبـة فتعـدل عـما همَّـت بـه.

لا لم تكن طيبته فقط التي أوقفتها، ولكن حبها له..

نعـم تحبـه، كل مـا تريـده فقـط أن تجـد روحهـا العطشـى ريَّهـا الدائـم معـه..

وهو أيضًا يحبها، أجل تعلم ذلك ولكن..

أبدًا ما توقفت يومًا عن الذكريات..

***

كرامة

بقلم/ د. يوسف السيد أحمد

- اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت.

لم تدرِ منذ متى وهي تردِّدها.. الظلام يهشِّم قلبها الصغير.. صوت الطرقات الصاخبة على الباب يكاد يجهز على ما تبقَّى لديها من رباطة جأشها.. تلاحقت دقات قلبها الصغير الذي لم يتجاوز الثمانية أعوام حتى كاد صوتُه يعلو فوق صوت جنود الاحتلال بينما يقتحمون الدار.. ضمت دميتها إلى صدرها الوجل.. اعتصرتها.. ودت لو خبأتها بين أضلعها.. غطت آذان الدمية براحتيها شفقة أن تسمع دميتها الضجيج بالخارج.. وبصوتٍ لا يَكادُ يُسمَع همسَتْ:

- لا تخافي يا دميتي، سينصرفون، فقط تماسكي أرجوكِ..

لا تدري أكانت مع دميتها تتحدث أم كانت تناجي روحها.

صوت الطلقات النارية صمَّ مسامعها فسقطت وهمَّت أن تخرج من مخبَئِها، لكنها تذكرت الوعد الذي قطعته لأبيها ألَّا تخرج من مخبَئها حتى يرجع إليها..

لم ينجح الباب الذي تستند إليه في حجب صرخات أمها:

- اتركوه.. ماذا اقترف؟ اتركوه

تبعتهـا صـوت طلقـات غـادرة امتزجـت ببـكاء هيسـتيري مـن أمهـا..

ارتجفـت في مخبَئِهـا وانهالـت الدمـوع لتحفـر أخـدودا عـلى وجـه الطفلـة ووضعـت إحـدى يديهـا عـلى فمهـا لتمنـع صرخـة أوشـكت عـلى الانفـلات..

أراحـت أذنيهـا إلى البـاب وميـزت أصـوات صرخـات وضحكات سـاخرة وصفعات وتوسـلات:

- اتركوني.. لعنكم الله.

همَّـت الصغـيرة أن تخـرج لتدافـع عـن أمهـا لكنهـا تجمـدت مـع تلـك الطلقـة الناريـة التـي خمـد بعدهـا صـوت أمهـا وتعـالى سـباب الجنـود فأدركـت أنهـا فقـدت أبويهـا..

جثـت عـلى ركبتيهـا المرتعشـتين في الظـلام كخيـوط حريريـة تؤرجهـا الريـاح وألصقـت صدرهـا بدميتهـا.. حتـى الدميـة سـطع في الظـلام ارتجـاف قسـماتها..

- تكلمي يا أمي أرجوكِ، اصرخي، أسمعيني صوتك..

تشـنجت أصابعهـا عـلى شـعر دميتهـا وتدفقـت دموعهـا كشـلال يجـرف في طريقـه مـا تبقـى مـن أطـلال طفولتهـا، وابتلـت دميتهـا

فأنبتت أغصان حزن التفَّت على قلب الصغيرة واعتصرته بقسوة..

ثم ما عادت قادرة على الاحتمال؛ فصرخت صرخةً أودعت فيها كل نيرانها ولم تبالِ.. فتنبَّه القتلة لمكانها واقتربت الخطوات من خزانة الملابس التي تختبئ في جوفها.

- اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت.

اقتربت ظلالهم الغادرة من جسدها الضئيل بعد أن هشَّموا الباب واغتصب ضوء الشمس القادم من النافذة عينيها؛ فأشاحت بوجهها واحتمت بدميتها وسط لكزاتهم الساخرة.. بالت على نفسها عندما جذبها أحدهم من شعرها فسقطت على الأرض وكاد قلبها أن يقفز هلعًا وصوت قرعه على صدرها يوشك أن يوقظ والديها بعد مماتهم.

- اللهم اكفينهم بما شئت وكيف شئت.

انتزع ذئبٌ آخر الدمية من يديها وألقاها على الأرض.

لم تصرخ لكنها التفتت إلى دميتها وابتسمت عندما وجدت دميتها تبادلها الابتسام..

لم تبكِ.. وتذكرت كلمات والدها بأنه خيرٌ للمرء أن يموت حرًا من أن يخلد ألف عامٍ مُهَانًا في وحل الذل..

نظرت إليهم بتحدٍّ وألقت بالشهادتين في فوهة السلاح المصوَّب تجاه رأسها..

- (كرامة) (كرامة) انضمي إلينا يا صغيرتي..

اطمأن قلبها عندما لاحت في السماء أمها وهي تناديها حتى إنها بالكاد شعرت بتلك القرصة التي مست جبهتها على استحياء، وخمدت حركتها إلى الأبد وسط بركة من الدماء الطاهرة والابتسامة تملأ وجهها.

***

طنين

بقلم/ د. يوسف السيد أحمد

تسللت البرودة إلى بطن كمال العاري بينما يتفحص بعناية أرفف البرَّاد ليلتقط زجاجة المياه الغازية وطبق الـ (مولتين كيك) الذي تركته له زوجته قبل أن تذهب إلى والدتها منذ ثلاث ساعات..

أغلق البرَّاد وتوجه إلى مكتبه المجاور للشرفة وأخذ يراجع أدوات الإلهام خاصته.. الحاسب الشخصي والأقلام والمفكرة وزجاجة المياه والفول السوداني، وأخيرًا أخرج جهاز التحكم عن بُعدٍ الخاص بالمكيف من جيب سرواله القصير.. والذي لم يكن يرتدي غيره وعدَّل من درجة حرارة المُكيِّف واحتسى رشفة من المشروب الغازي وأتبعه بقضمة من المولتن كيك الشهي، ثم اعتدل في مجلسه وقطَّب حاجبيه إزاء الصفحة البيضاء على الشاشة أمامه والتي ترمقه في تحدٍ منذ رحلت زوجته..

- تبًا، ليس لدي متسع من الوقت، يجب أن أكتب القصة قبل أن تعود زوجتي والأولاد.

كان على يقين أن الإلهام لن يحل ضيفًا في منزل به ثلاثة أطفال مزعجين لا يكفوا عن الصراخ؛ لذلك طلب من زوجته آنفًا أن تصطحب الأولاد إلى والدتها لتمنحه بعض الهدوء ريثما يتسنى له كتابة قصته القصيرة التي ينتوي أن يشارك بها في المسابقة الكبرى التي تقيمها إحدى دور النشر، ولم يتبقَّ له على الموعد النهائي لإرسال الأعمال الأدبية سوى يومين فقط..

أسند كمال ذقنه على راحة يديه وأخذ يحدق في اللا شيء ساعيًا لاقتناص أي فكرة أو خاطرة تصلح كقصة قصيرة، وعلى الرغم من تزاحم الكثير من الأفكار الجيدة على بوابة رأسه منذ شهر حيث تم الإعلان عن المسابقة إلا أنه كان يطردها جميعًا ويولي لها ظهره لأنه ببساطة لم يكن يبحث عن مجرد فكرة عادية، إنما كان يسعى جاهدًا لكتابة أفضل قصة قصيرة في تاريخ الأدب؛ فبات يركل هذه وتلك منتظرًا قصته الكاملة كي تحط رحالها تحت قدميه حتى بلغ الوقت المتاح مبلغ الاحتضار.

تناول بعضًا من حبات الفول السوداني، ونظر في توتر إلى ساعة الحائط ليدرك أن عودة زوجته أصبحت وشيكة، وأن عليه أن يسرع، ثم جالت برأسه خاطرة فبدأ يداعب لوحة المفاتيح بأصابع متلهفة وجذبه الحماس إلى الأمام فبدأت الكلمات تنهمر على شاشة الحاسوب، لكن فجاة تسمرت أصابعه عندما اخترق أذنيه ذلك الصوت:

- ززززززززززززززززززززززززز

أخـذ كـمال يرمـق بحنـقٍ تلـك الذبابـة كبـيرة الحجـم التـي بـدت نشـيطة لدرجـة أنهـا لم تتوقـف عـن الحَـوم حـول رأسـه عـلى مـدار دقيقتـين كاملتـين، وبـاءت جميـع محاولاتـه بتجاهلهـا والتركيـز في الكتابـة بالفشـل إزاء طنينهـا المزعـج ودورانهـا المسـتمر؛ فنفـثَ في ضيـقٍ تـاركًا لوحـة المفاتيـح وبـدأ يتابعهـا بنظـره، وسرعـان مـا نهـض عـن مكتبـه وأطفـأ جميـع الأضـواء في الشـقة مـا عـدا ضـوء الشرفـة، تركـه موقـدًا ليجبرهـا عـلى التوجـه خارجًـا ثـم فتـح بـاب الشرفـة عـلى مصراعيـه تـاركًا هـواء الشرفـة يخمـد نـيران غضبـه مـن تلـك الذبابـة التـي جـاءت لتعطـل قطـار الإلهـام الـذي انتظـره شـهرًا كامـلًا وهـا هـو يقـف بهيئتـه هـذه تتكـئ شـحوم بطنـه عـلى الإفريـز غـير مبـالٍ بنظـرات الجـيران المشـمئزة لـه؛ فـلا شيء يشـغل بالـه الآن في هـذا الكـون سـوى الانتهـاء مـن قصتـه بعـد أن يتخلـص مـن تلـك الذبابـة أولًا.

عـدة دقائـق مضـت عـاد بعدهـا إلى الداخـل وأوقـد الأضـواء وتنـاوَل نفسًـا عميقًـا مُختلطًـا بمـذاق المولتـين كيـك ومشروبـه المفضـل وداعـب لوحـة المفاتيـح مـن جديـد:

- ززززززززززززززززززززز.

لم يتعـدَّ بضـع كلـمات كتبهـا حتـى فوجـئ بذلـك الصـوت مـرة أخـرى غـير أنهـا في تلـك المـرة كانـت تحـوم حـول طبـق المولتـن كيـك واتسـعت عينـاه بمزيـج مـن الثـورة والاشـمئزاز معًـا عندمـا وطـأت الشـيكولاته السـائلة بقدميهـا المشـعرتين.

أطلـق كـمال سـبابًا بذيئًـا، ثـم أخـذ بإحـدى الصحـف القديمـة مـن المكتبـة وضـم صفحاتهـا بعضهـا إلى بعـض صانعًـا منهـا مضربًـا، وبـدأ يتابـع حركـة تلـك الذبابـة حتـى اسـتقرت بجـوار طبـق الفـول السـوداني فهـمَّ عليهـا بضربـة خاطفـة لم تُصِبهـا وأفلتـت مـن محاولـة الاغتيـال هـذه، وحامـت فـوق رأسـه التـي توهجـت مـن الغضـب بينـما ينظـر بحسـرة للفـول السـوداني المبعثـر عـلى الأرضيـة.

تأججـت رغبـة الانتقـام داخلـه تجـاه تلـك الحشـرة التـي أفسـدت عليـه قصتـه وطعامـه ولـو قتلهـا ألـف مـرة مـا كانـت ثورتـه لتنطفـئ وتطايـر الزبـد مـن فمـه وهـو يصيـح:

- سـأجعل منـك عـبرة للحشـرات جميعًـا لـو لم أكمـل قصتـي هـذه سـتكونين أنـتِ السـبب، سـأقتلك وأحرقـك يـا حقـيرة.

ثـم أطلـق سـبابًا بذيئًـا سـمعه حـارس العقـار بالخـارج أثنـاء جمعـه للقمامـة بجـوار البـاب بينـما اعتـصر كـمال الصحيفـة في يـده كعصـا البيسـبول، وثنـى ركبتيـه محدقًـا للأعـلى ومراقبًـا حومـان الذبابـة السريـع منتظـرًا اللحظـة التـي تسـكن فيهـا وتسـتقر عـلى سـطحٍ مـا ليتمكـن مـن سـحقها، وظـلَّ هكـذا زمنًـا غـير قليـل حتـى شـعرت ذبابتنـا بالإجهـاد والتصقـت بإحـدى المصابيـح في تلـك الثريـا الباهظـة التـي تتوسـط غرفـة المعيشـة.

هـرع كـمال ووضـع مقعـدًا أسـفل الثريـا ثـم اعتـلاه بحـذرٍ وبكلتـا يديـه أمسـك الصحيفـة وهـوى بهـا غاضبًـا عـلى الثريـا التـي كانـت مـأوى للذبابـة منـذ ثلاثـة أجـزاء مـن الثانيـة، قبـل أن تتمكـن

من الهرب مرة أخرى لتشاهد بأعينها الخمس مشهد الثريا وهي تتأرجح، ومنظر كمال وهو يتشبث بالهواء قبل أن يسقط على كاحله الأيمن ثم يهوي إلى الأرض ولو كانت الذبابة تمتلك حاسة سمع لتمكَّنَتْ من سماع صراخه وهو يتلوَّى من الألم بعد أن التوى كاحله لكنها هجمت على رأسه بارتفاعٍ منخفض فتفاداها بيده التي أخطأتها لتطير نظارته بعيدًا وتتهشم إحدى العوينات على البلاط.. وهنا أطلق كمال السباب واللعنات التي وصلت إلى مسامع نشوى زوجته في المصعد.

هبَّ كمال واقفًا واستمر في إطلاق السباب وحاول جاهدًا أن يقتفي أثر الطنين بدون العوينات، وساقته عرجته نحو المطبخ حيث استقرت ذبابته على الرخام بجوار آنية الطعام الخزفية باهظة الثمن.

وبينما كانت نشوى تدير المفتاح في الباب كان كمال يهوى بالصحيفة على القطع الخزفية جميعًا مرة بعد المرة حتى تناثرت الشظايا حوله ليسقط على الأرض من الإعياء وأغمض عينيه محاولًا تحرّي صوت الطنين المزعج الذي توقف تمامًا فاطمأن قلبه وغمرته الراحة وغشيته نشوة النصر وفتح عينيه ليصطدم نظره بوجه زوجته المذعور من أعلى، تتفحصه طريحًا على الأرض محاطًا بشظايا الخزف وفي يده صحيفة ممزَّقة.. وقبل أن تفيق من ذهولها صاحت الطفلة:

- أمي، توجد ذبابة كبيرة على المرآة.

دُميتها

بقلم/ د. يوسف السيد أحمد

كان عليه أن يستمر في دفع عربته الخشبية المتهالكة المحملة بثمرات من التين الشوكي، وعلى الرغم من أوجاع ظهره الذي بات يشعر أنه قد انفلق نصفين من الألم إلا أنه كابد ليصل إلى تلك البقعة المميزة بجوار المدرسة الإعدادية..

- افرجها يارب.. ووسع لي رزقي.

تمتم بالدعاء بينما يراقب بلهفة أولئك الأطفال المندفعين من بوابة المدرسة كأسرى أُطلق سراحهم يتنفسون عبير الحرية بنهمٍ، يغمرهم الغبار والعرق يسوقهم الملل والجوع إلى عربته بعد يوم دراسي شاق وتمنى في نفسه لو تدافعوا جميعًا نحو عربته ليشري لهم ما تبقى لديه من الثمرات ويتمكن من العودة إلى منزله بعد أن يبتاع من متجر اللعب هدية لـ (فرح) ابنته..

أخرج ما في جيبه من المال وعدَّده وأدرك أنه لم يتبقَّ على ثمن الدمية سوى ما يعادل بيع ثلاث وثلاثين ثمرة، ثم أعاد المال إلى جيبه بعد أن بدأ الأطفال في التوافد عليه..

ليان للنشر ولتوزيع

كانت حركة البيع كافية لتنسيه آلام الغضروف وتخدر ما لديه من التشنجات العضلية التي تضرب فخذه بقوة وقد أخبره الأطباء أن حالته الصحية هذه تحتاج إلى تدخُّل جراحي، لكن بالنسبة لمعدوم مثله بالكاد يكسب قوت يومه كان أفضل ما يمكن الحصول عليه من النعيم هو أن يتمكن من شراء بعض المُسكِّنات التي تمكِّنه من السعي بعربته هذه عشر ساعات يوميًّا لكي ينفق على زوجته وابنته الوحيدة (فرح) التي أكملت اليوم عامها السادس.

لاحت الابتسامة على وجهه رغمًا عنه لمجرد تذكُّر وجهها في ذلك اليوم عندما تسمرت قدماها الصغيرتان أمام متجر اللعب واتسعت عيناها شاخصة في ذهول وإعجاب نحو إحدى الدمى على هيئة عروس جميلة ذات شعر أصفر، ولم يكن من السهل عليه أن ينسى نظرة الخيبة التي علت وجهها الملائكي بعد أن أخبره صاحب المتجر بثمنها فأدركت فرح أن تلك الدمية من المحال أن تستقر في أحضانها، وتيقنت من أن تلك الدمية لن تكون يومًا دميتها، وجثم على صدره الغم لعجزه عن شرائها وانشطر قلبه لتلك النظرة الأسيفة التي أطلت من عينيها..

كم هو قاسٍ أن يغدو المرء عاجزًا عن مساعدة من يحب في الوصول إلى رغبته..

فعاهَدَ نفسه على أن يقتطع من دخله المتواضع مبلغًا من المال ليدَّخره حتى يتمكن من شراء تلك الدمية يوم عيد ميلادها..

حلَّ الغروب وقد رزقه الله بما يكفي من المال لشراء اللبن والجبن للعشاء، وما تبقى ضمه على ما أدخره من المال وابتهجت أساريره عندما أدرك أنه سيتمكن أخيرًا في هذه الليلة من رسم البهجة على وجه ابنته فاتخذ سبيله نحو متجر اللعب يحثه الشوق من كل صوب.

ما إن لاح المتجر على ناصية الشارع حتى باغته الألم بقسوة ويكأنَّ سوطًا من النار يضرب فخذه الأيسر فلا يكاد يقوى على وضع قدمه بالكامل على الأرض، وتذكر موعد المُسكِّن فأخرج شريط الأقراص من جيبه ليجده فارغًا فانتابه الإحباط وحينئذٍ لم تستطع قدماه احتمال المزيد من الألم فهوى إلى الأرض وهو يكتم أنينه بصعوبة، ووقعت عيناه على إحدى الصيدليات المجاورة لمتجر اللعب؛ فنهض بقدمٍ مرتعشة متكئًا على حُسن ظنه بربه، وقبل أن يدلف داخلها تذكَّر أنه إن اشترى الدواء نَقُص ما معه من المال؛ فإما أنه لن يحضر اللبن والجبن وإما أنه لن يتمكن الليلة من شراء الدمية لابنته ثم نكص على عقبيه واتجه نحو متجر اللعب متحاملًا على نفسه والآلام تعصف بجسده ووجه ابنته فرح لا يغادر أُفُقَه، وأيقن أنه ما مِن مُسكِّن لآلامه أقوى من رؤية شمس الفرحة تشرق في وجهها عندما يفاجئها بدميتها وحدَّث نفسه بينما يعبر باب متجر اللعب:

- على جسدي أن ينتظر حتى الغد أما مَلِكَتي فرح فلا ينبغي لها أن تنتظر..

***

تلك الغرفة

د\ يوسف السيد أحمد

تعـالى صـوت دقـات السـاعة؛ فأحسسـتُ بهـا كضربـات مَطرقـةٍ تهـوي عـلى قلبـي، وامتـزج صوتهـا مـع صـوت لهاثـي الحـار فرفعـت رأسي المدفـون بـين كفّـي لأرى كـم مـرَّ مـن الوقـت فلـم يتبين لي شـيئًا مـن أثـر الدمـوع في عوينـاتي.. الدقائـق تمـرُّ كـسِربٍ مـن السلاحف المُسِـنَّة.. تبينـت بصعوبـة أنـه لم يمـضِ سـوى ربـع السـاعة..

تصاعـدت طرقـات قلبـي بفـزع وكأنـه يهـم أن يفلـت مـن بـين أضلعـي وطغـى صوتـه عـلى صـوت دقـات السـاعة المعلَّقـة بجـوار غرفـة العمليـات.. في هـذه الغرفـة يقبـع قلبـي أسـيرًا.. تلـك الغرفـة البغيضـة التـي ابتلعـت صغـيري؛ فلـم أعـد أسـمع صوتـه الـذي طالمـا نهرتـه بغضـب أن يخفضـه وأن يكـف عـن إزعاجـي بعـد عـودتي مـن يـومٍ شـاقٍّ دهسـني فيـه قطـار العمـل.. أخرجـت مـن جيبـي سـيارة السـباق الحمـراء المفضلـة لديـه دونًـا عـن سـائر لُعَبـه والتـى ظلـت في يـده حتـى فرَّقـت بيننـا الممرضـة وهـي تصطحبـه مـن يـده إلى الداخـل بينـما يخبرني ببراءتـه أن أُبقـي سـيارته معـي ولا

أضيعها حتى يخرج.. تلك السيارة التي بسببها ضرَبتُهُ ذات يوم بقسوة عندما وَطَئتُها بقدمٍ حافية في الظلام فأوجعتني.. فأوجعتُهُ ضربًا.. تسللت دمعة وفرّت من أسوار عينيَّ لتنزلق على خدي مخلفةً وراءها أُخدودًا من الندم..

أخرجت هاتفي واستعرضت عددًا من الصور التي أظهر فيها معه فاستوقفتني إحداها وكانت قد التُقِطَت له وهو يبكي بجواري متشبثًا بثيابي يتوسل إلي كي أحمله بينما أنا غير مبالٍ بصراخه منهمكًا في مشاهدة المباراة..

صورة أخرى التقطتها لنا زوجتي في ركن ألعاب الأطفال في أحد مطاعم الوجبات السريعة وهو يظهر في الخلفية يُلوِّح لي بحماسٍ وينادي باسمي بينما أنا منشغل بتفحص شطيرة اللحم خاصتي..

في كل صورة تقع عليها عيناي أجده يتأملني بانبهار وكأنني الكون بأسره بالنسبة إليه بينما أنا أتعامل مع وجوده في حياتي كقطعة لحم سقطت مني سهوًا فلم أكترث بالتقاطها..

لم أحتمل المزيد فأغلقت هاتفي وناولته لزوجتي الجالسة بجواري ترتل القرآن وتبتهل في الدعاء من أجله.. ذلك الهاتف الذي طالما انشغلت به عن صغيري، وأحيانًا كنت أتصنع الانشغال كي أفرَّ من إلحاحه عليَّ باللعب معه مستكثرًا عليه الفتات من وقتي الثمين..

اعتصرتُ عيناي بإبهامي وسبَّابتي ماسحًا دموعًا ساخنةً لا

يكاد يضاهي لهيبها سوى اشتياقي لعودته إليَّ سالمًا.. احتضنت لُعبته إلى صدري وقبَّلتها معتصرًا إياها بكلتا يديّ فشعرت أنني أُقبِّله هو، واندهشت عندما لم أستطع تذكُّر متى كانت آخر مرة قبَّلته فيها..

تذكرت شكواه من آلام بطنه منذ ليلتين فمططت شفتي في سأم وزفرت في وجهه البريء واتهمته بادعاء المرض كي يدفعني إلى النوم بجواره فرفع حاجبيه في فرحة:

- حقًّا يا أبي.. لم يخطر ببالي هذا الأمر لكن إن استلقيت بجواري وتَلَوتَ لي حكاية حتى أنام أعدك ألا أعاود الشكوى.

شجعتني نظرة أمه ودفعتني مكرهًا إلى الاستلقاء بجواره متأففًا ولم أتوقف عن النظر إلى ساعتي بين الحين والآخر، وعندما انتهيت من حكايته المفضلة تقلص وجهَهُ وأمسك بطنه من جديد فسَبَبْته واتهمته بالتمارض وانطلقت من غرفته يركلني الغضب بعيدًا..

فُتِح باب غرفة العمليات لافظًا إحدى الممرضات التي بدا عليها التوتر وهرعت مسرعة فانقطع حبل أفكاري وبُعثِرَت ذكرياتي كخيام اقتُلِعَت في خضم عاصفة ترابية فنهضت مستبقًا زوجتي في محاولة لتحسُّس أي أخبار عن ابني، غير أن الممرضة انطلقت مسرعة ثم مكثت غير بعيد فعادت وفي حوزتها بعض الأغراض الطبية واندفعت مقتحمة غرفة العمليات من جديدٍ وبدا لي أنها لم تلحظ وجودنا ولم تسمعني وأنا أسألها عن ابني؛

فجمد القلق ملامحنا وساورنا الشك في أن مكروهًا ما قد حدث لصغيرنا بالداخل؛ فحاولت زوجتي طَرْق الباب الخشبي المفضي إلى غرفة العمليات إلا أنني نصحتها ألا تفعل؛ فمن الأفضل ألَّا نشتت تركيز الطاقم الطبي بالداخل ثم أن هذا الباب ما هو إلا الباب الخارجي فقط وهناك بابان آخران يفصلانه عن سرير العمليات فأومأت برأسها بينما شفتاها لا تكفان عن الذِّكر والدعاء فعادت إلى مصحفها وجلستُ بجوارها ساندًا رأسي على كتفها لتنهمر ذكريات أخرى فوق رأسي كمطر حمضي يكويني..

تذكرت زوجتي وهي تخبرني في الهاتف أنها بصدد اصطحابه لإجراء أشعة مقطعية على البطن والحوض كما أوصى الطبيب بذلك للوقوف على التشخيص الدقيق لمصدر الألم الذي لم يستجب للمسكنات ولم تمض ساعتان حتى عاوَدَت الاتصال ولطمتني بالخبر..

- الزائدة ملتهبة، ويجب أن تُجرى جراحة عاجلة الآن..

هنا فقط انقشع الوهم الذي كنت أسعى من أجله ليل نهار، وأدركت أن المنصب والمال والشهرة والوقت وملذاتي الشخصية لم تصمد أمام لهفتي على فلذة كبدي..

وأيقنت أنني مستعد لبذل كل ما أملك من أجل أن يعود لي صغيري معافى، وخشيت أن يمسه مكروهٌ فَعَلا نحيبي وتزلزلت أركاني؛ فاحتوتني زوجتي وأشفقت عليَّ فكنت أبكي في حضنها وسيارة السباق ما زالت في حضني وعاهدت نفسي وأنا أرمق

غرفـة العمليـات في توسُّـل إن أخرجـه الله منهـا سـالمًا؛ فلـن أكـون نفـس الأب الـذي كنـت عليـه قبـل أن يدخـل إليهـا مصابًـا..

وإذ بباب الغرفة يُفتح لتعبر منه الممرضة تسبقها البشارة:

- حمدًا لله على سلامة ابنك.

***

بداية

بقلم/ زينب خيري الحديدي

هَيَا فتاة في العشرين من عمرها أنهت دراستها العلمية منذ بضعة أشهر، اختار لها والدها مجال دراستها؛ فلقد كان يحلم بأن يصبح محاميًا، شخصيتها أهلتها لتلك الكلية مع رغبة والدها؛ فهي عنيدة، ثرثارة، تعشق النقاش، قررت خوض غمار العمل، فلقد رغبت بشدة أن تثبت نفسها للجميع. ذهبت للعمل تحت التدريب مع أحد المحامين، شرح لها بعض الأشياء النظرية وأسند إليها بعض الأعمال الإدارية، وفي صباح اليوم التالي ذهبت لرواق المحكمة حتى تنهي تلك الأعمال، أخذت تستطلع المكان بداية بعين الطفلة التي يملؤها الانبهار لما تراه، ولكن سرعان ما انقلبت تلك الدهشة إلى الكثير من الحزن؛ فمع نهاية اليوم لم تستطع إنهاء تلك الأعمال عادت أدرجها إلى البيت والحزن يملأ قلبها، صدمت حقًّا وأخذت تسترجع يومها ما بين موظف يرغب في بعض الأوراق والأقلام لينهي لها عملها، وآخر يرغب في بعض النقود صدمها ذلك، وأخذت تبكي هل

هـذا هـو العـالم التـي حلمـت بالعمـل في نطاقـه لتحقيـق أحلامهـا لــن تتجمــل هــذه رشــوة، ضميرهــا ومــا تعلمتــه لــن يســمحا لهــا بفعـل ذلـك.. كيـف تدافـع عـن مظلـوم وهـي تسـاعد في الظلـم.. تسـاقطت دموعهـا ثـم بعـد قليـل جاءتها مكالمـة مـن أختهـا تسـألها كيـف كان يومـك الأول. حاولـت أن تتماسـك في البدايـة ثـم انهـارت باكيـة وأختهـا تحـاول فهـم مـا حـدثَ وسـط تلـك الدمـوع المتسـاقطة عليـكِ أن تهدئـي هـذا العـالم جديـد بالنسـبة إليـك سـوف يمـر بـكِ العديـد مـن الأصنـاف مـن البشر، وعليـكِ أن تتمسـكي بمبادئـك ولا تنجـرفي، هـدَّأ ذلـك مـن روعهـا في المسـاء لم تذهـب إلى المكتـب كـما خططـت، ولكنهـا رغبـت في المكـوث في المنـزل وأخـذت تفكـر فيـما عليهـا أن تصنـع داخـل ذلـك العـالم الـذي لم تتوقعـه. انقطعـت عـن المحكمـة الأسـبوع الـذي يليـه، ولكنهـا كانـت تذهـب مسـاءً إلى المكتـب وأقنعهـا أحدهـم أنـه لـن يسـند إليهـا أعـمالًا تكـون فيهـا شـبهة تؤرقهـا. طمأنهـا هـذا قليـلًا، ولكـن ظلـت تلـك الريبـة داخلهـا إلى أن أسـند إليهـا عمـلًا في إحـدى المحاكـم لتنجـزه وذهبـت فهـي تحـب السـفر والأماكـن الجديـدة. عندمـا وصلـت للمـكان كان الجـو هادئًـا ولا يوجـد ذلـك الزحـام المعتـاد، سـألت أحدهـم إلى أن وصلـت إلى الموظـف المختـص وأخبرهـا أن قضيتهـا لهـا جلسـة اليـوم، وعليهـا الحضـور أمـام القـاضي.. يـا إلهـي لم تـدرِ مـا تصنـع فهـي لم تتعامـل مـع القضـاة في جلسـات. دخلـت القاعـة، وتعرفـت عـلى زميلـة تقربهـا في السـن، واتفقـت معهـا عـلى حضـور الجلسـة

بـدلًا عنهـا وبـدأت الجلسـة والتـزم الجميـع الصمـت.. وإذ بتلـك الزميلـة تخبرهـا أنهـا لـن تستطيع الحضـور بـدلًا عنهـا، وأن عليهـا أن تنجـز هـي تلـك المهمـة. لم تـدرِ مـا تصنـع حقًّـا، ولكـن لم يكـن هنـاك مفرٌّ مـن ذلـك، وعندمـا نـادى الحاجـب قضيتهـا وقفـت أمـام القـاضي وأبلغتـه طلباتهـا بخصـوص تلـك القضيـة؛ فأجابهـا بتأجيـل تلـك القضيـة.. وهنـا تنفسـت الصعـداء. لم يـدر بخلدهـا غـير بضـع كلـمات..

قـد توضـع بمواقـف نظـن أنهـا النهايـة ثـم نفاجـأ أنهـا فقـط البدايـة، ومـا زال هنـاك الكثـير لتعلمـه لنـا الحيـاة.

***

عالم بلا ألـــــوان

بقلم/ شيماء محمود

استيقظت «أريج» في صباح ذلك اليوم والابتسامة تغمر محياها، تحب أن يكون يوم إجازتها مختلفًا ومميَّزًا؛ يغسل عنها تعب أيام العمل الطويلة ويهبها دفعةً للأمام وطاقة كبيرة لكي تواصل..

أعدت قهوتها وفتحت حاسوبها المحمول لتتصفح سريعًا مواقع التواصل الاجتماعي لمتابعة ما يدور حولها من أحداث، سيما وهي لا تجد الوقت لمشاهدة التلفاز أو متابعة الأخبار..

مرت سريعًا على بعض الأخبار والمنشورات على الفيسبوك، ليستوقفها منشورٌ ما، قطبت جبينها وارتشفت من قهوتها ببطءٍ، وأعادت قراءة المنشور بصوت مرتفع..

«مرحبًا بنو عميان.. انتبهوا لتقلّبات الجو في الخارج.. الأتربة تملأ الشوارع، خرجت اليوم لمدة عشر دقائق فقط وقد أصابتني الأتربة بالعمى أكثر مما أنا عليه من عمى أصلًا.»

ابتسمت متعجبة، هل يمزح؟!

طالعت اسمه (مختار)، وقد نشر هذا الكلام في مجموعة ما، أمرٌ عجيب..! لا تذكر «أريج» أنها انضمت إلى أي مجموعة مؤخرًا.. وما هذا الاسم الغريب؟!

(مقهى المكفوفين).. اسم غريب.. شاركت في مشاريع خيرية وسجلت كتبًا للطلاب المكفوفين بصوتها لمساعدتهم في دراستهم، لكن بحسب علمها فهم لا يتواجدون على منصات التواصل الاجتماعي، والسبب بسيط.. لأنهم لا يستطيعون القراءة أو الكتابة إلا بطريقة برايل حسب علمها..

تصفحت منشورات المجموعة لتكتشف عالمًا جديدًا، وتتعلم أشياء كثيرة ومميزة، عرفت الكثير عن النواطق الإلكترونية، وعن المشكلات الناتجة عن ارتباط الكفيف بالكفيفة، وكذلك ارتباط الكفيف بالمبصرة والعكس.

تعرفت عن قُرب على أصحاب الإرادة القوية الذين نجحوا وتفوقوا واعتمدوا على أنفسهم فأحبَّتهم الحياة ووهبت لهم الكثير من النجاح، وآخرين آثروا لوم العالم والاعتماد الدائم على عائلاتهم فلم يتح لهم فرصة اتخاذ القرار الحر.

استغرقها ذلك العالم ونظرت لكل شيء حولها بمنظار أصدقائها المكفوفين.

راودتها تلك الأفكار والمخاوف القديمة التي عانت منها من قبل؛ سيما مع حبها الشديد للقراءة.. ترى هل تفقد بصرها يومًا؟!

على استحياء صرحت بمخاوفها في منشورٍ قصيرٍ، لتفاجأ بأن معظم أمهات أصدقائها المكفوفين يعانون مما يسمى «وسواس العمى» أو «فوبيا فقد البصر.»

أرسلت لها صديقتها المدلَّلة متذمِّرة من ضغوط العمل وزحام الطرق، وأن الحياة شاقة أكثر مما يجب، وفي نفس الوقت أرسل أحدهم منشورًا قصيرًا ساخرًا:

«تعرضت للتنمر اليوم للمرة الأولى منذ الحادث الذي فقدت فيه بصري.. فهل من مهنئ؟!»

***

الأواني الخزفية

بقلم/ مي مصطفى كامل

تعلمت أمل صناعة الأواني الفخارية في منزل جدتها العتيق في أرض السحر والتاريخ في أسوان الحبيبة..

وظلت تلك الهواية هي مصدر السعادة الوحيد في حياة أمل..

تعود من عالمها المليء بالحسابات والأرقام لتحتضن بأناملها الرقيقة أنيتها الفخارية.. تظل تعمل بها أوقاتًا طويلة حتى إنها في بعض الأحيان تنسى الطعام والشراب.

تنسى الجلوس مع الفتيات من نفس عمرها يضحكن ويتسامرن، لكنَّ أمل كانت تفضِّل دائمًا الجلوس مع الطين الأسواني تحدِّثه وتهدهده وتطلب منه مساعدتها في صنع الآنية فلقد قالت الجدة الطين بيحس بإيدك يا أمل لو عاملتيه إنه أصم هيطلعلك حتة فنية ممكن تبقى حلوة بس استحالة هيبقى فيها روح.

وده اللي بيفرق بين صانع والتاني عايزة تطلعي شغل أي حد

يبـص عليـه يعـرف إنـه ده شـغل أمـل، حطـي حتـة مـن روحـك فيـه، شـكّلي الطـين بقلبـك ومشـاعرك، حِبـي الطـين وكلميـه خليـه أمـين سرك احكيلـه بتحلمـي تطلعـي القطعـة إزاي.

الطـين بيحـس وهـو بيتشـكل بياخـد حتـة مـن روحـك في كل جـزء.

واسـتمرت أمـل عـلى العهـد تكلـم الطـين وتحكـي لـه أحلامهـا، تطبطـب عليـه وتغنـي لـه قبـل بدايـة أي منحوتـة جديدة.. واشـتهرت أمـل وزاع صيتهـا في المنطقـة.

وأصبح شغلها قمة في التميز والإتقان.

وفي يـوم جـاء رجـل أبيـض طويـل ممشـوق القـوام جهـوري الصـوت يسـأل عـن صانعـة الخـزف وفي يديـه إنـاء صغـير ملـوَّن بالأبيـض والأزرق مـن شـغل أمـل.

فعرفتـه هـي عـلى الفـور وقالـت لـه «ده شـغلي»؛ فسـألها الرجـل باسـتغراب وكيـف أنـتِ متأكـدة هكـذا وجميـع نسـاء القريـة يعملـن في صناعـة الآنيـة الفخاريـة بنفـس الطريقـة.

فقالـت عرفتـه مـن روحـي، كل قطعـة صنعتهـا أودعـت فيهـا قطعـة مـن قلبـي هـذا مـا علمتنـي جـدتي.

نظر لها الرجل بانبهار قائلًا:

«كنت أعلم أنكِ ستكونين مختلفة عن الآخرين

لقد عشقت الإناء وحلمت أن أجد صانعته حتى أقبِّل يدها.

أمل أنتِ من أبحث عنها..

أتتزوجينني

روحي هائمة منذ زمن تبحث عن نصفها الآخر، وكل نقشة حفرتِها بإنائك قالت لي إنكِ نصفي الآخر..

أحبك وأحب كلَّ ما تحبينه، أنتِ نصفي الآخر..

نظرت أمل إليه بانبهار وقالت: «صدقت جدتي في كل حرف.

أنا صنعت تلك القطعة بالذات وأنا افكر في شريك حياتي، بدأتها بغضبي لتأخر سن زواجي وأنهيتها وأنا أعلم أن الحب سيأتي عن طريقها. نعم أوافق.»

وبعينيها نظرة خجل وحب

بكى عابد وجلس بين قدميها يتعلم فنون صناعة الخزف، وبقي الحال كالأسطورة بين الأجيال

حب أمل وعابد..

وعشق الأواني الخزفية يصنعانها سويًّا بطاقة الحب المتدفقة بينهما لتحكي فيما بعد كل قطعة كيف جمعيت بين الحبيبين اللذين تلاقا عن طريقها..

طاقه الحب سحر إذا تم إطلاقه ينتشر ويصيب القلوب المستعدة للتلاقي..

***

رسائل من نور

بقلم/ مي مصطفى كامل

يوم جديد وصباح جديد

لا أعلم لمَ عليَّ الاستيقاظ، لا يوجد شيءٌ مهم يدعوني للنهوض ومغادرة الفراش، حياتي تقليدية بشكل يشعرني بأنني لم أحيا سوى ليومٍ واحدٍ ويتم إعادة تشغيله وتكراره يوميًّا بنفس التكرار والروتين بلا أدنى تغيير أو إضافة حياة نمطية رتيبة بلا أي طعم ولون..

الشيء الوحيد الذي يُصرّ عليَّ أن أفارق فراشي هذا الصباح هو صوتُ رسائل الموبيل اللعين التي تدفقت بشكل متتالٍ وكأنها تتعمد أن تخرجني من سباتي العميق..

نهضت متثاقلة لأصل لهاتفي فقد نسيته بالأمس في الشاحن الموجود في الطرف الآخر من الغرفة..

وكانت المفاجأة العظيمة..

إنها رسائل نَصية من البنك تخبرني بأن حسابي المصرفي قد تضخَّم بشكل ملحوظ هذا الصباح.

وأنا لا أعلم ما هو مصدر تلك الأموال، بالتأكيد هو خطأ بالحساب؛ فمن المستحيل أن يكون والدي قرر أثناء الليل تصفية ممتلكاته ووضعها في حسابي الخاص، ثم لماذا حسابي وليس حسابه هو إذًا فهو ليس والدي..

وليس خطأ من البنك إذًا؛ فما سر تلك الأموال.. ثم فقزت في رأسي سهرة الأمس هل يمكن أن تكون دعوة المساء، لا أعتقد فقد كانت مجرد لعبة؛ فأنا لا أؤمن بالعرَّافين وأعمالهم؛ فذلك العرَّاف حين سألني وهو يلهو بكفيه وسط الرمال وقطع الصدف البحري الخاص به أو ما يقول عنه الودع عن أكثر شيء أتمناه في العالم فأجبته مازحة أن أقصى طموحي هو الحصول على مالٍ وفيرٍ يجعلني أجلس في منزلي بلا عمل.. فأجابني بلهجته الغريبة: «ارمي بياضك يتحقق مرادك».

فنقدته القليل مما كان بحوزتي.. وسألني ماذا ستفعلين حين تحصلين على المال؟ فقلت بمنتهى الثقة:

«سأغير شكل العالم..» فقال: «ماتنسييش الحلاوة»..

هل من الممكن أن يكون صدقَ وفعلها..

هل أنتظر تفسير والدي أو أذهب للاستعلام في البنك..

لكن مهلًا إن كان العراف صادقًا كيف سأغير العالم حتى أفي بوعدي معه وأحصل بعدها على المزيد من المال كي أحيا كما أحلم؛ حياة مترفة بلا عمل وعناء..

هل أُطعم المساكين..

أنقذ الجياع المشردين..

أم أقـدِّم مـأوى لأولاد الشـوارع أحميهـم مـن الـبرد والضيـاع والمـوت..

لا لا لا، بـل أمنـع الحـروب وأنـشر السـلام، ولكـن كيـف.. فهـذا المبلـغ ورغـم ضخامتـه لا يسـتطيع تحقيـق كل تلـك الأمنيـات..

الشيء الوحيد القادر على إنقاذ العالم هو العلم..

فحين يسري تيار الوعي والعلم تتضح الصورة..

نعم هذا ما سأفعل؛ سأقيم مكتبة في كل حي..

سأعمل على توصيل العلم للجميع وبشتى الوسائل

سـأحرص عـلى ألا يظـل جاهـلٌ في كل مـن حـولي؛ فالجهـل طريق مظلم..

العلم ليس فقط القراءة والكتابة..

لكـن العلـم هـو النـور الـذي يـضيء القلـب، ويجعـل الوعـي يضـخ الطاقـة في شريـان البشريـة..

الوعـي هـو أن تقبـل الجميـع، وإن لم توافقهـم؛ فليـس القبـول بالـضرورة الموافقـة.

لكـن القبـول أول طريـق السـكون والطمأنينـة الداخليـة وفـض الاشـتباك الداخـلي لـكل فـردٍ منَّـا؛ فـكل إنسـانٍ عليـه أن يتعلـم البحث عـن نفسـه بداخلـه أولًا لكـي يخرج بعـد ذلـك نـوره للخـارج.

ابـدأ بنفسـك وتواصـل مـع ذاتـك الحقيقيـة، وبهـذا سـنخلع جميعًا الأقنعـة، ولـن يكون هنـاك حـروب ولا مزايـدات..

بالنور يتم إنقاذ البشر من أنفسهم..

بالتخـلي عـن أطماعـك الشـخصية يمكنـك أن تـرى المعنـى الحقيقـي للحيـاة.. ففـي بعـض التخـلي حيـاة..

اللعنة هذا ليس هاتفي، إنه هاتف نور صديقتي..

هذه الرسائل ليست لي..

إنها رسائل نور.. أم تلك رسائل من نور..

هيَّا إلى العمل لقد تأخر الوقت

***

السقوط الحر

بقلم/ مي مصطفى كامل

أحد الأحلام التي طالما تمنيت تحقيقها أن أتعلم القفز بالمظلة؛ فطوال عمري أحلم بأن أرى العالم من أعلى حيث كل شيء بحجمه الحقيقي.. حجم طبيعي بدون تدقيق وتوتُّر وتضخيم للمعاني بدون قرارات وأحكام مسبقة يتخيلها عقلي..

كنت وما زلت أحلم بالسقوط الحر..

سقوط بلا قيود سوى مظلة تحميني شر الارتطام والكسر..

كذلك حلمت أن اسقط في الحب سقوطًا حرًّا يخرج الأنثى والطفلة والمرأة الناضجة العنيدة القوية والضعيفة الهشة من داخلي..

ومرت الأيام وانزوى حُلمي في ركنٍ بعيدٍ وعلاه غبار الأيام والحياة بواقعها المرير وعبء المسؤوليات التي لا تنتهي حتى كدت أنساه وكاد يتوارى تمامًا من مخيلتي ومن قائمة أحلامي..

وجاء ذلك اليوم العجيب الذي رأيتك فيه ولم أعرف ماذا

حـدث.. طـار قلبـي مـن بـين ضلوعـي وقفـز كعصفـور صغـير ظـلَّ حبيـس الأَسْر حتـى نـسي هويتـه.. نـسي فائـدة جناحيـه.. نـسي أن لديـه القـدرة عـلى الطـيران والتحليـق..

ففقـدت عقـلي واتـزاني وحكمتـي المعهـودة، وافقـت عـلى نفـسي وأنـا أسـقط سـقوطًا حُـرًّا في بحـرٍ مـن المشـاعر ظننتهـا ماتـت أو رحلـت مـع رحيـل أحـلام الطفولـة والشـباب..

كيـف أعـادت نظراتـك إليَّ خفقـات القلـب وصرت أنتظـر حديثـك إليَّ لأرى لمعـة عينيـك وهـي تنظـر إلى عينـي.. فقـد قالـت عيوننـا مـا لم تسـتطع ألسـنتنا البـوح بـه..

وتوالـت اللقـاءات.. وفي كل مـرة، أعقـد العـزم عـلى أن أكـون صلبـة وقويـة، ومـا إن تتلاقـى أعيننـا ويـدور بينهـا حـوار صامـت حتـى يرتجـف قلبـي ويواصـل السـقوط.

حتـى حانـت لحظـة الارتطـام ولم أجـد حزامًـا في المظلـة وحـدث مـا كنـت أخشـاه مـن البدايـة.. تحطمـت حصـوني المنيعـة، وتهـاوت متاريـس قلبـي وصـارت مشـاعري أشـلاء مبعثـرة..

أعيـش الحيـاة مشـتتة غـير قـادرة عـلى جمـع أشـلائي تـتردد في أذني كلمـة واحـدة..

للسقوط الحُر قواعد لا بُدَّ أن تكوني حذرة..

وأنا لم أكن..

فسقطت..

وهويت صريعة هواك..

***

ندوب في الروح

بقلم/ مي مصطفى كامل

منذ عدة أعوام كنت أشعر بوجع متكرر يبدأ من إصبع قدمي ويصعد تدريجيًّا لأعلى ساقي لم أعِر الموضوع انتباهًا في بداية الأمر حتى بدأ يتكرر بشكل أكثر إيلامًا فبحثت عن مصدر الألم وفوجئت بشرخٍ عميقٍ في ظفر قدمي اليسرى..

كان هو مصدر الألم الشديد وخاصة عند الخروج من المنزل وانتعال الأحذية.

ذهبت مباشرة للطبيب المختص؛ فقال إنه مجرد شرخ عادي غير ملوَّث الحمد لله ناتج عن اصطدام أو ضغط لشيء ثقيل ووصف لي نوعًا من المقويات الموضعية للأظافر ومرَّ الوقت ولم يلتئم الشرخ بل بدأ لونه في التغير وأصبح شكله سيئًا فعاودت الذهاب إلى الطبيب؛ فقال إنه أصيب بنوع من الفطريات وسيحتاج لعلاج أقوى وعدم ارتداء أي حذاء ضيق، وقد يستغرق الأمر بعض الوقت حتى يعود لطبيعته.

وبالفعل بدأت العلاج وأصبحت أرتدي أحذية ذات قياس

أكـبر قليـلًا مـن قيـاسي حتـى تعـودت عـلى ذلـك وأصبـت بفوبيـا الاقـتراب مـن أرجـل المقاعـد أو الاقـتراب مـن أي شـخص يرتـدي حـذاءً ضخـمًا وأصبـح ابتعـادي عـن تلـك الأشـياء لا إرادي لدرجـة أننـي أصـاب بالتوتـر لـو اقـترب منـي شـخص منتعـلًا حـذاء ضخـمًا أو ذا كعـبٍ عريـضٍ دون أن أعـرف السـبب، وتسـيطر العصبيـة والتوتـر عـلى معظـم تصرفـاتي..

وبعـد فـترة جلسـت مـع نفسـي أحلـل أسـباب خـوفي الخفـي، اكتشـفت أنـه بسـبب ذلـك الـشرخ القديـم أصبـح خـوفي لا إرادي..

مـرت عـدة سـنين ولم يُشـفَ إصبعـي بـل كان كلـما يوشـك نمـو الظفـر الجديـد عـلى الاكتـمال يصـاب هـو الآخـر ويبـدأ الألم مـن البدايـة مـرة أخـرى حتـى تعـودت عليـه وأصبحـت أتحاشـى أي شيء جديـد أو أي شيء يزيـد ألمـي بـدون وعـي منـي بذلـك..

وبعـد مـرور فـترة كبـيرة، فوجئـت أنـه اختفـى تمامًـا وعـاد ظفري سـليمًا طبيعيًّـا جـدًّا، لكـن خـوفي مـن الاقـتراب مـن الأشـياء الصلبـة وأصحـاب الأحذيـة الضخمـة لم يذهـب..

تلـك قصـة ظفـر مصـاب؛ فهـل تتخيـل معـي شـكل إصابـة النّفـس وإصابـة القلـب..

حـين يصيبـك ألمٌ أو خـوفٌ ويـترك أثـرًا في نفسـك، وألمـًا داخـل روحـك، وتظـل تتجنـب مواجهـة ألمـك وتخشـى أن تبـوح بخوفـك الخفـي مـن تكـرار التجربـة والتعـرض لنفـس الألم مـرة أخـرى.. قـد يتضـاءل ألمـك مـع مـرور الزمـن ولكـن يبقـى داخلـك ندبـة صغـيرة

علامـة لوجعـك وحسرتـك.. ومـع مـرور الأيـام تتكاثـر النـدوب والعلامـات داخـل روحـك..

فـلا تـترك وجعـك بـلا دواء حتـى لا يـأتي يـومٌ ولا تـرى سـوى آثـار تلـك النـدوب المتراكمـة وقـد غـيَّرت روحـك وقلبـك وجعلـت منـك شـخصًا آخـر لا تعرفـه..

تعيش الحياة بروح مشوَّهة تملأها ندوب جراح غير ملتئمة..

نـدوب الجسـم تزيلهـا عمليـات التجميـل لكـن لم يسـتطع الطـب الوصـول لتجميـل نـدوب الـروح..

***

مجرد حلم

بقلم/ مي مصطفى كامل

نعـم أنـت حُلمـي الـذي طالمـا حلمـت بـه.. أنـت النبـض الـذي ظللـت سـنينَ طويلـة في انتظـار أن ينبـض بـك قلبـي.

لكنـك ظهـرت بعـد موعـدك بعقديـن كاملـين مـن الزمـان.. مـا زال الحلـم كـما هـو لكننـي أنـا مـن تغـيَّر لقـد كـبرت وخـط الشـيب رأسي وتعلمـت.

إنـه ليـس بالعشـق وحـده تقـوم الحيـاة.. الحيـاة ستسـتمر وتكتمل وربـما تنتهـي بـدون ذاك الوهـج؛ فـلا بُـدَّ لهـا أن تسـتمر رغـم أنـف الجميـع.

أمـا عنـي فأنـا أعلـم جيـدًا أننـي ممزعـة داخليًّـا بـين حُلـم العمـر والقـدر أو الواجـب..

لطالمـا كرهـت قـوتي وسـيطرتي البالغـة عـلى نفسي وعلى مشـاعري لكننـي الآن أحمـد الله عـلى تلـك القـدرة الفائقـة عـلى التحكـم..

أنـا فقـط أخشـى عليـك مـن ذلـك الوهـن الـذي رأيتـه في نـبرات صوتـك.. لا أريـد أن أكـون سـبب ألم أو جـرح..

لقــد أعــدت إليَّ قلبــي وعشــقي.. فــلا أريــد أن أكــون ســببًا لتعاســتك..

نعم أحبك.. لكن لم يعد الوقت مناسبًا.. فات الأوان..

لذلــك أنــت حلــمٌ جميــلٌ أضمــه في عينــيّ ليــلًا وســتبقى هكــذا حُلـمًا جميـلًا أتـى متأخـرًا..

ستبقى بداخلي حُلمًا

***

جبل السكر

بقلم/ إنجي أحمد سعد

كان ياما كان:

في محل الحلواني، عرائس مصنوعة من السُّكَّر جالسة تفكر.

وسكر على حصانه يقفز من رفٍّ إلى رفٍّ يملأ المكان بصيحات الفرح.

وسألته سكرة: لماذا أنت سعيدٌ هكذا؟

فأجاب: لأن المكان أصبح خاليًا لي وحصاني نجري ونقفز كما نريد.

تعجبت سكرة كثيرًا من رده: هل أنت سعيدٌ لأن كل طفل دخل المتجر في العيد اختار عرائس من البلاستيك ذات أضواء مبهرة حتى فرغ المتجر كله إلا منا نحن العرائس القديمة البالية أنظر إلى ثوبي أصبح ممزقًا وقديمًا.

والسيدة سفينة يغطيها التراب من الإهمال وأنظر إلى سرج حصانك إذا انقطع سقطت وأصبحت في خبر كان.

ونظـرت للأسـتاذ جمـل وفتحـت فمهـا لتقـول شـيئًا إلا أنـه تراجـع خطـوة وهـزَّ رأسـه نفيًـا فصمتـت!!

قالـت السـيدة سـفينة في حـزنٍ: ليـس بيدنـا شيء يـا سـكرة فنحـن هنـا منـذ سـنوات حتـى أصبحنـا رمـزًا لهـذا العيـد.

سـكرة: رمـز لا يهتـم بـه أحـد، ولكـن يمكـن أن نفعـل الكثـير سـيدة سـفينة.

الأستاذ جمل: ماذا ياسكرة.. ها؟

سكرة بإصرار: نعود لبلادنا.

السـيدة سـفينة وقـد فتحـت فمهـا مـن هـول المفاجـأة: هـا!! جبـل السـكر.

الأسـتاذ جمـل: إنهـا بعيـدة جـدًّا يـا ابنتـي ونحـن هنـا منـذ زمـنٍ بعيـدٍ.

سـكر: ولمـاذا نتعـب أنفسـنا ونخاطـر بحياتنـا في العـودة في حـين يمكننـا أن نجلـس هنـا ونلهـو ونمـرح كـما نريـد.

سـكرة بغضـبٍ واسـتنكار: لأن صاحـب المتجـر سـيعود في الصبـاح ليضعنـا في المخـزن ولـن نسـتطيع أن نـرى الضـوء حتـى العـام القـادم..

يا ذكي!!!

وعلى كل حال أنا سأعود من يريد منكم أن يأتي معي.

كانـت السـيدة سـفينة أول مـن رفـع يـده بالموافقـة، ثـم الأسـتاذ

جمل، وأراد الحصان أن يذهب معهم لكن لا يستطيع أن يترك سكر وحيدًا فأخفى رغبته، لكن الحزن ظهر في عينيه.

فقال الأستاذ جمل: ما الذي يخيفك يا سكر؟ ألا تحب القفز والجري مع حصانك إن جئت معنا ستجرى وتلهو كثيرًا وليس ليومٍ واحدٍ فقط.

تخيل سكر نفسه وهو يركب على ظهر حصانه ويجري في حرية دون توقف.

نعم.. هذا هو كل ما أريده، إذا سأعود معكم.

خرج الأصدقاء من نافذة المتجر وتعلقوا على شرائط الزينة التي يستخدمها البائع في ربط علب الحلوى.

ومشوا كثيرًا كان سكر يتقدمهم على حصانه وهو يصفر لحنًا جميلًا .

وفي المنتصف سكرة والسيدة سفينة ثم الأستاذ جمل.

كانت الرحلة طويلة ومتعبة.

فطلب الأستاذ جمل منهم أن يستريحوا قليلًا حين وصلوا إلى حديقة جميلة بها بحيرة صغيرة وأشجارًا عالية.

فنام الأصدقاء في ظِل الأشجار من شدة التعب.

واستيقظ سكر على صيحة مدوية إنها.. سكرة: النجدة..

اعتدل جالسًا ليجد الأستاذ جمل والسيدة سفينة يهربان بجانب البحيرة ومجموعة كبيرة من النمل تطاردهم وسكرة تجري ومجموعة أخرى من النمل تجري خلفها، وفجأة وجد

نفسه يتحرك وهو جالس فنظر إلى الأسفل ليجد مجموعة ثالثة تحمله وتجرى به إلى فتحة مستعمراتها الكبيرة فصرخ بدوره آ.. آ.. آ.. آ.. وقفز بعيدًا عن النمل.

لكن النمل كان يطاردهم في كل مكان حتى تجمعوا وسارت البحيرة خلفهم والنمل أمامهم وظن الجميع أنه لا مفر أن النمل يحب السكر كثيرًا، ونحن وجبة كبيرة يمكن أن تكفية طوال فترة الشتاء هكذا قالت سكرة.

وكان سكر غاضبًا جدًّا وقال: قلت لكم من البداية عن المخاطر التي بالخارج الآن يبدو هذا المخزن المظلم أفضل من معدة هذه النملات المتوحشة.

وقفزت السيدة سفينة في البحيرة وقالت: هيَّا كفوا عن الثرثرة وتشبثوا بي جيدًا حتى نعبر البحيرة، وفردت شراعها في اتجاه الرياح لكن السكر يذوب في الماء؛ فحين وصلوا للجانب الآخر كانت بدأت السيدة سفينة بالذوبان بالفعل ولم تعد قادرة على متابعة الهرب.

وظلت سكرة تعتذر وتلوم نفسها فلولا اقتراحها لما حدث أي ضرر لها.

لكن السيدة سفينة نظرت لها مبتسمة رغم آلامها وقالت: أنا اخترت العودة ياسكرة لا تحزني يا صديقتي يكفيني شرف المحاولة.

قال الأستاذ جمل: يجب أن ننقذها هناك بيت قريب فلنذهب إليه يمكن أن نجد مساعده.

حملوها جميعًا وعند باب البيت طرقوا الباب ثم وقفو دون حراك فأتت فتاة صغيرة لطيفة فرحت كثيرًا حين رأتهم فهى تحب العرائس جدًّا.

وأحضرت والدتها على الفور حتى ترى ماذا وجدت عند الباب.

قالت الأم: آه.. عرائس السكر الجميلة.

قالت سلوى: هل تعرفينها يا أمي؟

ضحكت الأم وقالت: نعم فأبي رحمه الله كان يحضر لي عروسة مثلها كل عام في المولد النبوي الشريف وكنت أحبها كثيرًا وفستانها الجميل ومروحتها التي تحملها على ظهرها ذات الألوان الفضية والأحمر والأخضر والأصفر اللامع.

حقًّا يا ابنتي أن أجمل الأيام أيام الطفولة.

لكن هذه متضررة يا أمي.

قالت الأم مطمئنة ابنتها: لا تحزني سأصلحها على الفور، وحملتهم إلى المطبخ ووضعت السكر والماء على النار وهي تغني الأغنية الشهيرة التي كانت تملأ شاشات التلفاز في ذكرى هذا الاحتفال كل عام.

سكر قراقيش والحلو من الله

تلبس كرانيش وتعيش إن شاالله

ليان للنشر ولتوزيع

كانت سلوى سعيدة جدًّا وهي تستمع لهذه الأغنية الجميلة.

حتى انتهت الأم من معالجة السيدة سفينة حتى بدأت بالاعتناء بهم جميعًا لتضع لهم ملابس جميلة برَّاقة بدلًا من البالية، ثم وضعتهم على رفٍ كبيرٍ في غرفة المعيشة بعيدًا عن يدِ ابنها الشقي الذي كلما رأى لعبة كسرها.

وحين جاء الليل ونام كلُّ مَن في البيت حتى عادت الحياة لعرائس السكر، وبعد أن اطمأنت على السيدة سفينة حتى عادت لرغبتها في العودة لبلادها، ولكن سكر كان مصرًّا على البقاء هذه المرة فلقد رأى من الأهوال ما يكفيه في الخارج وما الذي يجعلنا نرحل ثانية وقد وجدنا من يهتم بنا ويرعانا هنا.

كان هذا رأيه.

لكن سكرة كان لها رأي آخر لقد زاد إصرارها؛ فهي لن تجد الأمان إلا في بلادها إنها بلادنا يا سكر نحن منها وهي لنا.

وكانت السيدة سفينة أول الموافقين ثانيًا.

قال سكر: كيف بعد كل ما حدث لك تثقين بها مرة أخرى؟

السيدة سفينه: إني أفتقد بلادي وأهلي وأصدقائي يا سكر وهم يستحقون المغامرة بحياتي آلاف المرات.

وخرج الأصدقاء مرة أخرى إلى الطريق ولكن دون سكر وحصانه الذي لم يحب أن يتركه وحيدًا فهو صديقه.

وفي الصباح كانت الأم منشغلة في المطبخ فصعد سمير الولد الشقي وأحضر سكر وحصانه من الرف ليلعب معه ويبارزه بالسيف؛ فوقع سكر من على ظهر حصانه وكسرت ساقه فأخذه سمير ورما به من الشباك حتى لا تعرف أمه وتوبخه.

فحمله الحصان على ظهره وهو يتألم كثيرًا وجرى به أيامًا كثيرة حتى وصل إلى جبل السكر وكان سكر نائمًا على ظهر حصانه فاقد الوعي.

وحين استيقظ وجد نفسه على الفراش وقد ضمدت جراحه وأصدقاؤه حوله.

فسأل سكر: أين أنا؟

هيَّا لترى أين نحن ضع يدك على كتفي وساندته حتى خرج من المنزل ليرى أمامه جبل السكر وبيوت سكانه المتراصة في شكلٍ جميلٍ.

فقال: إن بلادنا جميلة جدًّا..

أنتِ على حق يا سكرة فنحن منها وهي لنا.

***

شبع

بقلم/ عمرو إكرام

مش قادر أشبع منها
فخيالي بها تجهم في واقع وجودها
بجانبي، حيث دوام اشتياقي لها
وتوحشي بعدم قبول نفسي
من غيرها - فأنا أهم وأغلى منها
إذ إني لا أملك نفسي
فأنا ملكها، وهي أغلى الكائنات
فأنا غالي وأنا منها، أشبع من نفسي إزاي؟
بتوحشني أكثر وهي معي
الله يكون في عون خيالي وهي مش معايا
أصبحت البداية وأمست النهاية التي لن تأتي
إلا بخلاص أنفاسها في رئتي
ألجمت جموحي تجاهها، حتى تصير بحريتها

لكي تشعل خيالي في واقع وجودها أكثر

يرجعني لنفس نقطة السؤال:

هل أقدر أشبع منها؟

***

دموع

بقلم/ عمرو إكرام

لو الدموع حاترجّع الزمن كنا ذرفناها
الأصول تاهت من كتر السواد اللي جوانا
كله دخل في قبره
من غير طريق للرجوع
من غير متاهة
عن إيه بتترحّم؟
اما لازم تسترجع
تسترجع نفسك إللي تاهت
في سواد زحمة الطريق
ما بين روحك.. ونفسك
عالمك المفروض
حائل من الوصول
لو الدموع حاتوصل، إيه الفايدة؟

أما تبقى من روح مبتورة

الحياة أمل وأمل ماتت

ما اتبقاش منها غير

دموعك المزروفة على حياة ولت

وروح مبتورة تآكلت

من وقع ذنب فائت

ولكن. استفاضت الروح، لثورة النفس

من وقع الدموع

وشدة الآلام

فلا بُدّ أن يأتي النور

بعد الآلام.

***

وجودها

بقلم/ عمرو إكرام

في وجودها اشتياق، وفي غيابها حسرة
في ثناياها معنى للتدبر، ومغزى للمعنى
ففي ثناياها أنا أحيا، ومن خلال وجودها
أستقطب انفاسي، فلي رب
أحمده وأشكره على عطاياه لي
فهي مغزى رضاء إلهي عني
فهل أنا استحق؟
الثقة في الشعور، قبل الواقع
ملازمة النفس، قبل الأشياء
واستسلام الروح.. لمقادير الشعور
ففي ابتسامتها طمأنينة، وفي..
أنأى بداعي الغيرة أن أصف
تلك الأحاسيس التي أعادت

الروح إلى نفس كانت
عندما تتفهم كيف أن الشيطان
كان أصله ملاك
والملاك يشع ضوءًا مضواء
بجمال أقوى في الاستتار
مطلقة روح من مكنون سجنه
غصة الحياة ليس لها مداواة
بها، ظهر السبيل واكتمل المتنفس الدائم
فلم يعد هناك شكوك، تجاه النفس
قبل الغير، الأمان، الطمأنينة، الامتلاء
عندما يعطي شخص، معنى ومغزى
للحياة المنوطة في كنف التفاهم
مشوبًا بحب، مزايدًا عليه
ويستزيده، معطيًا حواسًا
مختلفة لنفس المعنى،
معنى وجود شخص - فعندما
تصل للمعنى لا تنفك الاستغناء
عنه أو إضاعته، فهي اتجاهك
لدرجة لم تعد تعرف نفسك، بدونها

وأنت أعلم الأشخاص، بإضاعة الأنفس

فلن تتوانى وتجد نفسك للشخص

الذي بحثت كثيرًا لتجده

أو تتعرفه - أنت، بها

جرأتك وليست امرأتك

ملاذك وليست حكرك

ففي عينيها..

أنأى بداعي الغيرة أن أصف

فهي الوسيلة والغاية.

***

ليست كالنساء

بقلم/ ريهام عبدالله

لم أستطع أن أمنع عيني من مراقبتها كانت تتحدث معي وكأنها تعرفني منذ زمن وأنا حتى لا أعرف من تكون، ظلت عيني تجول في رحابها وأرجاء أجوائها حتى أتعرفها مَن هذه التي طغت بحضورها على كل الحضور، مَن تكون هذه المبتهجة وكأن الدنيا لا تعنيها؟ هل لاحظها أحد غيري؟ لماذا لم تتحدث معي؟ أتعاقبني لأني لم أرد على استفسارها لم تلقِ بالًا لوجودي، كنت أتحاشاها ثمة شيء يخبرني بأن الأقتراب منها خطر. ولكن كلماتها تجعلك تقترب دون إرادة منك، سحرتني كلماتها دون أن أدري، مَن هي تلك التي هزت كياني وجعلتني أود محادثتها حتى تكرمت هي يومًا.

صوتها ناعمٌ حنون جعلني أتذكرها هل هناك قاسم مشترك بينهما، لماذا هي مَن شغلت بالي وتفكيرى أتراها تعويض من القدر عن هذا الهجران الذي كان، ماذا يحدث أيعاقبني ربي بحيرتي تلك عما فعلته؟

بت أترقب لقياها وكأن في لقائي معها ما سيحسم تلك الحيرة التي تنهش أرجاء كياني، ولكني في حضرتها وجدتني ساجدًا عابدًا لعينيها، كنت أتحاشى النظر إليها، ولكني وقعت صريعًا لها ولم أدرِ ماذا أفعل؟

أخذتني حيرتي وكنت أَوَدُّ لو أبتعد عنها، كنت أعلم أن منحنى الخطر يزيد، وأن في الأمر شيئًا جللًا سيحدث، ولكنه القلب الذي أبى وتمادَى في عناده معي، كفرَ عقلي بالحب وآمن هو به وإيمانه هذا جعله يتمادى ليثبت لي أن من حقه أن يحب مرةً أخرى.. يا صديقي لقد نفدَ رصيدكم ولم يعد يجدي شحن البطاقة، ولكنه تمادى ولم يعد ما أقول ذا نفعٍ معه فتملكتني الحيرة في حضرتها وعند مهاتفتها أضحيت كائنًا لا يُطَاق كانت لا تعي ماذا أفعل ولا تعرف لماذا يعتريني الجنون غير أنها كانت تصبر وتحتسب وهي تريد أن تساعدني، لم تعلم أن في بعادي عنها مساعدة لي حتى كان الصدام لم تحتمل هذا الجنان فخيرتني بأن نظل أصدقاء أو لا نعرف بعضنا البعض بعد الآن وأمهلتني ٢٤ ساعة فقط، من هي لتفعل ذلك مهلة قصيرة سيتحدد على أثرها مصير قلب مهترئ ضاقت به السبل حتى بات لا يعلم ماذا عساه أن يفعل.. ليتها تعلم أني أخاف على قلبها مني وما فعلته سوى من خشيتي عليها إنها لا تعلم ما أعلم ولا أعرف إن كانت تشعر بما يعتمل في قلبي تجاهها أم لا، ولكن فراقها يمزقني، ولم أعد أحتمل بعادها تكفيني صداقتها؛ فهي لي ترياق

لتلك السموم التي رأيتها في حياتي أعلم هذا فهي ليست ككل النساء اللواتي عرفتهن فلقد أجادت صديقتي الحضور.

– ماذا أصابك اليوم؟ صامتًا على غير العادة.

- لا أدرى ولكنها تلك الوحشة التي تعتمل في نفسى كلما جاء الميعاد.

– سيكون لنا لقاءً مجددًا.

- أعلم ولكنها سويعات نختطفها من يدِ الزمن، لماذا لا تريدين الذهاب لمكان مُعيَّن هل جلوسك هنا على الرصيف يريحك؟

ضحكت بتلقائيتها المعهوده وقالت: يا صديقي إن المكان ليس بعظمته التي قد يكون عليها، ولكن بتلك الصحبة التي تجدها فيه.

أخشى ما أخشاه أن أقع في حبِّك يا سيدتي؛ فلم يعد بالبنك أي رصيد آخر للحب.

– ماذا أَلمَّ بك؟ حالك قد تغير؟

- أعلم..

– الكل يلاحظ التغيير الذي طرأ عليك.

- أعلم.

– مَن سبب هذا التغيير؟

- صديقة لي.

- احذر فقد يتطور الأمر وتحبها.

آثـرت الصمـت فلقـد تطـور الأمـر فصديقتـي ليسـت كالنسـاء لقـد أحببتهـا وسـأكمل معهـا الرحلـة فهـي تسـتحق.

***

لمَ ليس الآن؟

بقلم/ زينب خيري الحديدي

مضى شهران على مغادرة والدها للمشفى؛ فقد أصابته وعكة صحية لزم على إثرها إحدى المستشفيات لأسبوعين اقترب فيهما حد الموت، ولكن عناية الله قد حفظته، كانت تظن أن تلك مثلها، ولكنها كانت مختلفة هذه المرة؛ فقد غيَّرت حياتها للأبد، استيقظت على صوت والدها يتألم بشدة؛ فهو مريض بذلك الفيروس اللعين، فيروس سي، تلك كانت المرة الأولى التي ترى فيها والدها يتألم هذا الألم.. ألمه زلزل كيانهم؛ فقد اعتادوا عليه قويًّا لا يهزه أيُّ شيءٍ مضى على اكتشافه لذلك المرض خمس سنوات، ولكنهم لم يروا مقدار ما يتحمله من ألمٍ سوى الآن؛ فقد رفَضَ الدواء والطعام معًا.. كان ذلك عشية يوم الأحد أحضروا له الطبيب، ولكنه أصر على رفضه للدواء وأخذ في النداء على زوجته ووالدته التي توفيت منذ ما يقرب من خمس وثلاثين عامًا كانوا قد قرروا الذهاب في اليوم التالي إلى المشفى لم تذهب في

ذلـك اليـوم إلى عملهـا، لم تـدرك السـبب لكنهـا أصرت عـلى ذلك كان الألم، قـد هـدأ قليـلًا، ولكـن حركـة والدهـا أربكتهـم وعندمـا نظرت إلى عينيـه لم يكـن يراهـا؛ فقـد تكـوَّن غشـاء رقيـق عـلى عينيـه وقـد حجـب عنهـما الرؤيـة. سـارع الأطبـاء في وضـع المحاليـل لوالدهـا فهـدأ جسـده عـن الحركـة حينهـا بـدأت شـفتها تتمتم بآيـات القـرآن لتحفـظ والدهـا، سـمعت همسًـا خفيفًـا لوالدهـا، ولكنهـا لم تفهـم.. بـدأت حبـات العـرق تتجمـع فـوق جبينـه وأخـذت تمسـحها تتابـع شـهيق وزفـير والدهـا، وعندمـا أنهى تلـك المحاليـل توقفت أنفاسـه.. نعـم كـما قـرأت.. توقفـت أنفاسـه.. فـارق الحيـاة.. هـل تعـي ذلـك؟ لم يفهـم عقلهـا مـا حـدثَ حولهـا بكـت عيناهـا، تسـاقطت دموعهـا بـل أحرقتهـا، أحسـت حينهـا وكأنهـا فقـدت الحيـاة، أظلـم العـالم مـن حولـه،ا اجتمـع الأطبـاء حـول والدهـا وسـألت أحدهـم هـل أبي حـيٌّ فليسـاعده أحدكـم، ولكـن حكـت الوجـوه مـا حـدثَ.. عـادوا إلى منزلهـم طـول طريقهـم لم تكـف عـن ترديـد الآيـات والبـكاء كان يقطعـه صـوتٌ مكتـومٌ، خافـت أن تتـالم روح والدهـا بسـببها بعـد أن وصلـوا إلى البيـت لم تـعِ مـا يحـدث، لم يـدر بخلدهـا سـوى أن تراقـب تنفـس والدهـا لعلـه أَغمـى عليـه ووضعـت أصابعهـا عـلى عنـق والدهـا تراقـب نبضـه لم يبعادهـا عنـه سـوى سـماع صـوت أحدهـم أن الوقـت حـان كـي نجهـز والـدك. اختلفـت الحيـاة بـل العـالم مـن حولهـا بعـد أن انتهـت مراسـم الدفـن أخـذت الأحـداث تتسـارع، في عقلهـا كلـمات والدهـا لم يـدر أحدهـم أنـه كان الـوداع أوجعهـا

تأجيلها للكثير من الأشياء التي لم تبح بها له يومًا، كانت تنتظر أن ترى ثمار مجهودها لتجعل والدها يفخر بها حركاته داخل الحياة كانت مثمرة لمن حوله ويرى أثرها الجميع ما جعلها تنتظر لتحقق جزءًا لتريه نتاج ما زرعه بها طوال حياته.. حقًّا لا تنتظر اللحظة المناسبة لك لتبوح بمشاعرك ربما لن تكون المناسبة حقًّا ربما تكون حينها هي الوداع..

***

خداع

بقلم/ زينب خيري الحديدي

لما تجد أمامها حيلة إلا أن تستقل القطار ليست من وسائل التنقل التي تحبها تلك الكلمات من الطفولة قد علقت بذاكرتها حوادث متكررة، إحداهما انزلقت بين عجلات القطار، وآخر سقط من القطار ليس أمامها خيار سوى القطار وصلت إلى المحطة وهي تنفجر غضبًا لأنها تأخرت للحاق بالباص، وعليها أن تكمل رحلتها عبر القطار. اختارت مكانًا بجوار النافذة لتراقب الطريق وتنسى قلقها فإذا بشخص غريب المظهر علامات الريبة تظهر على وجهه وفي حركاته يجلس بالكرسي المقابل لها صرخت داخلها ياالله ها هي الحبكة قد اكتملت ظل نظره موجهًا إليها، أخرجت تليفونها لتظهر انشغالها حتى لا يظهر القلق على ملامحها انطلق القطار وقلقها يزداد، النظرات التي كان يختلسها هذا الشخص جعلت عقلها يتذكر أكثر المواقف رعبًا، وبدأ الحديث موجهًا إليها الكلمات وهي تتحاشى النظر باتجاهه أو التفاعل مع حديثه.. وهنا رن جرس الهاتف، إنها

والدتهـا دائـمًا مـا تنقذهـا ولكنهـا أخبرتهـا أن لا تتأخـر في العـودة وأغلقـت الهاتـف وهـو مسترسـل في الحديـث موقـف هنـا وهنـاك، وبـدأ القلـق يختفـي عندمـا أدركـت مـن خـلال حديثـه أنـه شـخص عـادي لا يسـتحق تلـك الدرامـا التـي صنعتهـا حولـه؛ فحديثـه كان عـن فـيرس كورونـا ونِسَـب الإصابـة بـه حـول العـالم وتبرريـه لغلـق المسـاجد والتزامـه طـوال العـام المنـصرم بالصـلاة في المسـجد وهنـا وصـل القطـار لمحطتهـا.. ابتسـمت وأكملـت المسـير.

***

غرفة الأحلام

بقلم/ سارة عثمان

في تلك الغرفة التي تطلق عليها «غرفة الأحلام»، فهي مكانها المفضل الذي تهوي إليه دائمًا لكتابة بعض السطور التي تدور بخاطرها، لتستأنس بالروايات والكتب أعز أصدقائها. فهذه مملكتها التي تفصلها عن كل الضغوط التي تحاصر واقعها.

منذ أن تفتح باب الغرفة تشعر وكأن طاقة إيجابية تزفك إلى الداخل، لون الجدران التركوازي المكتوب عليها مقولات مأثورة، الأريكة الملونة التي تُشعرك وكأنك في حديقة وسط الأغصان والأزهار الجميلة، السقف المرسوم عليه نجوم ذهبية اللون، النجفة التي تضيء وتطفي بالريموت وتضفي ألوانًا عديدة تنعكس على الغرفة، وتلك الشرفة الكبيرة التي تطل على النيل تجعلك تخزن يوميًّا قدرًا من الراحة والاطمئنان الداخلي بمجرد النظر منها.

تلك الغرفة التي أعدتها «ليلى» بإتقان تام دون غيرها في منزل جاردن سيتي الذي انتقلت للعيش فيه هي و «إبراهيم»

ابنها منذ أن بلغ الرابعة عشر من عمره. فقد عزمت أن تجعل كل شيء مختلفًا، تجعل المنزل يعكس شخصيتها وإحساسها. أرادت أن تجعل إبراهيم يشعر بالجمال في كل شيء حوله، يحب منزله، غرفته، ينتمي إلى تلك المملكة التي يقطنها هو وأمه.

أخذت تكتب مذكرتها على ألحان موسيقى عمر خيرت العذبة الرقيقة وتستطرد:

أنا اليوم في غاية السعادة، أشعر وكأن الله أعطاني وسامًا على صدري، فكم من علامات عديدة لئلا أندم على قرارتي السابقة؛ فأنا تأكدت أن هناك حكمة إلهية لابتعاد بعض الأشخاص من حياتنا، فقد نقاوم ونرفض القدر في البداية وقلوبنا تنفطر من الوجع والحنين، ولكن تأتي لحظة والله يثبت لنا أن قدرنا كان في مصلحتنا.

شاهدت اليوم ذلك الرجل الصغير الذي ينبهر به كل معلميه، ذلك الفتى الذي خطف قلبي من أول وهلة، جاءني وأنا في مقتبل زواجي، كم شعرت في البداية كأنه قيد يقيدني في تصرفاتي وحياتي؛ فأنا لا زلت شابة صغيرة ترغب بالاستمتاع بحياتها لوقتٍ ما، لقد اكتأبت واختلطت مشاعري كلها، فجأة شعرت وكأني ارتبط به بشدة بالرغم أني لا أراه، ولكن أشعر بكل تحركاته بداخلي، إحساس غريب يتملك منك لا تستطيعي وصفه، ولكنه إحساس رائع بأن يشعر هذا الصغير بأنه يرى الدنيا من خلالك، يتعلم كل الحياة منك، حينئذ تشعرين بمعنى

تلك الكلمة، الأمومة التي تجعلكِ دائمًا تظلين قوية لمواجهة أي شيء مهما كان.

منذ أن أمسكت بيديه وعلمته كيف يمشي خطوات معدودة وأنا أشعر بالقوة، أو على الأقل أتظاهر بها أمامه، فأنا مصدر الأمان بالنسبة له، أنا مرآته على الحياة التي يجب أن يرى فيها صورته بوضوح ويثق في انطباعها دائمًا.

كيف مر الوقت بتلك السرعة؟ متى تحول إبراهيم «طفلي الصغير» إلى «إبراهيم» دكتور التنمية البشرية المرموق الذي يلقي بمحاضرات يحضرها الآلاف من الشباب للاستفادة والاستماع لكلامه السهل الممتنع، والتمتع بأسلوبه الجذاب في المناقشات.

دائمًا سأفتخر بك يا أعز من امتلك قلبي، ستظل أكبر إنجاز لي في حياتي

فتلك الكراسة هي السرُّ الوحيد الذي أخفيه عليك، فيها كل ما أردت أن أقوله لك ولم أستطع، كل إحساس ضعف أخفيتُه عنك يومًا ما لتراني دائمًا قوية، كل إحباط حوَّلته إلى أملٍ من أجلك، من أجل سعادتك يا صاحب سعادة حياتي كلها..

يومًا ما سيقرأها إبراهيم ويعلم ماذا تحملت من أجله، ماذا فعلت لأجعله ينمو في جوٍّ مستقر دون أي شوائب، وقتها سيكون قد تعلَّم الدرس..

وهي تنهي آخر سطور في مذكراتها، دق «إبراهيم» باب الغرفة..

- إيـه يـا لـولا، قافلـة عليكـي الأوضـة ولا معـبراني مـن سـاعتها، ينفــع كده؟

- معلـش يـا حبيبـي، إنـت عـارف، دي سـاعة الفصـلان بتاعتـي الـلي مصـبراني عـلى حاجـات كتـير.

- طـب آدينـي أهـو سـبيتك سـاعة الفصـلان براحتـك، فـين بقـى الكواليتـي تايـم بتاعنـا؟ ولا خـلاص كـبرت عليـه؟

- عنـدك حـق، إحنـا لازم نلتـزم باتفاقاتنـا، أنـا عامـه خلصـت أهـو، ومركـزة معـاك جـدًّا.

- تمام هو ده الكلام.

- قولي، أخبار الشغل إيه؟

- يعني تمام، شغال.

- صوتك مش عجبني.

- لأ أنا بس مرهق النهارده شوية ومصدوم شويتين.

- ليه يا حبيبي بس، خير؟

- تخيـلي يـا مامـا إن فيـه إنسـان ممكـن فجـأة يقـرر ينهـي حياتـه علشـان يعـرف المجهـول، علشـان مـش عـاوز المـوت يفاجئـه، فهـو يروحلـه بـكل شـجاعة، وده طبعًـا مـن وجهـة نظـره.

- يا ساتر يا رب، ليه بس كده؟، ده حد تعرفه؟

- آه يـا مامـا للأسـف، ده مصطفـى النجـار، الـلي كان معايـا في المدرسـة زمـان وبعديـن نقـل، فاكـراه؟

- مصطفى؟ آه طبعًا فاكراه ده كان شاب زي القمر وأهله ناس محترمين أوي. ليه بس كده يا مصطفى؟

- آه ده مامته كانت حتروح فيها أول ما سمعت الخبر.

- ربنا يصبر أهله يا ابني، أنا مش مصدقة لغاية دلوقتي إنه انتحر فجأة كده.

- هو كان بقاله فترة كده متغير، وأفكاره كانت مريبة شوية ومشتتة، كل لما نيجي نتناقش في أي حاجة ألاقي كل آرائه سلبية وكئيبة لدرجة إني في الآخر حسيت إني لازم أبعد عنه شوية من كتر الطاقة السلبية اللي بتهب عليّا فجأة لما أشوفه.

- لا حول ولا قوة إلا بالله ربنا يصبر أمه، ديه حاجة توجع أوي.

- طب بقولك إيه ماتيجي تغيّر الموضوع شويه بقى، قوليلي إنتي عاملة إيه بقى في موضوع الشغل اللي كان مضايقك بقاله فترة؟

- ولا حاجة يا حبيبي، سيباها على ربنا، الأرزاق بإيد ربنا، وآديني أهو بقيت بلعب «كيك بوكسيج» الفترة دي، فلازم يبقى خايف على نفسه أستاذ عباس ده.

- ههههه، «كيك بوكسينج»، لأ دا إنتي انحرفتي أوي يا لولا.

- بس بجد قوليلي وصلتي معاه لإيه في قصة «طفل الشارع» اللي إنت نفسك تكتبيها دي؟

- هــو يــا ســيدي شــايفني بفتــح مواضيــع كئيبــة للــرأي العــام دلوقتــي، لازم نتكلــم عــلى الإنجــازات شــوية، بيقــولي «بــصي عــلى نــص الكوبيايــة المليــان»، تخيــل إننــا لمــا نواجــه مشــاكلنا بشــجاعة بقــت اســمها كآبــة دلوقتــي وإننــا نــاس محبطــة للــرأي العــام كــده..

- همــا الــلي خسرانــين عــلى فكــرة، يــا لــولا إنتــي كلامــك مــن دهــب والله.

- حبيبي يا أحلى ابن في الدنيا.

لتنقطــع فجــأة الكهربــاء ويكســو الظــلام الغرفــة وينهــي معــه مناقشــة هــذا اليــوم..

***

خمسة جنيهات

بقلم/ رغدة المصري

اسمي (نورا) أبلغ من العمر تسعة عشر عامًا وقد حظيت بقصتي في المتحف المصري، لقد كان لكل يوم بالمتحف قصته لكنني تعلمت في هذا اليوم درسًا قد يكون من ألطف الدروس التي قد أتعلمها بحياتي وهو ألا أستسلم، وكلما أصررت على هدفي كلما ازدادت فرصي في تحقيقه.

كان لدي تدريب إرشاد بالمتحف المصري حيث أتولى مهمة الشرح في جولة داخل المتحف مع إحدى الأسر المصرية، وعليَّ الانتظار طويلًا نظرًا لطول قائمة المتدربين كما أن جوّ المتحف ساخنًا والتهوية ضعيفة، أشعر معها بالاختناق الذي يصيبني بدوره بحالة من الإعياء لكن كان لدي الإصرار على تحدي نفسي وتحقيق هدفي بإنهاء ثلاثين يومًا من الإرشاد بجولات كاملة..

وأخيرًا بدأت جولتي مع رجل وزوجته أحببت تسميتهم (أحمد) و (ياسمين)، بدا على (ياسمين) و (أحمد) الملل وعدم

الاهتمام منذ بداية الجولة، ولكن تجاهلت الأمر فلم أدع الأمر يحبطني، فكلما مررت على أحد التماثيل أقوم بسرد كل ما تعلمته في الأيام القليلة الماضية التي قضيتها بالمتحف ونتنقل من مكان إلى آخر دون توقف وهما يسيران معي في حالة من السكون مع القليل من الأسئلة بوجه متجهم، إلى أن بدا عليهما التردد ووقفا في مكانهما واقترب مني (أحمد) بعد أن لكزته (ياسمين) ليقول:

«يمكنكِ الانصراف فنحن لا نريد إضاعة وقتِك.»

أبيت الانسحاب فأخبرته بحماسة وإصرار:

«هذا ما أقوم به كما أن هذا ما جئت من أجله، فلا تقلق، هذا استثمار لوقتي ليس إهدارًا له.»

ابتسم (أحمد) ابتسامة باهتة قد فهمت معناها، ولكن لم أهتم لها كثيرًا؛ فأنا لم أمضِ ساعتين في الانتظار لأرحل بعد نصف ساعة من جولتي فاستسلما أمام إصراري، ومضى الزوجان للسير مرة أخرى فانتهيت من الطابق الأول، وبعد أن انتهينا من قاعة توت عنخ آمون بالطابق الثاني أمسك (أحمد) يدي بقوة ووضع بها خمسة جنيهات فابتسمت وأنا أتساءل:

«ما هذا؟»

و (أحمد) يقول بإصرار وهو يبتسم:

«خذيهم، هذا شيء بسيط وسنكمل سيرنا من هنا، شكرًا لكِ.»

فأخبرته أنني لا أقبل نقودًا؛ فهذا مجرد تدريب وسياسة المتحف لا تسمح بذلك، كما أن الجولة أوشكَتْ على الانتهاء ثم طلبت منه أن يأذن لي بإتمام الجولة فأصر بشدة على إعطائي النقود والرحيل فلم أتمالك نفسي من الضحك وأنا أعيد له المال فأخبرني بعد أن أصابه اليأس أن الخمسة جنيهات ما هي إلا تعبيرٌ عما أصابهما من ملل وأنهما يريدان الرحيل والتجول وحدهما، اعتذرت له وأخبرته أنني لم أكن لأدع فرصة إتمام الجولة إلى نهايتها ثم ودعتهما.

وقفت أنظر إليهما وهما ينطلقان بالمكان كسجناء أطلق سراحهما توًّا، وهما يسيران بحماسة وخفة وسعادة بينما يقبض (أحمد) على يد (ياسمين) ويشير يمينًا ويسارًا وهما يتشاركان تلك الابتسامة المرحة.

***

من أنا؟ !

بقلم/ رشا جمعة

فأنـا التائهـة داخـل غربـة نفـسي أعمـل دائـمًا لراحـة الجميـع، أمـا عنـي فكنـت أظـن أني لا أريـد شـيئًا، فراحتـي أسـتمدها مـن راحتهـم.

وسعادتي عندما أرى لمعة أعينهم بفرحة غمرت قلوبهم.

كنـت أشـعر وكأن نبضـات قلبـي ترقـص عـلى لحـن ضحكاتهـم وهـم ييحتضنـوني بحـب وهـم يقولـون بصـوتٍ تملأه الفرحـة كيـف تعرفـين مـا نريـد ومـا نحـب وتفعلينـه حتـى بـدون أن نطلـب ذلـك.

عندما كان يسألني أحدهم هل تريدين شيئًا؟

كنـت أرد عـلى الفـور: «لا أريـد، فـلا أحـب أن أكـون عبئًـا عـلى أحـد، فـكلٌ لديـه همومـه.»

«وماذا عنك أليست لديك هموم؟»

«بالطبع لديَ، ولكن ليس مثلهم أو هكذا كنت أظن

فأنـا تزوجـت وأنـا في سـن الثلاثـين، وبعـد زواجـي بسـنتين

زوجي توفاه الله بعد أن صلى صلاة الفجر وهو جالسٌ على سجادة الصلاة، ماسكًا سبحته التي كانت تصاحبه دائمًا ولم تفارقه فكانت هي أول مودعيه.

ولم أرزق منه بأطفال، ولم أرغب بالزواج مرة أخرى.

فعشت أنا وأمي يأنس كلٌّ منا بالآخر، فأمي هي ذلك الحصن الذي أحتمي به دائمًا عندما تهب على عواصف الحياة هي أماني ومأمني، أشعر بجانبها وكأنني أمتلك القوة على تغيير هذا العالم إلى جنة يسعد كل سكانها بعضهم البعض ليحيوا في عالم مليء بالحب.

وهذا ما كنت أفعله؛ فكان ملاذي مساعدة كل من حولي أخواتي وأبنائهم، أصدقائي، جيراني أفعل كل شيء وأي شيء لإسعادهم، كنت في بعض الأحيان أتمنى لو أن معي عصا سحرية تحقق لكل من حولي كل أمانيهم وأحلامهم.

فرؤية الفرحة في عيونهم كانت بمثابة حافز لي يدفعني لإعطاء المزيد والمزيد من المساعدة بكل الود.

إلى أن أتت اللحظة التي فقدت فيها أمي..

شعرت وكأن الكون أصبح فارغًا من حولي شعرت كأن قوايَ تخور لم أعد أقوى على فعل شيء وكأنني كنت أستمد روح الحياة منها..

والذي زاد شعوري هذا أن كل من حولي اكتفوا فقط بالسؤال

عنـي عـبر هواتـف معدنيـة، مـن خـلال مكالمات أو رسـائل خاليـة مـن المشـاعر، ونوافـذ عـالم افـتراضي سرق مـن الجميـع متعـة التقـاء العيـون للمواسـاة والربـط عـلى كتـف بعضنـا البعـض بـود وحنـان، حتـى إخـوتي الذيـن أعلـم أنهـم يتألمـون مثـلي لفراقهـا ولكـن لـكل منهـم بيـت وحيـاة تلهيهـم وتسـليهم بعـض الوقـت.

والـذي أثـار دهشـتي جملـة مشـتركة بـين الجميـع وهـي نعلـم أنـك قويـة وتسـتطعين أن تعـبري هـذه المشـاعر وإذا أردت شـيئًا لا تـترددي أن تطلبـي!!

وهـل مـن المفـروض أن أطلـب في مثـل هـذه الظـروف التـي أمـرُّ بهـا!!!

فأنا دائمًا ما أشعر بما يريدون وأفعله لراحتهم..

هـل أنـا فعـلًا بهـذه القـوة التـي أسـتطيع بهـا مواجهـة هـذا الحـزن الـذي يعتريني ويمـزق جنبـات صـدري..

فحتى عند موت زوجي لم أشعر بمثل هذا الحزن..

أم تـرى أننـي هربـت منـه ولم أواجهـه، هربـت إلى حصنـي (حضن أمـي) فوجودهـا بجانبـي كان بمثابـة مسـكِّن لـكل آلامي.

لا أعرف، فأخذت ورقة وقلمًا..

وجلست مع نفسي أحدثها.

ماذا تريدين؟ وكانت المفاجأة

لا أعرف ماذا أريد..

فأنا طوال عمري وخصوصًا في العشر سنوات الأخيرة شغلت نفسي بما يريده الآخرون، ولم أجلس مع نفسي وأسألها ماذا تريدين؟

وكأنني كنت أهرب من نفسي ولا أريد أن أحدِّثها لأنني أخاف من شيءٍ..

أخاف مما أواجه الآن.. أخاف من الوحدة..

هربت من نفسي بنفسي وعشت حياة كل من حولي..

انغمست في حياة كلٍّ منهم لأحقق أحلامهم وأمانيهم، أحزن حزنهم، وأفرح فرحهم، وها أنا أنتظر منهم أن يشعروا بي مثلما شعرت بهم

وإذا بنفسي تفاجئني بسؤال:

وهل طلب منك أحدهم ما كنت تفعلين؟

فكانت أجابتي:

لا لم يطلب أحد ولكنني كنت أفعل هذا لإسعادهم.

فداهمتني بسؤال آخر: وماذا عنك؟ ما هو الشيء الذي كنت تفعلينه لإسعاد نفسك؟

لا أعرف فطالما أفعل ما يسعد غيري لا ما يسعدني أنا فسعادتي من سعادتهم.

فردَّت عليَّ نفسي: كيف تنتظرين ممن حولك أن يفعلوا لك شيئًا أنت نفسك لا تعرفينه عنكِ؟!!!

لن يستطيع أحدٌ أن يساعدك إلا عندما تعرفين أنت ماذا تريدين وتطلبين هذا بنفسك.

لن يفهمك أحدٌ قبل أن تفهمي أنتِ نفسك أولًا..

لا تهربي من أمرٍ؛ لأنه مهما مرت عليك السنون ستجدين نفسك تواجهينه وجهًا لوجه..

وها أنا ذا أواجه نفسي التي ظللت أهرب منها لنعرف سويًّا..

مَن أنا وماذا أريد؟!!

بحثت كثيرًا بداخلي لأجد إجابة لهذا السؤال

وما زالت رحلة البحث مستمرة

***

ضحى والتفاحة

بقلم/ عمار ياسر شحاته

استيقظت ضحى بعد ليلة هادئة قضتها في حصنها الدافئ

سبع قطع من حلوى الجيلي

هذا ما أهدته لها ماما البارحة

وهذا أكثر من ضِعف ما اعتادت أن تهديه لها

ياللرفاهية!

ثم نهضت لتشرب الماء..

سارت ضحى إلى المطبخ في صحبة صديقها الصدوق السيد ديناصور..

وفي طريقها لفت انتباهها تفاحة حمراء لامعة تتوج سلة الفاكهة على طاولة الطعام..

في هذه اللحظة اجتاحتها رغبة ملحة أن تتذوق حلاوتها فنسيت الماء..

فأسرعت بتنفيذ ما نوته..

بنـاءً عـلى خبرتها السـابقة في اختـلاس الطعـام عرفـت ضحـى أنهـا لـن تسـتطيع الوصـول إلى أعـلى الطاولـة بـدون مسـاعدة..

ببساطة كانت الطاولة مرتفعة جدًّا..

حاولت التسلق بمساعدة أحد المقاعد بجوار الطاولة..

للأسف لم يكن هذا كافيًا..

بصحبـة السـيد ديناصـور بـدأت ضحـى تفـكك أجـزاء حصنهـا الـذي كانـت قـد بنتـه في غرفـة المعيشـة

وباسـتخدام الوسـائد كلبنـاتٍ للبنـاء كدسـت ضحـى عـددًا كافيًـا لتبنـي برجًـا لتصـل إلى أعـلى الطاولـة

أصبحت التفاحة في متناول يدها.

مدت ضحى يدها لتلتقط التفاحة

قربت التفاحة من فمها وكلها شغف لتذوقها

فجأة أحست بها..

الحازوقة

كلما حاولت أن تأكل التفاحة اصابتها الحازوقة

يالفرحتها التي لم تكتمل!

من ملاحظتها لوالديها عرفت ما ينبغي أن تفعله

نزلـت ضحـى مـن فـوق برجهـا وتوجهـت مبـاشرة نحـو الثلاجة لتـشرب المـاء الـذي كانـت قـد نسـيته

شربت حتى ارتوت ومسحت فمها بكمها..

التفتت لتنظر إلى الساعة

لقد اقترب الوقت..

حان موعد استيقاظ ماما..

بينـما كانـت تعيـد قـارورة المـاء إلى الثلاجـة عـلى عجـل اسـقطت زجاجـة حليـب الشـوكولاتة خاصتهـا وتناثـر الحليـب في كل مـكان

انتـشر عـلى لبـاس نـوم ضحـى الأزرق بقـع بنيـة تمامًـا كالبقـرة عـلى ملصـق الزجاجـة

كان هذا يعني شيئًا واحدًا..

وقت الاستحمام

سمعت صرير باب مألوف تتبعه أنعم الخطى..

ماما آتية!

أسرعت ضحى متلهفة لترجع إلى الطاولة

بدأ برجها في التساقط وهي تصعد فتشبثت بالطاولة بذراعها

اتخذت ضحى القرار الصعب بترك السيد ديناصور ليسقط

فكرت في نفسها «تضحيتك لن تنسى يا أوفى الأصدقاء»

كانت الآن قادرة على الوصول إلى القمة

أخيرًا أصبحت التفاحة في قبضة ضحى فقضمتها

ياللروعة!

حلاوة التفاحة ونشوة الانتصار

في تلك اللحظة وصلت والدتها لترى الطابق السفلي في حالة يرثى لها

ابتسمت ضحى ابتسامة عريضة وهي تنظر في عيني والدتها

فكرت في نفسها بابتهاج «افعلي ما تشائين يا ماما فأنا قد حققت مبتغاي»

ولكن كل ما خرج من فمها الصغير كان «ضووووحاااا! وكت السحام! هيهي!»

***

أخيرًا أصبحت رشيقة.

بقلم/ مروة عبد الفتاح

في الصباح قررت نهلة عمل حمية غذائية، وقبل نهاية اليوم اشتهوا أولادها طعامًا من الوجبات السريعة..

وهي تطلب حست بغصة في قلبها لأنها تحب هذا الطعام وتتساءل آكل أم لا! وأكلت.

وبدأت في اليوم التالي وبعد ٣ أيام اتصلت بها حماتها تعزمها على ما لذَّ وطاب! فكرت بالاعتذار.

وتمهلت قليلًا ظنًا من حماتها أنها لا تريد أن تذهب عندها، فذهبت وأكلت!!

وبدأت مرة أخرى، واستمر هذا الوضع ٥ سنوات تبدأ وتوقف ثم تبدأ مرة أخرى ومرات ومرات..

ودائمًا تقرر البدء من جديد من حين لآخر!!

وذات يوم خرجت في الصباح لتوصل أولادها إلى المدرسة

ولكن! لم تجد سيارتها فسألت حارس الأمن ولم تجد السيارة وتتساءل كيف؟ وبدأت تنظر هنا وهناك ولا تعلم كيف تفعل..

فأبلغت الشرطة عن سرقة السيارة!

وأمسكت التليفون في رعشة واهتزاز تكاد لا ترى بعينيها الدامعتين للاتصال بزوجها جمال المسافر في الإمارات

وقالت لا أعلم ماذا أقول لك وأبلغته بما حدث

أنا قادم غدًا في طائرة السادسة صباحًا

وأجلست أولادها في البيت ولا تذهب إلى المدرسة ظنًا..

إن سارق السيارة سوف يسرق أحد أبنائها! وجلست نهلة في غرفة في الشقة مغلقة النافذة والباب..

وفجأة تسمع صوتًا خافتًا يجور في أرجاء الشقة فتخلل الرعب بداخلها ولكن ابتلعته سرًا!!

حتى لا يتأثر اولادها! وبدأت الأفكار تنهال عليها هل هو سارق السيارة؟ أم أشخاص آخرون يريدون سرقة أولادي؟

أم حرامي يريد سرقة ذهبي؟ أم علموا بسفر زوجي يريدون أن يقتلوني أنا وأولادي؟

فاتصلت على حارس العمارة وأخبرته وجاء الحارس ويخبط الباب ولا أحد يجري ولا يتكلم! ويطرق الباب بشدة..

وفتحت نهلة باب الغرفة ببطء واتسعت عيناها خوفًا من أن تجد شخصًا ووجدت قطة جاءت من بلكونة جارتها!!

ونظرت إلى القطة "هذا وقته» ولا تغمض نهلة حتى جاء الصباح وجاء زوجها جمال من السفر،

ودق جرس الباب وجدوا رجلًا طويل القامة يرتدي بنطالًا أسود وقميصًا أسود وجاكيت أسود ونظارة سوداء..

وسألت نهلة بهمس: من هذا جمال؟

هذا رجل حارسه! فنظرت لماذا

أنا لا أنتظر سرقة احد ابنائي !!

واتصلت الشرطة جاري البحث بدقة واستمر هذا الوضع ٣ أسابيع..

ونظرت في المرآة انصدمت من تغيُّر شكلها فوزنت نفسها وجدت بنزول الوزن ١٠ كيلو .

وقالت "أخيرًا أصبحت رشيقة»

وأخبرها زوجها جمال أن الشرطة ما زالت في البحث عن السيارة!!

واتصلت على أخيها الذي سافر الغردقة ولم تعد تتصل به لانشغالها بهذا الموضوع

فقالت له كيف حالك ياحبيبي قال جيد، ولكن عذرًا أخذت سيارتك.

ونسيت أخبرك وانشغلت بصحبتي تمامًا!!

فصعقت نهلة..

ولا تدري كيف تخبر زوجها عمّا صدر من أخيها!!

***

عيونها الزرقاء

بقلم/ مروة عبد الفتاح

ولدت ليرا هي فتاة بلجيكية غامقة البشرة وعيناها زرقاوان..

وكان الأطباء يسألون عن هذه العيون الزرقاء حتى تشككوا في نظرها.. هل هي ترى بعينها أم لا؟ لأن عينيها من الشكل الغريب لديهم، ثم كشف أطباء عليها بعد ٣ أشهر ووجودها طبيعية.

ثم كبرت ليرا بالجمال المتميز، ولكن ليس لها أصدقاء كل البنات يغيروا من جمالها وإعجاب الأولاد بها.

وبعد ذلك تتعرض للتنمر الكبير وكبرت ليرا

ورآها شاب أعجب بها جدًّا وبجمالها وهي فرحت به..

وكانت تشع فرحًا والرغبة بالتألق ربما لديها إحساس ما بالرغبة بالنجومية.

يحس بالجمال في صدره عندما يرى عينيها الزرقاوين ويشعر كأنها حورية من الجنة وقالت ليرا له

«كم أنت مدللًا هل كنت وحيدًا مثلي" لا يوجد لدي أصدقاء!! فنظر إليها نظرة أنت الجميلة عيناك من شغفٍ ومن لهف ومن رويا.

وتزوجها وأنجبت طفلين ولديهما نفس لون العين الزرقاء.

وبدأت ليرا تشعر بتغيُّر حماتها معها ولا تعلم هذه غيرة أم وهم!!

الأم تشعر بغصة في قلبها أن حفيدها يملك نفس لون العيون وليرا تشارك في أعمال المنزل حتى ترضى عنها حماتها.

ولكن لا تتحدث إطلاقًا معها، خطت ليرا واستدارت بتردد وقالت: هل بكِ شيء يا أمي؟ فأشاحت بوجهها عنها!!

ثم دخلت إلى غرفتها وتتساءل ماذا حدث؟ حقًا لست أدري!! وجاء زوجها كل ليلة متعبًا ولا يوجد وقت لتتحدث معه!!

وهي تنام باكرًا من المسؤولية الموجودة على عاتقها من تنظيف المنزل ومسؤولية الأطفال، وبدأت ليرا تشعر أن حياتها تضمر وبيت واسع في الحزن ينمو وما زالت تحاول عن سبب التغير ، ولم يعد زوجها بالجلوس معها!!

حتى جاءت في ليلة تنتظره وسمعت همسًا وصوتًا؛ فذهبت تخطو خطوات السلحفاة حتى لا يشعر بها أحدٌ ووقفت بجوار الباب.

وسمعت أم زوجها تقول إنك وضعت نفسك في ورطة

أنجبت طفلين يحملان نفس العيون والطفل الثالث سوف يأتي بهذه العيون ولا أحد يتعامل معهم ودائمًا في تنمر مدى الحياة!!

فنظر الزوج إلى أمه: أعلم لقد تسرعت، والآن أنا أتجاهلها ولا أجلس معها لكي تطلب الانفصال!!

أحسنت

ليرا لا تستطيع الوقوف على قدميها رجعت إلى غرفتها تنتظره..

وجاء زوجها فقالت ليرا: متى تريد أن أنفصل؟

فنظر متلعثمًا ويخرج العرق من جسده دافئًا..

وتركت المنزل.. وقبل الخروج ابتسمت إلى أم زوجها قالت:

- ابحثي له عن عروس بعيون سوداء.

فجأة أيقظها زوجها من نومها ليذهبوا لحضور عرس ابن عمه وقالت له حلمت بوالدتك المتوفية.

فنظر لها وابتسم لها ابتسامة عريضة: اشتقت إلى أمي كثيرًا!! أتمنى أن أراها في منامي.

***

الرحيل أم البقاء

بقلم/ مي حسن

في ليلـة شـتوية بـاردة تشـبعت أجواؤهـا بالسـكون والرهبـة مـن أصـوات الرعـد التـي تخـرق الآذان،

ولكـن دفئـت فيهـا مشـاعره بقبسٍ مـن تَمنيـات أسرتـه الصغـيرة عـلى بلوغـه المنتصـف مـن العقـد الرابـع وهـو مـازال مصدرهـم للأمـان.

ولكـي يزيـد أمانهـم أحكـم غلـق النافـذة، فصـار صريـر الصـوت أهـدأ، ولكـن يحـدث صفـير طويـل كأنـه صافـرة إنـذار، اسـتدعت انتبـاه حواسـه فغـاب النـوم عـن عينيـه، بعـد أن تفقَّـد فراشـهم ودثرهـم بمزيـد مـن الغطـاء.

وداوم عقلـه عـلى التفكـير في الأمـر الـذي شـغل بالـه منـذ الخريـف، وأخـذ أوجّـه بقـدوم فصـل الشـتاء.

في تلـك اللحظـة دخـل عليـه ولـده الصغـير وبـراءة الأطفـال في عينيـه يملؤهـا انبهـارًا، قبـل أن تأخـذه الدنيـا عـلى بَـلادة الاعتيـاد، في دهشـةٍ مـن ذلـك الصـوت الجـلي خـارج منزلهـم الصغـير الآمـن

احتضنه الأب بين ذراعيه منجذبًا لتلك الطاقة الفضولية بين عينيه.

ثم أطلعه على السماء ليكشف له مصدر الصوت الجلي.. كانت الغيوم كثيفة يثقلها ركام.. كأحلام الأب التي أثقلها فواتير الحساب والأقساط لمستلزمات الحياة.

قال له الولد في براءة: أحب السماء في النهار؛ فالشمس قوية يخشاها هذا الوحش وينشق في الحال مع أول شعاع تطلقه من جعبة سهامها الخارقة.

ربط الأب على كفّ ولده الصغير، فَرِحًا بشعوره الفطري الذي أبصره الأمل والرحمة في قلب الأهوال.

حينها ذهب الأب إلى فراشه، ملتمسًا ذلك الأمل للهداية إلى الصواب في أهوال السفر للعمل خارج البلاد، سعيًا لمعيشة أفضل يستحقها الابن الغالي.

أيهما أجدر بالنفع

الرحيل أم البقاء!

وما إن استيقظ ورأى المشهد الذي وصفه الصغير ليلًا.. فالغيوم انشقت للشمس وأشرقت نورها في جميع الجهات.

فاتخذ القرار بالرحيل، ولكنه مؤقت حتى تشرق شمسه بالمال، وتنشق غيام الظروف الحياتية الثِقال؛ فالأمر يحمل العودة للوطن لا محال.

وفي تلك البلدة البعيدة ثَقلت لياليه الأولى بحمل الفراق..

وقضى أغلب أوقاته في العمل، لا يعبأ من إهانة في محيطه الجديد الذي فرضه عليه العَوز والحاجة، وكأن ما يتقاضاه هِبَّة وليس مقابل جهده وفراقه الأحباب.

حتى جاءه الفرج وأرسل أول حوالة لأسرته الصغيرة..

شعوره بهم وهم ينعمون ويرتقون هون عليه الكثير مما عاناه، وأسعدته سبل التواصل الجديدة التي أتاحت رؤيتهم في أي مكان بدلًا من انتظار الخطابات وتلقي المكالمات الهاتفية..

أغفلته تلك السعادة أن عليه المزيد من الرحيل المؤقت تلبيةً لنداء الحاجة للارتقاء، وأدرك بعدها المعادلة: حيث زيادة رصيد البنك تَتطَلّب زيادة في رصيده من الاغتراب؛ فانساق طوعًا في دائرة الغربة المغلقة، وفي دائرة الوطن البعيدة التزم ولده بالدراسة وأداء التمرينات، وفاءً لجهد أبيه الذي يُقدَّر بثمن المدارس اللغات ومنزل التجمعات الجديدة المصطفاة.

كان الأب يحسب عمره استثناءً بحساب أشهر الزيارات من كل عام، وما يُهوّن عليه الفراق إلا الأمل في عودة لا يتبعها عودة لما كان وصار.

وحين انتهى الابن الغالي من آخر عام في الجامعة الدولية، وجاء اليوم الذي تمناه الأب منذ زمن بعيد كان حسابه عنده عزيزًا وغاليًا، عِدتّه بالدقائق ، واللحظات.

عـزم الأب عـلى عـودةٍ للوطـن يتبعهـا البقـاء، بعدمـا أدرك أن المعادلـة السـابقة أغفلـت حسـاب الأقـدار التـي لا تخضـع لحسـاب.

عـاد الأب في ليلـة مشـابهة شـتوية بـاردة.. التمس أن تدفئه فيهـا تمنيـات ابنـه الحـارة لـه عـلى بلوغـه المنتصـف مـن العقـد السـابع، وأنـه أصبـح مصـدره الوحيـد للأمـان.

تفقـد منزلـه الكبـير الجديـد متأمـلًا أثـاث المنـزل المنتقـى وكأنهـا جنـة، ولكـن خاويـة عـلى عروشـها بعـد أن استبقه القـدر في جـرأة بقـرار الرحيـل الدائـم لزوجتـه رفيقـة الغربـة في أرض الوطـن، ولكنـه قـاوم لِجَنـي مـا تبقـى مـن ثِـمار العمـر، ودخـل عـلى ولـده ليتفقـد فراشـه ويدثـره كعادتـه القديمـة إحيـاءً لمـا كان.

وجـده منجذبًـا لنـورٍ خافـتٍ في غرفتـه المظلمـة، يُحـدِّق في جهـاز الحاسـوب الآلي المحمـول، لا يعبـأ لصـوت الرعـد الجلي في الخـارج.

ويغـشي عينيـه انبهـار جديـد، لحصولـه عـلى منحـة لاسـتكمال الدراسـة، يتبعهـا عمـل جديـر بإحـدى الجامعـات الأوروبيـة.

ثم اطلع الابن الغالي والده على بريده الإلكتروني الخاص.

وأردف بصـوتٍ عـالٍ.. طغـى عـلى صـوت الرعـد الجـلي خـارج المنـزل الكبـير الفَـارِه.

أيهما أجدر بالنفع

الرحيل أم البقاء

***

الطاولة الزجاجية

بقلم/ محسن صالح

في كل مكان أرى صورتها منعكسة أمامي، على الطاولة الزجاجية أمامي هناك أرى ملامحها. على الحائط حينما أستند بذراعي، على منضدة المطبخ وهي أمامي تحادثني دائمًا عن فضل طاعة الوالدين وسمع الكلام وفائدة عدم الاقتراب من أي شيء خطر كالكهرباء وخلافه. أحس بأناملها الدقيقة وهي ترتب الملاعق وتحاول أن تثنيني عن التركيز على شيء واحد في حياتي والتعلق النفسي السلبي به مثال الملعقة بتاعتي والطبق بتاعي وغير ذلك من الأمور التي تصنف كوسوسة وتعليق خايب ملهوش أي لازمة. كم طرحت عليَّ الكثير من الأسئلة وتعمدت أن أغير من عاداتي اليومية وألا أكون أسيرًا لشيئ حتى لا تصيرعادة كئيبة متكررة لعينة، تكرر كلمة لعينة على مسمعي حتى أحس بالرفض الرسمي لها وأعيد ذات الكلمة على أخي الأصغر "اترك اللعبة اللعينة». كم من المرات نمت على الأرض في كل بقعة من الشقة وغيرت مخداتي وغيرت ملابسي غير

معتمد على شيءٍ بذاته اتباعًا لنصيحتها وهكذا أصبحت الآن أعمل تحت أي ظرف وفي أي مكان وآكل أي شيء وأتذوق أي طعام وأتفوق في أي مجال وصار العالم كله طوعًا لي ولم أرتبط نفسيًّا أو معنويًّا بأي شيء على الإطلاق.

علمتني وهي خريجة السربون ذات الحسب والنسب إتقان اللغات، فتعلمت خمس لغات وتعلمت أكثر من ست حِرَف، ميكانيكي سيارات وكهربائي منازل ومبيض محارة ونجار أثاث، وسباك، وأسطى تركيب سيراميك ولا أزال أتعلم حتى اليوم. كل مهنة تعلمتها أتقنتها وصرت فيها الأسطى أو المعلم بلغة الصنعة. أتعلم الآن كهرباء السيارات وأدرسها وأنا أعمل محاسبًا في إحدى شركات البترول بالمعادي، يتعجب زملائي في العمل من هذه المهارات التي أتقنها ويزداد عجبهم حينما عرفوا أنني لا أدخل أي صنايعي في منزلنا ومنازل أقاربنا حيث أقوم بعمل أي شيء مهما كان.

أقبِّل يد أمي الآن وقبل الآن وإن شاء الله دومًا؛ لأنها علمتني وعلمت أخواتي وإخوتي عدم الاعتمادية النفسية على أي شيء أو أي إنسان. علمتني السباحة في غضون أسبوع وأمرتني أن ألقي بنفسي في الماء وأنا غض صغير في السادسة من عمري، وحينما خفت وكدت أغرق قذفت بنفسها إلى جواري وانتشلتني بملابسها. ضحك أبي ساعتها ولكن في اليوم التالي كان التحدي على يد مدرب شاب واستطعت السباحة في فترة وجيزة.

أتذكرها وهي نائمة أمامي الآن في الستين من عمرها تصحو وتنام وأنا أرعاها أنا وزوجتي وأدعو الله لها بطول العمر ودوام الصحة والعافية. لقد طبقت ما فعلته بي مع أولادي وها هم في سنوات دراسية مختلفة الآن وقد أتقنوا عدة لغات وتعلموا العديد من المهن ولسان حالي يقول على نفسي: "ذاك الشبل من ذاك الأسد»

***

ساكنو الدور الأرضي

بقلم/ محسن صالح

جاءوا إلى منزلنا منذ ثلاثة أشهر، سكنوا الدور الأول من الدار. لا ينامون على الإطلاق لدرجة أننا أطلقنا عليهم ذوي الدماغ المصفحة. عانينا منهم أشد أنواع المعاناة وخاصة في عطلات نهاية الأسبوع. لا ينامون تقريبًا وكأنهم يتجرعون السهاد ويشربونه كالشراب. حار معي سكان البيوت المجاورة فيهم. كم من المرات حادثتهم بنفسي أن الليل هو ملجأ المتعبين وملجأ الراحة للعديدين من المحيطين بهم، ولكنهم لم يرتدعوا حتى جاءت هذه الليلة التي كانت أمي راجعة فيها بعد عملية جراحية من المستشفى، ولم نكد نقترب من الساعة العاشرة مساء حتى «بدأ وجع القلب» كما يقول أبي، الموسيقى الصاخبة، الصراخ والضحكات من شباب الأسرة، الأمر الذي دفع أخي الأكبر للنزول إليهم، سكن الصوت قليلًا ثمن عاد مجددًا، فما كان من أخي إلا أن كلم الكهربائي قريبنا على رأس الحارة، فقام بقطع الكهرباء عن منزلنا ومنزلين حوله من غرفة التحكم

الرئيسـية عـلى الشـارع العمومـي ودفـع للفنـي هنـاك مبلغًـا مـن المـال. تلـف الطعـام في ثلاجتنـا وتحملنـا حتـى جـاء الغـد وعـادت الكهربـاء.. ومـع المسـاء وجدنـا ظابطًـا مـن الشرطـة، لا نعلـم مَـن نـاداه وكلمـه سـاعتها، طـرق بابهـم وهـم عـلى صخبهـم وأخـذ ربّ الأسرة وحـرر لـه محضرًا في قسـم الشرطـة. تكـرر الأمـر عـدة مـرات في أيـام متتابعـات وتعـددت المحـاضر، فـإذا بنـا نسـمع صراخ الأب نفسـه في أولاده لكـي يصمتـوا ولكنهـم لم يفعلـوا وفي الأسـبوع التـالي حـدثَ عـراك بـين ابـن عـم جـودة البقـال وأولاد السـاكن المزعـج مسـاء، وكادت أن تحـدث كارثـة لـولا حضـور الشرطـة.

لم يمـر يومـان إلا ووجدنـا عربـة تتوقـف أمـام دارنـا ووجدناهـم ينقلـون عفشـهم القليـل إلى العربـة والشـباب الغريـب الشـكل والأطـوار يركـب السـيارة وهـو يتراقـص طربًـا بـشيء مـا يسـمعه عـبر السـماعة المرتبطـة بهاتفـه المحمـول والمحشـورة في آذانهـم، كدنـا نسـبهم ولكننـا تملكنـا في أعصابنـا حتـى ذهبـوا في داهيـة، كـما قالـت أمـي.

زوجـة جارنـا وأكثـر مـن ربـة منـزل عملـت احتفـالًا بخـروج هـذه العائلـة الغريبـة مـن حارتنـا وكانـت ليلـة عيـد، أقسـم والـدي بعدهـا إنـه لـن يؤجـر هـذه الشـقة ثانيـة لأحـد، وكان مـا أقسـم عليـه رغـم حاجتنـا لإيجـار هـذه الشـقة. ولم يسـمح سـوى لابنـة عـم جـودة البقـال أن تتـزوج فيهـا وكانـت نعـم السـكنى والجـيرة.

أتذكـر ذلـك الآن وأنـا أقلـب صـور الاحتفـال بفـرح ابنـة عـم

جـودة وهـي تدلـف إلى شـقتنا في الـدور الأرضي وأخـواتي البنـات حواليهـا في مشـهد مبهـج ومفـرح. لم تخـرج السـاكنة الجديـدة إلا إلى منزلهـا في الشـارع المجـاور لنـا.

أمسـك بالصـور وقلبـي يتحسر عـلى هـذه الـدار التـي فرطنـا فيها وصـار مكانهـا الآن برجًـا عاليًـا لعـم جـودة الـذي اشـتراها وهدمهـا والـذي لا يـزال يطلـق عليهـا حتـى بعـد أن صـار عـمارة اسـم أبي مـن كبار رجـال ونسـاء الحـارة، أتذكـر هـذه الأحـداث وهـي تـتردد أمـام عينـي كأنهـا شريـط سـينمائي أشـاهده عـدة مـرات وأعيـد مشـاهدته حتـى أحفـظ تفاصيلـه عـن ظهـر قلـب، ولكنهـا سُـنّة الحيـاة في دورانهـا الـذي لا يرحـم.

***

ستي «بهية»

بقلم/ محسن صالح

ستي «بهية "هكذا نسميها وننادي عليها بكلمة واحدة مختصرة هي «ستي»، «ستي». تضحك بفمها الخالي من الأسنان،حينما تنظر إلينا تحدّق فينا وهي تضيق من عينيها في محاولة معرفة من تتحدث معه. فشلت كل المحاولات لإلباسها نظارة طبية حتى نجح أبي في هذه المهمة وتكفل بالكشف الطبي والنظارة وظلت بعدها تدعو له بالصحة ودوام النظر وراحة البال. ستي «بهية» ذات جرم صغير وكأنها عادت فتاة صغيرة مرة أخرى، حين تضحك تضحك بصوت مبحوح. تناديني أنا وإخوتي الصبيان جميعنا باسم واحد «إبراهيم» اسم أخي الأكبر، نتقبل هذا منها ونضحك ونقبل يديها ونحن نقدِّم لها كل ما تطلبه سواء من السوق أو البقال. أحيانًا تنسى أن تعطينا المال، فتقوم والدتي بهذه المهمة ونشتري لها كل ما تريده وإذا تذكرت لاتأخذ أمي منها شيئًا.

كم من المرات نادتني لتغيير اللمبة الكهربائية لها في حجرتها

العاليـة الجـدران، دائـمًا تـردد آيـات القـرآن الكريـم. ذات مـرة ضربتني بيدهـا عـلى كتفـي حينـما أخطـأت في قـراءة سـورة «القارعة» وهـي تـردد «جيـل التليفزيـون صحيـح» مصححـة لي الآيـة ترتيـلًا وتجويـدًا كأعـذب مـا تكـون الأصـوات.

ضحـك أبي وضحكـت أمـي ومـن سـاعتها ونحـن نسـمع قراءتهـا لأي القـرآن الكريـم. حينـما أخطـئ في النحـو كانـت تضحـك منـي وتنهـرني في الوقـت ذاتـه وتصحـح لي الجملـة وتعربهـا لي وتـصر عـليّ أن أعـرب مثلهـا.

ظلـت سـتي «بهيـة» صديقـة لأمـي تناديهـا باسـمها مجـردًا مـن أيّـة ألقـاب "فهيمـة» ونحـن نضحـك والجـيران يضحكـون لهـذا وأمـي تقبِّـل رأسـها وتغسـل لهـا شـعرها وتمشـطه ولا تتركهـا حـال مرضها. اسـتمرت الأيـام حتـى جـاء اليـوم الـذي لم تخـرج فيـه سـتي «بهيـة» مـن حجرتهـا حتـى صـلاة العـصر، دخلـت أنـا وأمـي إلى حجرتهـا ووجدنـا البـاب مفتوحًـا وهـي في وضـع السـجود لا تتحـرك، نـادت أمـي عليهـا عـدة مـرات فلـم تـرد وحينـما لمسـت كتفهـا مالـت عـلى جنبهـا، جريـت إلى المسـتوصف القريـب وصرخـت في الممرضـة قائلـة «سـتي بتمـوت». جـاء الطبيـب وجـاءت الممرضـة وحـضرت نسـوة الحـارة اللائـي كـن يجلسـن معهـا في العـادة ويتقربـن منهـا وأخبرنـا الطبيـب بـأن الـسر الإلهـي خـرج وعلينـا أن ندعـو لهـا بالرحمـة.

ماتـت سـتي «بهيـة» ومـات معهـا شيء في داخلنـا لم نكـن نحـس بـه إلا وهـي عـلى قيـد الحيـاة، شيء لا أعـرف اسـمه هـل هـو الأمـان،

هـل هـو الإحسـاس بالراحـة والإحسـاس بالحماية لا أدري. لم نعـد كـما كنـا. لم يبـقَ مـن سـتي «بهيـة» سـوى صورتهـا التـي تتصـدر الصالـة في شـقتنا في الـدور الثـاني. لا يبـدأ اليـوم إلا وتترحـم عليهـا أمـي وتقـرأ الفاتحـة عـلى روحهـا، وكذلـك في المسـاء بعـد صـلاة العشـاء. كنـا نحـن كذلـك وأبي الـذي كانـت تناديـه باسـمه مجـردًا «خضـير» وكان يقبِّـل يديهـا ويناديهـا بكلمـة «أمـي».

أتذكـر هـذا الآن بعـد مـرور أكثـر مـن أربعـين عامًـا عـلى وفاتهـا وقـد صرت أبًـا ومـات أبي وماتـت أمـي وماتـت أختـي الصغـرى، بل خطـف المـوت بعـض الشـباب مـن الأسرة. أتذكـر هـذا الآن ومنزلهـا المبنـي مـن الحجـر يتحـول إلى منـزل مبنـي مـن الطـوب والخرسـانة المسـلحة، ومكـون مـن خمسـة أدوار يناطـح أعـلى منـزل في حارتنـا. ولسـان حـالي يقـول: سـبحان مـن لـه الـدوام والبقـاء.

***

سوسن ذات الرداء الأسود

بقلم/ محسن صالح

رأيتهـا في جلبابهـا الأسـود تقـف عـلى رأس الحـارة، تضحـك أحيانًـا وأحيانًـا أخـرى تقـف صامتـة لا تتكلـم بـل تنظـر إلى الأرض بعينـين شـاردتين. حينـما تكـون موجـودة لا نـرى منهـا سـوى الـرأس الضخـم الـذي يتحـرك في كل الاتجاهـات ويديهـا اللتـين تمتـدان إلى الفـراغ وتأخـذان شـيئًا مـا أو أشـياء تلقيهـا في وجـه مـن تحدثـه.

مـات زوجهـا منـذ حـوالي الشـهر، مـات في منطقـة البحـر الأحمـر بالسـكتة القلبيـة. حـاول زمـلاؤه في العمـل إيقاظـه في الصبـاح، فلـم يسـتيقظ، بموتـه ماتـت الضحكـة مـن حارتنـا. «فـؤاد الأسـواني» كتلـة مـن البهجـة، حتـى حينـما ماتـت أمـه منـذ عـامٍ لم تختـفِ البهجـة منـه عـلى شـفتيه بـل شـابتها مـرارة الحـزن وألم الفـراق. لم يسـتغرق في ضحكاتـه كـما يحـدث مـن قبـل، بـل تـراه يسـكت لحظـات يمسـح فيهـا عينيـه ولا تـدري هـل هـي دمـوع الضحـك أمـا دمـوع الحـزن وتذكـرة للآخريـن ممـن فارقـوا هـذا العـالم وكانـوا محـور اهتمامـه

وحياتـه. سـكين الحـزن رشـقت في صـدره ولـن تخـرج إلا بروحـه، عبـارة أخـذ يرددهـا كثيرًا حتـى حفظهـا الجميـع عـن ظهـر قلـب.

كـم مـن المـرات جاريناه ولم نستغرق في الضحـك كسابق عهدنـا مواسـاة لـه، نحـس بالحـزن في أعماقـه مـن توهـج عينيـه واشـتعالها كالـبركان وكأن الـدم يقفـز منهـا كـما تقـول سـتي نجيـة حينـما تـراه وتدعـو لـه بصـلاح الحـال والسـتر في الدنيـا والآخـرة.

سوسـن زوجتـه لم تنجـب ولم تصـدق أنـه مـات، شـاهدته في المستشـفى وشـاهدته وهـو مسـجى عـلى خشـبة الغسـل، غسـلته بدموعهـا قبـل أن تـرى والـده يغسـله بيديـه وهـو يبكـي، بكتـه كـما لم تبـكِ أحـدًا قَـط في حياتهـا. تسـتيقظ في الليـل مفزوعـة تـصرخ بصـوتٍ عـالٍ:

- فؤاد إنت فين يافؤاد.. فؤااااااد.. فؤاااااااااد

لم يمـر أسـبوع بعـد الأربعـين إلا وأمهـا جـاءت للعيـش معهـا في شـقتها. نهنهاتهـا وحزنهـا ولوعهـا يحـس بـه كل مـن يراهـا وبخاصـة والدمعـات الغزيـرات يسـلن عـلى خديهـا. تـضرب صدرهـا أحيانًـا بكفهـا وكأنهـا تريـد لهـذا الغليـان فيـه أن يسـكت مـرة واحـدة. رفضـت كل مـن تقـدم إليهـا مـن رجـال الحـارة أو مـن الحـارات المجـاورة.

حتـى جـاء سـاكن الحـارة الجديـد الـذي عـاش في الشـقة المواجهـة لشـقتها، شـاب في الثلاثينيـات، الشـعيرات البيضـاء أخـذت في غـزو مفرقيـه. دائـمًا تـراه صامتًـا، يحيـي الكبـار والصغـار ويقبـل أيـادي

الكبـار والأطفـال. حكـوا عنـه كثـيرًا أمامهـا. سـاعدها ذات مـرة في نقـل بعـض الأشـياء للسـيارة التـي أقلتهـا لبيـت أبيهـا، شـكرته، ابتسـم وهـو يقـول لهـا:

- العفو مدام سوسن، تحت أمرك دي حاجة بسيطة.

لم يلتقيـا لمـدة أسـبوع، حينـما حـدث عطـل فجائـي في شـقتها. انكسر محبس المياه وكادت الشقة أن تغـرق لـولا تدخُّلـه الفـوري أمـام أمهـا حيـث ابتلـت ملابسـه كلهـا واسـتخدم السيشـوار خاصتها بعـد إلحـاحٍ شـديدٍ منهـا في تجفيـف بعـض المياه التـي أخـذت تقطـر مـن ملابسـه.

جـرى الـكلام بينهـما وعرفـت منـه أنـه أرمـل، وأن زوجتـه ماتـت بالقلـب، وأنـه كاد أن يـترك عملـه مـن جـراء مـا جـرى لـه لـولا تدخُّـل أهلـه وسـهرهم بالقـرب منـه وعـدم تركـه بمفـرده. حكـت لأمهـا عـن إعجابهـا بـه. حـين جـاء والدهـا مـن الخـارج نـاداه مـن الشرفـة ليشـكره عـلى مسـاعدته لأهـل المنـزل في غيابـه وامتـدت السـهرة بينهـما حتـى منتصـف الليـل.

تعارفـا سـويًّا، حتـى جـاء ميعـاد طلـب يديهـا، حـار أن يحادثهـا أولًا أو يطلبهـا مـن أبيهـا ولكنـه اسـتجمع أمـره وكلمهـا عـلى اسـتحياء، نظـرت لأسـفل وهـي تـردِّد بأنهـا لـن تجـد أحسـن منـه. تـضرج وجهـه بالـدم، فنظـرت إليـه وهـي تضحـك، أمسـك كفهـا لأول مـرة وقبَّـل ظهـر يدهـا اليمنـي وهـو يـردد بأنـه سـيحفظها في عينيـه. سـحبت يدهـا وجـرت إلى شـقتهم.

لم يمر شهر إلا وعلمت الحارة بالأمر وتم الزواج. سافر إلى الغردقة هناك في البحر الأحمر حيث وجد عملًا مناسبًا له في مجال السياحة. رغم إلحاح سوسن عليه ألا يسافر إلا أنه أخبرها أن الوفاة قضاء الله وقدره ولا ترتبط بمكان. الآن تمر السنة العاشرة على زواجهما وقد رزقا بثلاثة أولاد يملأون الحارة ضجيجًا وفرحًا وهم يلعبون مع أقرانهم.

تسرح بمخيلتها وهي تتذكر فؤاد الأسواني زوجها السابق الذي كان يملأ الحارة بالضحكات والقفشات حينما يخرج وحينما يدخل والكل يحبه، فتدعو له بالرحمة وهي تنادي» فؤاد» ابنها الذي تحبه جدًّا وكأنها ترى الحياة تتجدد في الأطفال الذين يحملون أسماء من يرحلون عن عالمنا إلى الشاطئ الآخر وكأن لسان حالهم "الحياة تتجدد دائمًا ويحمل شعلتها الصغار حتى يسلموها لمن هم أكبر سنًا وهكذا دواليك.

***

«ميرفت»

بقلم/ محسن صالح

كانت تخطو على أرضية الحارة مزهوة بجلبابها الزاهي الألوان، إنها تحب الألوان الزاهية، وتحب الزهور وتعشق الألوان، تميل دائمًا لحب النقوش والتذكارات المزركشة. تسلم على «أم زكي» صاحبة المخبز على رأس الحارة، فترد عليها السلام، إنها «ميرفت». ينظر إليها «زكي» فتضحك وهي تسرع خارجة من المكان وعلى كتفها حقيبتها الزرقاء السماوية اللون، إنه ميعاد خروجها الصباحي لعملها. لقد تركت خلفها أمها وأخاها الذي لا يزال في الثانوية العامة، أمها تعاني من داء السكري الوبيل وهي تخرجت منذ عامين وتعمل في إحدى شركات البترول في المعادي، تأتيها سيارة الشركة لتقلها لموقع عملها، تنتظرها على الشارع الرئيسي، لا تريد أن يراها أحدٌ وهي تركب سيارة الشركة.

لا تخفي مرحها وخفة ظِلّها عن أحدٍ، تتعامل دائمًا ببساطة مع كل الأمور، دخلت أمها عدة مرات المستشفى لجراحة في

الشرايين التاجية بالقلب ولم يفتها مرحها الذي صار المتنفس لها من الكآبات التي تحوطها وتعكر صفوها. إن التجارب المريرة التي تعصف بها تزيد ضحكاتها مرارة وتوقفاتها عن الاسترسال في الضحك الأمر الذي لا يُخفَى على من يعرفها منذ فترة طويلة ويعرف شخصيتها. عمها في مقام أبيها لا يتوانى عن الحنوّ عليها ليل نهار وعلى أخيها وأمها. لمح أكثر من مرة في حاجته لها زوجة لابنه الأوسط ولكنها لم تكن ترد، الأمر الذي زاد عمها إصرارًا على مساعدتها من أجل عيون الغالي أخيه الذي مات في أوائل الخمسينيات من عمره وقد أقرضه أموالًا طائلة من قبل ولم يخبر بها زوجته أو ابنتها.

العم يحاول أن يرد الجميل لأسرة أخيه ولا يتوقف عن مساعدتها مهما كلفه الأمر. عادت «ميرفت» ذات مساء لتجد أمها في المستشفى من جرَّاء غيبوبة سكر، لم يمر أسبوع إلا وقد أسلمت الأم روحها، بكت «ميرفت» وانتقلت للعيش في إحدى الشقق بعمارة عمها وتمر الأيام وتقترب من ابن عمها الأوسط أكثر وأكثر ويحدث ما هو مرتقب من اقتراب قلبيهما بعد عدة مواقف كانت بمثابة الشعلة التي أوقدت نيران الحب بينهما. الآن هي تخطط للزواج من ابن عمها وأخيها يقارب على إنهاء السنة الثالثة من دراسته الجامعية. العم يضع في حسابها مبلغًا كبيرًا من المال ويضع في حساب أخيها كذلك مبلغًا أكبر وهو يعلم أنه يرد جزءًا من الدين الذي في عنقه لأبيهما الذي أعانه

في بداياتـه في العمـل بالمعـمار وبنـاء العـمارات. تمـر الأيـام سريعـة لتجـد «ميرفـت» نفسـها في عـش الزوجيـة مـع ابـن عمهـا بإحـدى شـقق عـمارة عمهـا الجديـدة وأخيهـا في شـقته بمفـرده وقـد تفـوَّق في دراسـته وتقـرَّب مـن ابنـة عمـه الصغـيرة في الثانويـة العامـة حيـث يـدرس لهـا دروسـها ومـلاك الحـب يحلـق بجناحيـه عـلى لقاءاتهـما في شـقة العـم الـذي انفرجـت أسـاريره بعدمـا وضـع المـال في حسـاب أولاد أخيـه واطمـأن جزئيًّـا عـلى مسـتقبلهما. يتـزوج شـقيق ميرفـت بعـد تخرجـه مـن ابنـة عمـه ويصـادف أن يكـون سـابع أيـام زواجـه ميعـاد مـيلاد أول أبنـاء أختـه التـي أسـمته باسـم أبيهـا. تختلـط دمـوع الفـرح بدمـوع تذكُّـر وفـاة الأب والأم والعـم في مجلـس الابتهـاج والفرحـة والراحـة النفسـية التـي ترفـرف عـلى أفـراد الأسرتـين وقـد ظللهـما الحـب والمـودة والوفـاق كـما تظلـل الأشـجار الوارفـة الحدائـق الغنَّـاء مـع تغريـد الطيـور وزقزقـة العصافـير.

***

سر الغار

بقلم/ محمود سعيد

ذات يوم أعد ثلاثة من الأصدقاء عدتهم للسفر قاصدين التجارة والعمل، أعدَّ كلٌّ منهم طعامه وشرابه ومتاعه واستودع كل منهم أهله لطيلة السفر، تواعدوا في الصباح الباكر معًا ليكونوا رفقة واحدة مع بعضهم البعض، ركبوا رحالهم قاصدين وجهتهم وتجارتهم، وبينما هم في طريقهم إذ بغيمة كبير تلبدت السماء بها وإذ بها تعلوهم في سيرهم فما لبثوا أن ينظروا في أمرهم لتقف رحلتهم ويستتروا منها، وانهمر المطر في كل مكان، سرعان ما نظر أحدهم فوجد غارًا بالقرب منهم فقال: علينا أن نحتمي به حتى يستكين المطر وتطيب السماء ونستطيع أن نكمل سيرنا، فأقبلوا إليه مسرعين، وضعوا أمتعتهم بجانبهم ليأكلوا الطعام ويأخذوا قسطًا من الراحة من عناء السفر وشدته، وإذ بصخرة انطبقت على باب الغار وهم يتناولون قسطهم من الراحة،هموا مفزعين إلى مخرج الغار فما استطاعوا زحزحة الصخرة ، ذهبوا يمنة ويسري يبحثون عن مخرج آخر فما وجدوا أمامهم غير

الـذي اطبقـت عليـه الصخـرة. أصابهـم الهلـع و ظنـوا أنهم قـد هلكوا ولا منـاص مـن الخـروج والحـزن والدمـع يُخيـم عليهـم جميعًـا، فقـال أحدهـم إنـه والله لا ينجكـم الله ممـا نحـن فيـه إلا بالصـدق فليـدع كل رجـل منكـم بـما يعلـم، إنـه قـد صـدق فيـه.

قـال واحـد منهـم اللهـم إن لي أبويـن شـيخين كبيريـن بحاجـة إلى عـون ورعايـة لكـبر عمرهمـا، وكنـت لا أعـد حليـب الليـل لأحـدٍ قبلهـما مـن الأهـل والأولاد حتـى أسـقي لهـما قبـل نومهـما، ففـي يـوم أخذتنـي التجـارة والعمـل وعـدت والحليـب معـي في الإنـاء وقـد نامـا مـن قبـل أن يرتويـا بالحليـب فكرهـت أن أوقظهـما وكرهـت أن أمـضي فيطلبـان شربتهـما في جـوف الليـل دون أن يجـدا مـن يأخـذ بأيدهمـا إليـه، وأهـلي وولـدي ينتظـرون قدومـي إليهـم لأطعمهـم وأسـقيهم، وأنـا في حـيرة مـن أمـري فلـم أزل أنتظـر حتـى طلـع الفجـر وأسـقيتهما ثـم عـدت إلى الأهـل والولـد، فاللهـم إن كنـت فعلـت ذلـك الأمـر مـن خشـيتك وابتغـاء وجهـك ففـرج عنَّـا مـا نحـن؛ فانفرجـت الصخـرة قليـلًا حتـى رأوا السـماء ولكـن لا يسـتطيعون الخـروج.

فقـام الثـاني وقـال اللهـم إنـه كانـت لي ابنـة عـم مـن أحـب النـاس إليَّ، كنـتُ أحبهـا كأشـد مـا يحـب الرجـال النسـاء، وأني أردتهـا عـلى نفسـها فأبـت، ثـم أصابهـا كـرب شـديد بحاجـة إلى المـال، فجعلـت تطـوف عـلى النـاس لعلهـا تجـد مـن يقـضي حاجتهـا فلـم تجـد، فلـم تجـد مـن مفـر إلا أن تأتينـي فتطلـب منـي حاجتهـا، فجاءتنـي

على استحياء تطلب حاجتها فقلت لا حتى تمكنيني من نفسك فاضطرت إلى ذلك، فأعطيتُ أكثر مما تريد على أن تخلي بيني وبينها وأفعل ما أريد، حتى إذا تمكنت منها وجلست مجلس الرجل للنساء؛ فقالت يا عبد الله اتقِّ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فلما سمعت قولتها ارتجف قلبي خوفًا من الله، وارتعد جسمي مخافة الذنب وعظيم الإثم فقمتُ وتركتها وتركت لها المال ولم آخذ منه شيئًا، فاللهم إن كنت فعلت ذلك الأمر من خشيتك وابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة أكثر قليلًا ولكن لا يستطيعون الخروج.

فقام الثالث وقال اللهم إني استأجرت أجراء في بستان يسقون ويحرثون فيه من الزرع، فأعطيت كل أجير حقه إلا واحدًا أبَى أن يأخذ حقًّا وتركه عندي فنميته له وثمرته له حتى صار مثل أجره أضعافًا مضاعفة ومضت السنون حتى جاءني هذا الأجير يسأل حقه وماله قال: يا عبد الله أعطني حقي فقلت انظر إلى هذا البستان وما به من خيرات فهذا حقك، فنظر الرجل وقال لا تستهزئ بي، أتيتك لأسألك حقي تقول لي هكذا، قلت لا أستهزأ بك ما أقول إلا الحق هذا مالك أخذته ونميته لك وثمرته لك فخذه كله ولا تدع منه شيئًا، فكاد عقل الرجل أن يطيش من شدة فرحه وما حصل عليه بعد فقر طال أمده، فقال اللهم إن كنت فعلت ذلك الأمر من خشيتك وابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا منها، واستكملوا رحلة تجارتهم.

***

من العالم الموازي

بقلم/ نرمين أحمد دميس

اهتـــزت أرجـــاء القاعـــة المكتظـــة بالوافديـــن مـــن كل حـــدبٍ وصـــوب، رافعـــين لافتـــات التأييـــد، ينتظـــرون بـــدء الجلســـة بفـــارغ الصـــبر، فاليـــوم موعـــد اختيـــار «بطـــل العـــام»، الـــذي ســـيهتف الجميـــع باســـمه، ويحملونـــه عـــلى الأعنـــاق.

يتجمهـــر المؤيـــدون خـــارج القاعـــة أمـــلًا في الدخـــول، تـــدور بينهـــم مراهنـــاتٌ ومناقشـــاتٌ حـــادة حـــول فائـــز هـــذا العـــام، يحـــاول أفـــراد الأمـــن تفريقهـــم؛ منعًـــا للشـــجار والمنازعـــات.

رغـــم تنافـــس الكثيريـــن عـــلى اللقـــب، والـــذي يتمتـــع صاحبـــه وعائلتـــه بحصانـــاتٍ وامتيـــازاتٍ لمـــدة عـــامٍ كامـــل، إلا أنـــه انحصـــر دائـــمًا بـــين عـــددٍ مـــن القـــوى، يتناوبونـــه فيـــما بينهـــم، كلٌّ عـــلى حســـب نشـــاطه وانجازاتـــه الســـنوية.

فهـــا هـــم أحفـــاد «الطاعـــون» يحتلـــون مقاعـــد الصـــف الأول، منتفخـــين كالطواويـــس، تفيـــض نظراتهـــم بالكِـــبر والتعـــالي؛ فقـــد

حافظوا على اللقب لسنواتٍ متتالية؛ بفضل أمجاد أجدادهم وما حصدوه من أرواحٍ لفترةٍ زمنيةٍ بعيدة، فلا مجد يعلو على مجدهم.

تتوسط القاعة عائلة «الأنفلونزا الموسمية»، تراقب الوضع في صمتٍ كعهدها دائمًا، تتحسر على الأيام الخوالي، تتعجب من تجاهُل الجميع لها، واعتيادهم عليها، حتى أمنوا شرَّها لدرجة أنْستهم أنها قاتلٌ ناعم، خرجت من عباءته أجيالٌ وسلالاتٌ عديدة، نالت قسطًا وافرًا من الشهرة كأنفلونزا الطيور والخنازير وغيرهما.

أثارت انتباه الحاضرين ضجةٌ عارمةٌ في مؤخرة القاعة، إثر شجارٍ وصل إلى تراشقٍ بالألفاظ واعتداءٍ بالمقاعد، بين أنصار «فيروس سي» الذين يرون أحقيته بالفوز باللقب؛ فهو من احتلَّ الأجساد في صمتٍ لسنواتٍ وسنوات، التهم فيها أكبادهم، ليفيقوا وقد فات الأوان، فلا يجدون طوقًا للنجاة، وبين مؤيدي «فيروس شلل الأطفال» الذي اعتقل آلاف من البراعم البريئة في سجون العجز، سارقًا فرحة أيامهم بكل قسوة، راسمًا الدمعة مكان الضحكة، ليتدخل الأمن لفض الاشتباك، حاملًا بعضهم خارج القاعة.

فجأة.. تغرق القاعة في سكون مطبق، حين دخل ذاك الشاب صغير السن، ضئيل الحجم، المدعو «كورونا» والذي ذاع صيته مؤخرًا، مرتديًا حلةً لامعة، تعتلي رأسه هالةٌ ضوئيةٌ كالتاج،

يسير بخطًى ثابتة، تعلو وجهه ابتسامةٌ واثقة، بينما يلاحظ العيون المحدقة إليه؛ فهو من شلَّ حركة العالم في بضعة أشهر، قبض أرواح قرابة المليون شخصٍ حتى الآن، حارَ فيه العلماء والخبراء، وما زالوا لا يجدون إليه سبيلا؛ لذا يتوقع أن يكون بطل هذا العام.

ماجت القاعة هرجًا ومرجًا من جديد، مع دخول مجلس الحكماء إلى المنصة، ليسأل رئيس المجلس الحضور الهدوء وإلا ألغيت المسابقة، يبدأ بدوره في فحص أوراق المرشحين، وعندما همَّ بالحديث، انحبست الأنفاس في انتظار اسم الفائز، ليفاجأ الجميع بقوله: «رُفِعَت الجلسة للمداولة».

***

ديجافو

بقلم/ نرمين أحمد دميس

سار منكمشًا، مطأطئ الرأس، ينظر إلى الأرض بعينين ذابلتين، داسًّا ذيله بين ساقيه، وقد تراجعت أذناه إلى الخلف، بعد أن نهرته صاحبته قبل خلودها إلى النوم، لم تكن تلك المرة الأولى التي تصب عليه نوبات غضبها، فقد تبدَّل حالها في الآونة الأخيرة، أصبحت أكثر توترًا وعصبية، تقضي يومها ما بين التلفاز ومواقع التواصل الاجتماعي، تُطالِع أخبارًا وإحصائياتٍ تجعلها في حالةٍ من الحزن والوجوم، تغرقه برذاذٍ نفَّاذ الرائحة كلما وقعت عيناها عليه، تهاتف ابنتها المقيمة بالخارج، يصيبها الذعر إن لم تُجِب أو حتى تأخرت في الرد.

لقد أصبح حبيس هذا السجن المدعو بالمنزل، فلا خروج ولا لعب ولا تنزه، بينما تنهش الأفكار رأسه الصغير، قادته قدماه إلى المطبخ، فاستلقى على الأرض يلعق شفتيه قائلًا في حزن:

«لم أعد أفهم شيئًا، ماذا أصابها؟! أم أنها سئمتنى، وتفكر في الخلاص مني؟!»

ترامـى إلى سـمعه صـوت خربشـةٍ خلـف دولاب الأواني الكبـير، فهـبَّ واقفًـا، رافعًـا ذيلـه، يلـف المـكان بنظـرةٍ فاحصـةٍ بعينـين ضيقتـين، حتـى لمح ذيلـه الطويـل يتلـوى خـارج الـدولاب، فوقفـت أذنـاه، وشـدَّ وجهـه للخلـف، مُصدِرًا هديـرًا أبـرز أسـنانه اسـتعدادًا للهجـوم.

أتاه صوتٌ مكتومٌ مرتعش من خلف الدولاب قائلًا:

- رويـدك يـا صديقـي، لقـد سـمعتك فخرجـت فقـط لأخـبرك بأننـا كلنـا في الهـمّ سـواء.

- كيـف وأنـت سـارقٌ دخيـل، أمـا أنـا ففـردٌ مـن أفـراد هـذا البيـت؟!

- قـد أكـون دخيـلًا أو ضيفًـا غـير مرحَّـبٍ بـه كـما تقـول، ولكنني قضيـت في هـذا البيـت أسـعد الأوقـات، فلطالمـا تجولـت ليـلًا، أتـذوق مـن بقايـا الأطعمـة والخزانـات المفتوحـة مـا لـذَّ وطـاب، أمـا الآن ومـع حمـلات التطهـير المسـتمرة، اسـتحال كنـزي الثمـين أرضًـا بـورًا لا زرع فيهـا ولا مـاء.

ارتخـى بـدوره في وقفتـه، متخليًـا عـن وضعيـة الهجـوم، وكأن تلـك الكلـمات لمسـت شـغاف قلبـه، ووجـد مـن يعـاني تبـدُّل الأحـوال مثلـه، وقبـل أن يفتـح فمـه، قاطعـه سـعالٌ ضعيـفٌ، صـادرٌ مـن الـرفِّ العلـوي، ولكنـه أبـدًا لم يسـتطع رؤيـة صاحـب الصـوت، ليأتيـه قائـلًا بعـد نوبـة سـعال مجهـدة:

- وماذا أفعل أنا؟! وقد حصد الموت أغلب عشيرتي، غارقين في أمواجٍ من الكحول والمطهرات، والبقية تكافح من أجل قوت يومها، ومخازن الشتاء فارغة، لقد صمد أجدادنا أمام جيش سليمان، ولكننا اليوم لا نقوى على مواجهة حربًا كيميائية، ماذا دهاها؟! هل أصابها مسٌّ من الجنون؟!

عاودها السعال، فعاد إلى رقدته قائلًا:

- علينا بالصبر، فدوام الحال من المحال.

أعلنت الساعة الخشبية العتيقة في بهو المنزل دقات السادسة صباحًا، ودعهما في هدوء، تسلل إلى مخدعه؛ فهذا موعد استيقاظ صاحبته.

جلست في شرفتها، ترتشف قهوتها الصباحية، تعيد الكرة في مطالعة الجديد من الأخبار، تحدق بعينيها في ذهولٍ، فاغرةً فاها، عندما فاجأها ببغاؤها الفصيح الجميل قائلًا:

«علينا بالصبر، فدوام الحال من المحال.»

«علينا بالصبر، فدوام الحال من المحال.»

***

الخطـيب

بقلم/ حسام بركات

ضغط هشام على جرس الباب بيد متوجسة، سمع صوت الأزيز فارتبك وانتفض قلبه، ترى ماذا عساه يكون سبب الاستدعاء العاجل؟، كان قد أنهى اجتماعًا في العمل عندما نظر إلى هاتفه الصامت فوجد ١٢ مكالمة فائتة من خطيبته سارة، كلمها على الفور متسائلًا في جزع عما هنالك.

- أريدك أن تأتي إلى البيت اليوم.

- خيرًا يا حبيبتي؟ شيء ما حدث؟

- أريد أن أخبرك بشيء مهم.

- هل يمكن تأجيل ذلك إلى موعد الزيارة القادمة؟

- لا. من فضلك مر عليَّ اليوم بعد انتهاء العمل، أنا بانتظارك.

كانت مكالمة مقتضبة وشعر بالإصرار والجدية في صوتها الحاني المفعم بالأنوثة فلم يملك إلا الإذعان. أنهى عمله سريعًا وتوجه إلى منزلها يسبقه القلق والخوف من المجهول.

وفي غرفة الصالون جلس ينتظر وهو يقلب في عقله احتمالات شتى، كانا قد اتفقا على الزواج بعد شهر وبدأ فعلًا في تجهيز الشقة وشراء الأثاث، لم يستأثر برأيه فيما يتعلق بأثاث الشقة، بل كان يؤثر رأيها ويرجحه عن رأيه أو رأي والدته، فقد كان يرى أن من حق سيدة البيت أن تؤسسه على ذوقها دون منازع. كان يبالغ في إرضائها كأنه يكفر عن ماضيه المظلم، وكثيرًا ما شعر بالذنب لإخفائه ماضي به من بالفجور والنزوات ما يخجل منه، ولكنه - يشهد الله - قد أخذ عهدًا على تجاوز الماضي بلا عودة وأن يؤسس لحياة جديدة مع سارة.. حياة جديدة تمامًا.

كم أحبها!، كان يرمقها بإعجاب منذ كانت طالبة في ثانوي تذهب للمدرسة في نفس موعد ذهابه لعمله، تشرق كل يوم كالشمس في الثوب المدرسي، بينما يتأملها بقامتها الفارعة وجسدها الناضج وبشرتها البيضاء كالثلج، كان يجمعهما محطة مترو واحدة وعرف انها تسكن في شارع مجاور، ولاحت له ذكرى مظلمة و...

- أهلًا يا هشام، معذرة إن كنت سببت لك أي إزعاج ولكن الأمر هام فعلًا.

وقف هشام مستقبلًا سارة، شعر بالجدية والخجل في ملامحها الجميلة فأشفق على نفسه من المجهول:

- لا عليك يا سارة، انا تحت أمرك في أي وقت.

- شكرًا لك يا هشام. أنا مقدرة كل ما تفعله من أجلي حقًا.

لاذت بالصمت فغاص في نفسه منتظرا أن تفصح عن سبب الاستدعاء. هل تشاجرت مع والدته بخصوص الأثاث وألوان الشقة؟ أم هل تعترف له أن قلبها لرجل آخر وأن أهلها أجبروها على الخطبة دون إرادة منها؟ أم تراها عرفت شيئًا عن ماضيه الغابر؟ ومن بعيد لاحت له الذكرى المظلمة، وتمنى لو جثا على ركبتيه كي يلثم يديها ويطلب منها الصفح والغفران

- الحقيقة أن ثمة أمرًا ينبغي أن تعرفه قبل أن نتم الزواج، ثم الخيار بعدها لك.

- وما هو؟

- الأمر يتعلق بحادثة أليمة وقعت لي، لا يعرفها غير أمي.

شعر بقلبه يغوص في معدته، ولكن سارة أكملت وقد أدركت أنها بلغت نقطة اللا عودة.

- كنت في يوم عائدة للبيت وكان الوقت قد تأخر قليلًا، وكنا نسهر في ذلك الوقت في منزل صديقة لنا لإتمام مشروع التخرج في السنة الأخيرة بالجامعة، وأثناء العودة للمنزل كانت تلك المنطقة المظلمة بسبب أعمال انشاء الكوبري الجديد و..

تهدج صوتها قليلًا بينما لاذ هو بالصمت وفي عينيه نظرة إشفاق:

- وبينما أنا في طريقي للبيت شعرت بيد تمسك بي وتجرني إلى جانب الطريق خلف آلات الحفر، قاومت وحاولت الصراخ،

ولكن الجبان وضع يده على فمي وأنفي فخرج صوتي مكتومًا، كان الظلام دامسًا فلم أتبين ملامحه وخانني الوعي فلم أشعر بشيء، واستيقظت فوجدت نفسي وحيدة مبعثرة، وأدركت أنني لم أعد كما كنت.

صمتت قليلًا لترى وقع كلامها عليه، ولكنه لم يغير نظرة الاهتمام والإشفاق فتشجعت على الإكمال:

- عندما عدت للبيت حكيت ما حدث لأمي فواستني وأخذتني إلى طبيب لإصلاح الأمر.. كان من الممكن أن يمر الأمر دون أن تعرف، ولكني أكره الكذب والخداع.

صمت هشام مفكرًا.. أخذ ينتقي الكلمات قبل أن يتفوه بها، وحاول أن يخرج صوته ثابتًا واثقًا:

- سارة .. صراحتك وصدقك يرفعان مقامك عندي، ما حكيته لي الآن لن يغير موقفي منك، أنا أحبك وسأظل، ولنعتبر هذه الحادثة كأن لم تكن.

صمت قليلًا ثم أردف:

- ما سمعته منك الآن لن يخرج من هذه الغرفة، ولن نتكلم عنه حتى فيما بيننا، لا داعي لتعكير صفو أيامنا بحدث عارض لا ذنب لك به.

نظرت سارة له بامتنان حقيقي، نظرت للأرض في خفر وحياء ثم قالت بصوت خافت:

- هشام، أنت إنسان نبيل، ولهذا أحبك.

خرج هشام من منزل سارة مفكرًا، لم يكن يتوقع أن تحكي له ما حدث، كان مندهشًا من صراحتها وصدقها. ولاحت له الذكرى المظلمة مرة أخرى، ذلك اليوم الذي كان يقضيه مع أصدقائه يدخنون الحشيش ويتكلمون عن مغامراتهم النسائية، يومها عاد لمنزله بنصف وعي تتلاعب برأسه أبخرة الحشيش، وبينما هو في الطريق لاحظ سارة وهي خارجة من محطة المترو، اقترب منها مسرعًا لاهثًا ثقيل الأنفاس، لم تلحظه عندما كان يقترب من الخلف ثملًا بالرغبة والخيال، أحكم قبضته عليها وجرها إلى المنطقة المظلمة خلف آلات الحفر، قاومت في البداية ثم انهارت فاقدة الوعي، هو أيضًا لم يكن في وعيه ولم يعبأ بأي شيء سوى أن يروي ظمأه، وعندما تركها في الظلام ذهب لبيته وأخذ يبكي طوال الليل، لم يسامح نفسه على فعلته الشنعاء، وفي الصباح قرر أن يصلح خطأه مهما كان الثمن.. مهما كان.

***

عالم تاني

بقلم/ نادية عبد الغفار

ما إن يضع مفتاحه في باب شقته الصغيرة حتى يطلق زفرة ارتياح كالناج من شيء يطارده.

منذ أن استقر به المقام في المدينة وأصبح العالم من حوله غريبًا بل وفي بعض الأحيان غامضًا غير مفهوم، كان منذ زمن غير بعيد يأنس بالناس من حوله؛ فالحياة في قريته الهادئة الرابضة على ضفاف النيل في صعيد مصر حياة بسيطة يتشارك فيها الناس نمطا متشابها وإن كان لكل واحد منهم حمله الخاص، أما ما رآه في عاصمة المعز فقد فاق ما حُكيَ له عنها أو شاهده في المسلسلات.

ما هذا السباق المحموم، ما هذه الوجوه القلقة، بل ما هذه القلوب التي أصبحت كالحجارة أو أشد ومال هذه النفوس تظهر غير ما تبطن أسئلة ظلت تتردد في رأسه باحثة عن إجابة.

ما زالت ذكرى أيامه الأولى في القاهرة منذ أكثر من عامين تشعره ببرودة في أطرافه وكيف لا وهو الذي ظل لمدة شهر كامل

مـادة للتنـدر بـين زمـلاء العمـل مـن دون ذنـب جنـاه إلا أنـه مـن قريـة مـن قـرى الصعيـد، بالطبع تحسـن الوضـع بمـرور الوقـت عـن أيامـه الأولى، ولكـن لـو يعلـم فقـط مـن يطلقـون كلماتهـم اللاذعـة بسـخرية لا يلقـون لهـا بـالًا كيـف تصيـب أرواح الآخريـن في مقتـل كالسـهام المسـمومة لتـواروا خجـلًا.

لم تـرق لـه المدينـة يومًـا وكأنـه قـد قـرَّر أن يحمِّلهـا ذنـب كل سـلوك حـاول جاهـدًا أن يفسـره فلـم يجـد لـه تفسـيرًا وكأنهـا بادلتـه الشـعور نفسـه؛ فلـم تحـاول المدينـة النابضـة بالحيويـة والأجـواء الصاخبـة مـن أن توقعـه في غرامهـا وأصبـح أكثـر انطوائيـة حتـى عـما كان عليـه مـن قبـل، مـا إن ينتهـي عملـه والـذي أصبـح مؤخـرًا معظمـه مـن المنـزل حتـى يـسرع إلى العـالم الأزرق نافذتـه الوحيـدة إلى العـوالم الخارجيـة - حتـى وإن كانـت عـوالم افتراضيـة - ووسـيلته للتواصـل الآمـن أيضًـا أو هكـذا كان يظـن، فعـلى مـدار الشـهور الأخـيرة أصبـح هـذا العـالم الافـتراضي لا يقـل ضجيجًـا بالنسـبة لـه حتـى عـن العـالم الحقيقـي، فهـا هـو الـذي يؤثـر السـلامة، المتابـع بصمـت مـن خلـف شاشـة حاسـوبه بـدأ يشـعر بالشـفقة عـلى نفسـه مـن متابعـة كل ذلـك الصخـب!

كأن الجائحـة أفـرزت أسـوأ مـا في أخـلاق النـاس بـدلًا مـن تهذيبهـا، كلـما ظهـر موضـوع عـلى السـاحة فـلا بُـدَّ مـن أن يدلـو كائـن مـن كان بدلـوه.. صارخًـا معنفًـا مسـفهًا مـن آراء غـيره وكأن الكـون عـلى رحابتـه لا يتسـع لاختلافـات البشر! لمـاذا توحشـوا؟ عـلام يتشـاجرون؟ لمـاذا كلـما اختلـف اثنـان في الـرأي فـلا بُـدَّ أن

يـؤدي ذلـك إلى إفسـاد الـود وقطـع الأواصر، صداقـة كانـت أو حتـى قرابـة.. لا يهـم فـما يهـم هـو الانتصـار للـرأي.

شـعر بثقـل في جفنيـه فدائـمًا مـا يسـتغرقه الوقـت أمـام شاشـته حتـى يأخـذه النـوم فـإذا بالكلـمات التـي كانـت مكتوبـة أمامـه مـن لحظـات لم تعـد مجـرد كلـمات بـل أصبحـت كائنـات متوحشـة تطـل برأسـها الضخـم وعينيهـا اللتـين تطلقـان شرًّا وشررًا لتصـدر أصواتًـا مخيفـة صارخـة في وجهـه وكأن كل هـذه الضوضـاء لا تكفيـه.

أدار ظهـره لهـا وبـدأ يركـض محـاولًا أن يبتعـد عنهـا قـدر اسـتطاعته عـل تلـك الأصـوات أن تتوقـف، ولكـن لم يـزدَد الـصراخ إلا حـدة. هـل أوشـكت تلـك الكائنـات عـلى الفتـك بـه؟ اسـتدار وقلبـه يرتجـف ويالدهشـته حينـما رأى الكائنـات المخيفـة وقـد تحولـت إلى كلـمات مـرة أخـرى، ولكنهـا كالنـار تـأكل بعضهـا بعضًـا حتـى اختفـت.

انتبـه مـن غفوتـه فزعًـا؛ فـإذا بـه مـا زال عـلى كرسـيه تفقـد غرفتـه التـي أصبـح هواؤهـا بـاردًا ثقيـلًا نظـر إلى شاشـته بتمعـن وابتسـم للكلـمات التـي أمامـه ابتسـامةً لا لـون لهـا وهـو يضغـط عـلى زِر إيقـاف تنشـيط حسـابه الشـخصي، فقـد قـرر أن يوقـف كل ذلـك العبـث عـلى الأقـل بالنسـبة لـه حتـى وإن كان شـاهدًا عليـه فقـط.

ألقـى برأسـه إلى الـوراء وهـو يضـع سـماعاته بأذنيـه بعـد أن بحـث في السـاوند كلاود عـن أغنيـة بعينهـا لينسـاب صـوت مدحـت صالـح صادحًا:

رفضك يا زماني

يا آواني

يا مكاني

أنا عايز أعيش في كوكب تاني

***

للأبد

بقلم/ شيماء صادق

ليه سيباني دلوقتي قاعدة في البلكونة لوحدي؟ ليه عملتي فيا كده؟ عملتلك إيه؟ بنام وأنا بعيط وفي كل لحظة بفتكرك. بفتكرك يا (مريم). لما كنا أعز أصدقاء. لما كنا بنشارك بعض في كل حاجة. كنا بناكل بنشرب بنام مع بعض. كنا زي الأخوات وأكتر فضّلتك عن كل حاجة في حياتي.

تعرفي يا (مريم) أنا دلوقتي بقيت أكره أروح الجامعة بسببك. كل حاجة هناك كنا بنعملها مع بعض بتفكرني بيكي مع إننا كنا أقسام مختلفة. رُحتي صاحبتي اتنين غيري وسبتيني في النُّص. كنت واثقة فيكي وعمري ما قلت إنك تسبيني. ليه عملتي فيا كده ليه يا (مريم)؟

وفي لحظة هدوء دخلت ماما.

- (هناء) صباح الخير يا حبيبتي.

- صباح الخير يا ماما.

- صاحية بدري ليه؟ وبتتكلمي مع مين؟

- لا ماما مفيش حاجة.

- بس شكلك متضايق، بصي بقي يا (هناء) هكلمك بصراحة من ساعت ما (مريم) سابتك وإنتي مش عجباني يا بنتي، احكيلي فيكي إيه؟

- هو ده طبيعي؟ يا ماما دي كانت كل حاجة بالنسبة لي، كانت أختي وصاحبتي كل أسراري معاها كل طفولتي ومدرستي، هو ممكن بني آدم يكون وحش أوي كده؟! ده النهارده عيد ميلادي ولا افتكرت تبعتلي حتى رسالة. ليه ممكن بني آدم يكون جاحد للدرجة دي؟ ليه يا ماما؟

حضنتني ماما وهي بتقولي ماتعيطيش يا حبيبتي - وقالتلي بصي يا (هناء) هحكيلك حاجة وأنا في سنك كده كان ليا أكتر من صاحبة، وكنت بحب واحدة فيهم أوي، مش هقولك سابتني وخدعتني وكده، لا حاجة أوحش من كده بكتير بس مش بإيد حد. ربنا افتكرها وماتت كانت أعز أصدقائي، أغلى حد في حياتي، كل ذكرياتنا وطفولتنا وشبابنا مع بعض. لغاية ما اتجوزت وبعديها بشهر تعبت جامد رُحنا كشفنا وطلع عندها المرض الوحش وكانت بتأخد كيماوي. كنت بساعدها كتير الأيام دي. وكنت على طول معاها وهي حاسة إن دي أيامها الأخيرة. كانت ونعمة الأصدقاء، كنت بروحلها المستشفى بنتمشى ونضحك مع بعض لغاية ما رُحت في يوم بعد شهرين من تعبها وبقولهم فين (ريم) قالولي الست (ريم) تعيشي إنتي.

- وبعديها عملتي إيه يا ماما؟

- الدنيـا كلهـا وقفـت بالنسـبة لي، أختـي وحبيبتـي وصاحبتـي مـش هشـوفها تـاني. كنـت في صدمـة، مـش بـاكل مـش بـشرب نايمـة عـلى طـول وبعيـط بـس.

دمعت ماما للحظة وقلتلها:

- خـلاص يـا مامـا لـو مـش قـادرة تكمـلي خـلاص رسـالتك وصلتنـي.

لا يـا (هنـاء) رسـالتي لسـه ماوصلتكيـش، المهـم يـا بنتـي نزلـت بعدهـا بأسـبوعين ُوحـت المستشـفى، آخـر مـكان شُـفتها فيـه روحهـا فيـه، روحهـا آخـر مـرة كانـت هنـا. دخلـت أوضتهـا كانـت واحـدة تانيـة فيهـا.

- قالتـلي إنتـي مـدام (نـور) قولتلهـا آه هـو حضرتـك تعرفينـي؟ قالتلي آه مـدام (ريـم) قبـل مـا تمـوت سـابتلي رسـالة أديهالـك بعـد موتها.

- البقاء الله.

- شكرًا، ونعمة بالله.

- فتحـت الرسـالة وقرأتهـا كتبتـلي فيهـا إزيـك يـا (نـور) يـا صديقتـي المخلصـة، أختـي الـلي ماليـش غيرهـا، أنـا عارفـة إني دلوقتـي هكـون مُـتّ. وإنتـي بتقـرأي الرسـالة دي مـش عايزاكـي تعيطـي، عايزاكـي تدعيـلي وتخليكـي فاكـراني وتحكـي للنـاس عنـي. أنـا كنـت حاسـة إن دي آخـر أيامـي، وكنـت لازم أسـيبلك رسـالة

أقولـك فيهـا همـشي بجسـمي بـس عمـري مـا هسـيبك إنتـي بـس الـلي وقفتـي معايـا في أيامـي الصعبـة وأنـا عـلي طـول معاكـي بروحـي وأنـا جنبـك وهتفضـلي غاليـة عليّـا حتـى لـو رُحـت فـين. آه إحنـا افترقنـا في الدنيـا بـس هتكـون الأرواح مـع بعـض في الجنـة إن شـاء الله انـا بحبـك وخـودي بالـك مـن ولادي وقوليلهـم إني بحبهـم أوي وإنتـي خالتهـم.

- صديقتك المخلصة (ريم).

خلصـت الرسـالة وبـدأت في عيـاط هيسـتيري وبعضهـا فوقـت وروحـت لولدهـا وكل لمـا تكـون وحشـاني افتـح الرسـالة واتكلـم معاهـا عشـان هـي قالتـلي إن هـي موجـودة وهتفضـل موجـودة بروحهـا.

- فهمتيني يا حبيبتي؟

- فهمت يا ماما، شكرًا إنك ساعدتيني.

ونزلـت أتمشـى ورُحـت بيتـزا هـت آكل هنـاك. لغايـة مـا لاقيـت حـد ماكنتـش متوقعـة إني أشـوفه.

- إيه ده (هناء)؟ عاملة إيه فاكراني؟

- لا معلش أنا آسفة مش مركزة بس حضرتك مين؟

- ركـزى شـوية مـين وانتـي في المدرسـة بيقولـك يـا صديقتـي المجنونـة.

- سـكت شـويه وركـزت، إيـه ده (منـي) وحشـتيني أنـا

ماعرفتكيـش تعـالي قعـدي. عاملـه إيـه وعملتـي إيـه كل السـنين ديـه؟

- والله يـا بنتـي الدنيـا بتجـري، أنـا بعـد مـا سـبتكوا رُحـت مدرسـة ثانـوي عندنـا في البلـد وجيـت هنـا في جامعـة آثـار وقاعـدة في بيـت طالبـه ومخطوبـة، سـيبك منـي إنتـي عاملـة إيـه و(مريـم) عاملـه إيـه؟

- لا الموضوع ده انتهى من بدري.

- ليـه كـده يـا بنتـي ده إنتـوا كنتـوا أعـز أصدقـاء ده كل المدرسـة كانـت بتتمنـى أصحـاب كـده.

- خلاص بقى يا (مني) الدنيا مش هتفضل على حالها.

- يالا خلاص أنا موجودة.

- ما أتحرمش منك يا حبيبتي

- أنا هضطر أقوم دلوقتي يا (منى)، أشوفك تاني.

- مـاشي يـا حبيبتـي. (هنـاء) صـح ممكـن رقمـك لـو مـش هضايقـك؟

- آه طبعًا.

وإديتها رقمي ومشيت

- بعد كام يوم لاقيت حد بيتصل عليا رديت: ألو مين معايا

- أنـا (منـى) إزيـك يـا (هنـاء)، كنـت عايـزة أحكيلـك حاجـة لـو فاضيه شـوية.

- آه طبعا بس ممكن تجيلي البيت؟

- تمام، ابعتيلي اللوكيشن وهكون عندك خلال نص ساعة.

- تمام مستنياكي.

جت (مني) وحكينا مع بعض وحكتلي مشكلة مع خطيبها ويوم ورا يوم كنا بنتكلم ونحكي لبعض لغاية ما بقت صديقة عزيزة ليا لغاية ما الأيام عدت وعزمتني على فرحها، وكنت جنبها وكانت وخداني وبتعرفني على الناس إني أختها، وحصلت مفاجأة مكنتش متوقعاها؛ إني أشوف (مريم) روحت لـ (منى) وقولتلها إنتي عزمتي (مريم)؟ قالتلي آه ما هي صاحبتي برضو يا (هناء) على العموم لو مش عايزة تكلميها متكلمهاش قولتلها ماشي بس كان جوايا حاجه بتقولي روحيلها سلمي عليها واعرفي هي عملت كده ليه وفي نفس الوقت ده سمعت صوت.

- إزيك يا (هناء)؟ بصيت وأنا عارفة صوتها ووقفت لثواني وأنا في ذهول عادت السؤال تاني

- إزيك يا (هناء)؟

إزيك يا (مريم) عامله إيه، معلش أنا هضطر أمشي أشوف (منى) لو محتاجة حاجة وأنا ماشية لاقيتها بتقولي (هناء) أنا آسفة.

بصيت ورايا وقولتلها: بكل السهولة دي؟ إنتي دمرتيني، دمرتي حياتي وبالسهولة دي تتأسفي؟

قالتلي أنا عارفة إني غلطت وغلطت غلطة كبيرة بس عمري ماشيلتك من دماغي. كل حاجة ليكي عندي، صورك حاجاتك الهدايا بتاعتك كل حاجة.

في نفس الوقت قولتلها أنا بقى عكسك، أنا شِلت صورك، حجتك، الهدايا بتاعتك، كل حاجة، وشلتك من دماغي. لاقيتها جريت عليا وبتقولي سامحيني أنا بحبك ومش هحب غيرك يا أعز صديقة، وحشتيني.

دون تردد قولتلها:

- وانتي كمان وحشتيني.

وفي اللحظة دي كنت نسيت كل حاجة قالتلي:

- أنا ممكن آجي عندك النهارده؟

- ماشي.

وأنا طايرة من الفرحة وروحنا (لمنى) مع بعض بصتلي وضحكت واستمتعنا باليوم أعز أصدقائي بتتجوز النهارده، الفرح خلص وروحنا قعدنا مع بعض زي زمان وطلبنا بيتزا وبنضحك ورجعت حياتي زي الأول تاني بس المرة دي (منى) فيها.

- خلاص كده يا ماما ورجعتي انتي وطنط (مريم)

- آه يا حبيبتي ما إنتي بتشوفينا على طول مع بعض، وإنتي كمان يا حبيبتي هتسيبي صحابك وتتخانقي وتصاحبي تاني بس

صديقتك الأولى اللي عملتوا مع بعض ذكريات كتير هتفضلوا مع بعض زينا كده إحنا حضرنا فرح بعض وولادي ولادها وإنتي عارفة إن طنط (مريم) وطنط (منى) بيحبوكي أد ايه. بس ده عادي بيحصل زي ما حصل معايا ومع جدتك وممكن ماترجعوش تاني عادي برضو.

يلا بقى يا (حلا) ادخلي نامي يا حبيبتي علشان عندك مدرسة بكرة.

- حاضر يا ماما، تصبحي علي خير.

- وإنتي من أهل الخير يا حبيبتي.

***

اعتزال

بقلم/ مي حسن

أقصَتْ نفسها إلى عالم قصَيّ.. لا يعبأ بها أحدٌ فيه، ليس به سواها.. عالم آمن.. لجأت إليه بعد عِلمٍ رسَّخه إيمانٌ رشيدٌ بسعادة الوحدة.

حيث ألقى آباؤها السابقون قولًا: «الجنة من غير ناس ما تنداس».

ولكنها عَقَلت قولهم، وأيقنت أن الجنة هي الأمان بالاطمئنان، ولن يأتي ذلك الشعور غير بوحدتها،

لا تريد أن تثُقل أحدًا بها..

لم ترتدِ الأسود حزنًا ولم تذرف دمعًا ولا يحيط عينيها هالات سواد ولا هامت عبثًا في الطرقات.

بل عَقلت فنضجت وهَدأت، تراخت أعصابها كما لو أنها أنهت على التو تمرينات رياضيةٍ عشرة، وخضعت لجلسة تدليك شعرت فيها بتفكك عِظامها.

وبعدها استوت على لَوحٍ رخامي رَطِب يَحفّه الورود والروائح الذكية العتيقة للاسترخاء.

هذا الشعور لن تحصل عليه إلا بوحدتها في غرفة خافتة الإضاءة تكسو جدرانها لوحات فنية راقية، مع نغمات خفيفة لألحان هادئة.

هناك من يعتقد أن العُزلة اكتئاب وأناس تلقوا من الدنيا ضربات مبرحة فأثروا الاستسلام وعشقوا الأحزان.

بينما هي ظلَّت تبحث عن العُزلة لتخلق عالمًا جديدًا سعيدًا يسكنه البراح.

انتهزت الفرصة وجلست بمفردها أمام شاطئ انتقته خاليًا، جلست بعيدًا ،لا يوجد أمامها سوى الطبيعة: الأشجار والحشائش والرمال والبحر.

كانت ترقد بعيدًا عن البحر واكتفت برؤيته من بعيدٍ.

لوحة فنية مبهجة لعالم خيالي.

طيور بيضاء تحلِّق بعيدًا وتتخطى السحب الكثيفة.

والسماء متدرجة الألوان بين الأبيض ودرجات الأزرق، تكاد في زاوية بعيدة أنها التصقت بالبحر وبدت درجة أغمق من درجات زرقتها.

وصفحة البحر أمامها ممتدة بعرضها..

تتسع كتابة كل الأسرار بالحروف والكلمات والجمل..

الأمـواج متواليـة كخطـوط مُسطَّرة، تتابعهـا في انتظـام يُضفـي رتابـة جَليّـة مقصـودة، تحـث عـلى البـوح بـكل مـا يؤذيهـا.

دنت لتكتب سرها ولفت نظرها

قفزات حيوية لأسماك صغيرة فضية تمنت لو تقافزت معهم

وفاجأتهـا الأسـماك الكبـيرة أسـفلهم بأفـواه منفرجـة تلتقـم بعضهـم ويتقافـز البقيـة للنجـاة مـن فِـكاك الأسـماك المفترسـة.. فوجمـت..

وأفاقها ارتطام الأمواج المتكسرة على الصخور في وجهها..

فزعت من المشهد ووثبت بعيدًا مهرولة..

فجـال بصرهـا بحثًـا عـن وجهـةٍ أخـرى، وشردت في نَجـمٍ لامـع يسـبح في الفضـاء، وحيـدًا مثلهـا يتـلألأ..

لم تشـعر بكتلتهـا، حِميـة مشـاعرها تدفقـت داخلهـا واحترقـت كوقـود ذري حملهـا إليـه فصـارت جُرمًـا سـماويًّا تابعًـا لـلأرض، عجبـت لأنهـا كانـت في كامـل يقظتهـا لم تجفـل عيناهـا ولم تحلـم..

لهـا مـدار خـاص تـدور بـه وتسـبح وسـط الكواكـب وحدهـا، لكنهـا لم تلحـق بالنجـم ولا بالقمـر.

كلٌّ يـدور في فلكـه الخـاص، جميعهـم مثلهـا عـلى عِلـمٍ بسـعادة الوحـدة ومعانـاة القُـرب، تأملتهـم وجدتهـم يحـذرون انحـراف أي منهـم عـن مـداره، ففـي القـرب هلاكهـم ويفقـدون خواصهـم إلى شـظايا متناثـرة، القـرب مـن الشـمس احـتراق والفـرط في البعـد يمنـع عنهـم جاذبيتهـا.

نظام محكوم يسبح كلٌّ في فلكه، وحيد ينعم بالدوران والطاعة على بصيرة من الفَهم.

ظلَّت تسبح بينهم وحيدةً راضية، تدور في أقصى سرعتها وتتفادى القرب من الأجسام المواجهة لها، على حذَرٍ شديد من خطر الاقتراب.

إلى أن شُلَّت حركتها بصطدام مفاجئ بصفعات قوية مضادة وحِبال تربط أطرافها.

فلما استفهمت وسألتهم البعد عن مدارها وتوسلت..

فقدت خاصيتها وهبطت مجددًا إلى مرقدها..

صاحت بكل قوتها وضاقت عليها الأرض بما رَحِبَت

رأتهم يَطوون اللوحات بعيدًا عنها

ولم تشعر بنفسها إلا وتدفق التيار الكهربائي يُدغدغ من جديد أوصالها، وتجهم الوجوه المحيطة بها..

وما إن تراخت بجسدها حتى حملتها الأيادي بالقفازات البيضاء من غرفة التأمل إلى مهدها بعنبر النوم في المشفى الخاص للعلاج النفسي والعقلي.

تَعَلّقت بيد طبيبتها بشدة وقالت لها في إنهاك: لَستُ مريضة.

كُنت أبحث عن الوحدة وأخلق عالمي الآمن.. ولكنهم كعادتهم خافوني وأَسَروني في عالمهم .

صدمة أمل

بقلم/ ياسر شداد

جـرس البـاب يـدق في السادسـة والنصـف صباحًـا. دخلَـت قريبتُـه في حالـة يرثـى لهـا، تغمغـم بكلـمات يتعـذر الربـط بينهـا وفهمهـا مـن فـرط اضطرابها وبكائهـا. وحـين وعـى حديثهـا هالـه مـا سـمع. لا! لا يمكـن تصديـق هـذا الـكلام! مسـتحيل! الـكل يعـرف مهارتـه في الطـيران. هنـاك أمـر غـير مفهـوم.

أخـذ وإخوتُـه يهدئـون مـن روع قريبتهـم التـي أذاعـت لهـم ذلـك الخـبر المشـئوم والـلا معقـول، محاولـين طمأنتهـا بـل وإضحاكهـا بـكل مـا تفتقـت عنـه بـراءة قلوبهـم الغضـة.

لكـن القلـق بـدأ بمـرور الوقـت يشـق طريقـه إلى نفسـه. «كيـف انقطـع الاتصـال بطاقـم الطائـرة لهـذه الفـترة الطويلـة؟ ولمـاذا لا تَـرُد شركـة الطـيران عـلى استفسـاراتنا؟ وكيـف لا تعـرف مـا حـدث حتى الآن؟ لقـد كاد يُـؤذَّن لصـلاة العـصر، ومـا مـن مجيـب عـلى أسـئلتنا. سـترك يـا رب!»

ومـا بـين التفـاؤل الشـديد والثقـة العميـاء مـن جهـة في اسـتحالة

حدوث مكروه لمثَله الأعلى في إتقان العمل، الذي كانت عودته أمرًا طبيعيًّا يغمره بالفرحة بعد كل سفر، وبين ذروة التشاؤم من الجهة الأخرى مما يأتي وما لا يأتي إلى مسامعه، ظلَّ صاحبنا يتخبط بشدة، ومرت عليه لحظات الانتظار البطيئة كالجبل الجاثم على صدره.

جرس الباب يدق بقوة قبيل العصر. هَرع إليه ليفتحه والقلق يعتصر قلبه مما يتوجس سماعه. نظر من العين السحرية فرأى أشخاصًا لا يعرفهم، وفي أيديهم آلات تصوير ودفاتر للكتابة. هُم، ولا بُدَّ، صحفيون. لقد بدأ قراءة الصحف منذ فترة وعرف أن شرف هذه المهنة يكمن في أمانة الكلمة. وثقته بالتالي في الصحفيين كاملة. لقد أتوا، ولا ريب، بالنبأ اليقين. فتح لهم الباب بلهفة مشوبة بالقلق، وشعر بأن نبضات قلبه يشق صوتها الصمت المخيم على المكان. وقف مشدوهًا وهو يستمع إلى ما يقولون:

«أبوكم ده بطل. أنقذ الطيارة بأعجوبة. لولاه، كانوا كل اللي عليها ماتوا. نزل بالطيارة بسلام رغم كل الصعوبات. هو ومامتكم بخير، وهيرجعولكم بعد يومين. تسمحولنا ندخل؟ هنكتب عن بطولته في الجرايد ومحتاجين شوية صور.»

انفرجت أساريره على الفور، وربت على نفسه قائلًا: «كنت متأكدًا من استحالة أن يكون ادعاء سقوط الطائرة صحيحًا.»

انزاحت الغمة إذًا، وراح صدره ينشرح من جديد. وسرت

في كل كيانه طمأنينة كان في أمسِّ الحاجة إليها. يا له من يومٍ عصيب! منذ الفجرِ وهو وإخوته يجاهدون أنفسهم لدفعِ أسوأ التصورات المحتملة. ما أصعب فقدان الأهل وأنت في الرابعة عشرة من عمرك! في وقتٍ لم تكتمل فيه بَعدُ شخصيتك وتكون في أمسِّ الحاجة إلى دعم قدوتيك. ألا يكفي أن الوالد دائمَ الغياب بسبب طبيعة عمله؟ «الحمد لله! الحمد لله الذي ساق هؤلاء الصحفيين إليَّ بالبُشرى! ما أجمل الانتقال من ذُروة الأسى إلى أعلى درجات الطمأنينة!»

جفف دموع الفرح بصعوبة حتى لا تظهر في الصورة. وأخذ الصحفيون ما طاب لهم من ألبوم العائلة، وسارعوا بالخروج معًا في فرحة عارمة.

جرس الباب يدق بعد السادسة مساء. تدخل خالته في صمت مطبق ملتحفة بالسواد المندى بما تذرفه عيناها. منعه جارُهم من الحديث معها، وأخذه وإخوته عنده في شقته. لمح على السلم عددًا من الأهل يصعدون الدرج. ما خطبهم؟ ولماذا اللون الأسود؟ ولِمَ تبكي النساء من أقاربه؟ بل وبعض الرجال أيضًا؟ أولَم يقابلوا الصحفيين؟ ألم يعلموا النبأ اليقين؟ أراد أن يزف إليهم خبر نجاتهما بنفسه، ولكنه فكَّر مليًا: «ما هذا التناقض؟ ولِمَ هذا الغموض؟ ولماذا أخرجَنا جارُنا العزيز من شقَّتِنا؟ هل يخفي عنَّا شيئًا؟» وسرعان ما استشعر في فمه مرارة الحقيقة التي

تأكدت حين جاءه عمُّه وطلب الاجتماع به وبإخوته. وقع عليه الخبر كالصاعقة: لقد سقطت الطائرة ولم ينجُ أحد.

سقط من أعلى عليين. وسرت برودة الأسى وخيبة الأمل مسرى الدم في عروقه. لم يقوَ حتى على البكاء، وتحجرت الدموع في عينيه. «مستحيل! لقد كان من أفضل الطيارين، إن لم يكن أمهرهم. ثم إن الصحفيين أكدوا نجاتهما. لا! لا يمكن أن يكونا قد ماتا. لعل في الأمر خطأ ما. لا يمكن تصديق ما حدث».

لم يقبل حقيقة وفاتهما. وظلَّ منذ ذلك الحين يتفحص وجوه الناس في الطرقات عسى أن يراهما بينهم. وكلما دخل الشقة، ركض نحو غرفتهما لعلَّه يجدهما. وكان يتساءل دائمًا: «لماذا لم يسمحوا لنا بحضور الجنازة؟ هل يخفون عنا أنهما لا يزالان على قيد الحياة؟» كانت الصدمة عليه شديدة، ورفضُه تامًا لفكرة الحرمان منهما إلى الأبد. وظلَّ يشاهد في منامه بصورة شِبه يومية ما يزيده ألمًا ويذكِّره بأقسى محنة خاضها في حياته.

جرس الباب يدق مرة أخرى، كالعادة، والطَّرق على الباب شديدٌ. إنهم الصحفيون. فتح الباب بلهفة لا تقل عن لهفته في المرة الأولى لعلَّ في الأمر جديدًا. أكدوا له أن أباه بطل استطاع أن يصل بالطائرة إلى بَرِّ الأمان، وقد عاد كل من كانوا على متنها إلى منازلهم، بمن فيهم والداه. ركضَ على الفور ملتمسًا باب

غرفتهما، يضنيه الشوق لرؤيتهما. ولكنه في هذه المرة لم يجد الباب في المكان المعتاد. بل إنه لم يجد الغرفة نفسها. فرك عينيه وفتحهما بصعوبة. الرؤية ضعيفة. والظلام دامس. والبرد شديد. إنه الآن في الولايات المتحدة، وقد أصبح في السابعة والثلاثين من عمره.

***

فُسيفساء الغربة

بقلم/ رضوى حسين علي

الساعة الثامنة والنصف صباحًا..

دلفت هند إلى المقهى الكائن أسفل بنايتها القابعة بوسط البلد في ميلان، وألقت عليهم بمحبة السلام اليومي وقبل أن تنطق بطلبها أحضر لها النادل فنجان القهوة الإسبرسو ذا الرائحة النفاذة والكرواسون المحشو بكريمة الفستق.. طلبها المعتاد.

ولكنها اليوم لا تريد أن تأكل وتشرب ما اعتادت عليه.

تشعر باعتلال مزاجي ملحوظ ولا تعلم سببه. ستجلس الآن وتتابع نشرة الأخبار الصباحية ثم تقرأ بعض الجرائد وهي تستمع إلى أحاديث فرانكو صاحب المقهى وفابيو النادل مع جميع الزبائن، وحينما يصمت الجميع ستفكر هي بهدوءٍ في أسباب اعتلال مزاجها وهي تحتسي القهوة وتأكل كريمة الفستق. لا! لن تأكل كريمة الفستق اليوم.

استدعت فابيو، وطلبت منه استبدال الكرواسون بكعكة

التـوت الـبري عـلى سـبيل التغيـير، ففعـل مـا طلبـت عـلى الفـور بابتسـامته المعهـودة.

جلسـت هنـد إلى طاولتهـا المفضلـة، ولكـن حتـى جلسـتها كانـت توحـي بالبـؤس وانعـدام الدافعيـة، وبعـد أول رشـفة مـن القهـوة بـدأت تـأكل بملـلٍ دون أن تتـذوق الطعـام عـلى غـير عادتهـا..

يبـدو أن اليـوم هـو يـومٌ آخـر مـن تلـك الأيـام التـي تشـعر فيهـا بالغربـة.. ذلـك الإحسـاس الثقيـل الـذي لا يـبرح روحهـا مهـما تحدثـت اللغـة بطلاقـة وصادقـت الجميـع مـن حولهـا وفهمت سياسـة واقتصـاد الدولـة التـي أتـت إليهـا قبـل أكثـر مـن عـشر سـنوات.

نظـرت هنـد إلى شاشـة التلفـاز الصغـير المعلقـة عـلى الحائـط واسـترعى انتباههـا تاريـخ اليـوم المكتـوب أسـفل الشاشـة يسـارًا عـلى شريـط الأخبـار المتحـرك.

٢٠٢٠/ ٢/ ٢٠ تاريـخ مميـز جـدًّا يُشـير إلى انقضـاء خمسـة عـشر عامًـا عـلى هجرتهـا مـن مـصر إلى إيطاليـا.

شرد ذهنهـا برهـة وتذكـرت يومهـا الأول في بلـد المهجـر وكيـف انهـا بمـرور الوقـت انخرطـت في المجتمـع بسـهولة ويُسر ولَم تعـانِ قَـط مثـل الكثـير مـن المهاجريـن، ربـما لتمكُّنهـا مـن اللغـة، أو لعلهـا كانـت مُهيـأة أكثـر مـن غيرهـا للتفاعـل مـع كل مـا هـو جديـد أو مختلـف وربـما لأنهـا كانـت تعشـق إيطاليـا منـذ الصغـر. هـي لا تعلـم بالضبـط.

ولكنهـا عـلى يقـين أن رحلتهـا كانـت رحلـة حيـاة معقـدة بقـدر مـا كانـت ممتعـة، وبالرغـم مـن أنهـا لم تجـد أيَّ صعوبـةٍ في الاندمـاج

التـام مـع المجتمـع الغـربي الـذي لم تكـن معتـادة عـلى الكثـير مـن قيمـه التـي لم تـترَبَّ عليهـا، إلا أنهـا أبـدًا لم تشـعر بالانتـماء الكامـل لـه حتـى بعـد حصولهـا عـلى الجنسـية الإيطاليـة. ربـما لأن هنـد لم تكـن معتـادة عـلى بعـض قيـم هـذا المجتمـع، أو ربـما لأنهـا ظلَّـت محتفظـة ببعـض الثوابـت والقناعـات التـي لم تكـن تـود تغييرهـا أبـدًا مهـما تشـبعت بـكل مـا هـو إيطـالي.

لقـد أصبحـت هنـد إيطاليـة الجنسـية، ولكنهـا لا زالـت مصريـة الـروح.

حسـنًا! أخـيرًا فطنـت إلى مُـبرر اعتـلال مزاجهـا: نوبـة الإحسـاس بالغربـة. نوبـة يشـعر بهـا معظـم المهاجريـن مـن حـين لآخـر.. إحسـاس عليـل يتسـرب إلى النفـس لا تعلـم مـن أيـن بالضبـط، ولكنـه حـين يـزور الشـخص يثبطـه ويجعلـه يشـعر أنـه بـلا هويـة.. نعـم بـلا هويـة.

أخـذت تفكـر في الأمـر كثـيرًا ثـم تذكـرت كل الذكريـات الجميلـة التـي جمعتهـا بربـوع توسـكانا وشـواطئ صقليـة وآثـار رومـا التـي تشـعرك أنـك تمـشي في متحـف مفتـوح. تذكـرت أيضًـا سـاعات بقائهـا في مكتبـة الجامعـة، وكيـف أثقلـت تلـك السـاعات قدراتهـا ومعرفتهـا ووعيهـا؛ العـادات الصحيـة المختلفـة التـي اكتسـبتها حينـما التحقـت بالجامعـة في شـمال إيطاليـا خاصـة فيـما يخـص احـترام الوقـت وتنظيمـه والالتـزام بـكل مـا كان يـوكَّل إليهـا مـن مهـام؛ قدرتهـا الفائقـة عـلى تـذوق الفنـون المختلفـة مـن رسـم ونحـت وموسـيقى؛ تلـك القـدرة التـي تطـورت فقـط في إيطاليـا، بلـد الفـن والفنانـين.

إذًا، الوضع ليس بهذا السوء. الغربة ثقيلة ومُرهِقة وقد تكون قبيحة حتى، ولكن لها دائمًا وجه آخر.. وجه جميل.

الغربة تُفقدك جزءًا من هويتك، ولكنك تكتسب جزءًا آخر ربما يعوض ما تخسره يوميًّا في احتكاكاتك مع الزملاء الذين لم ولن يفهموا بدقة ما تقصد حينما تتحدث عن عاداتك وتقاليدك ودينك وطفولتك ووعيك الفردي الذي تشكَّل باختلافٍ بالغٍ عن وعيهم، ولكنهم يحبونك وتحبهم؛ ما تخسره في صراعاتك اليومية مع ثقافة تراها غريبة وتراك غريبًا، ولكنها تسمح لك بأن تترعرع كما تشاء وكيف تشاء، في أعيادك التي تقضيها وحيدًا لا تحتفل ولا تشعر خلالها بفرح ولا يشعر بها أحدٌ من حولك.. خسارات كبيرة وصغيرة لا يعلم عنها أحد وتتجرعها أنت بكل مرارة بينما يغبطك البعض على النظام والنظافة والمدنية التي تتمتع بها في «الغربة» الساحرة.

في الغربة تشعر أحيانًا أن روحك وكنيتك غير متسقتين، وفِي أحيانٍ أخرى يغمرك سلامٌ نفسي لا مثيل له فتتمنى عدم زواله أبدًا. وفِي النهاية تكتشف أنك أصبحت لوحةً فُسيفسائية تحوي مزيجًا مُتفردًا من الأفكار والقيم والرؤى.. مزيج لن تراه في أي متحف على وجه الأرض.. مزيج تُميزه أنت فقط وتتميز به أنت فقط.

راقت لها الفكرة واعتدل مزاجها فاعتدلت في جلستها البائسة وابتسمت وأخذت الآن تأكل كعكتها بشهية المغتربة المنتصرة.

***

الرباط العنيد

بقلم/ رضوى حسين علي

لم تنتوِ الوقوع في غرامه قَط لا قبل ولا بعد أن عرفت بزواجه..

لقاؤهما الأول كان عاديًا.. عاديًا جدًّا، ولكن في خضم كل ما هو عادي كان هناك شيء غير عادي بالمرة لم تتبين ماهيته، ولكنها استشعرت شيئًا مختلفًا بينهما وبدا أنها لم تكن الوحيدة.. أيمن أيضًا قلبه خفق ناحية رنا ومنذ تلك اللحظة نشأت بينهما رابطة غريبة لم يرد الله أن تنقطع حتى يومنا هذا.

تطورت علاقتهما بسرعة وبقوة أيضًا، خاصة بعد أن وقع بينه وبين زوجته الأولى طلاق بائن بعد زواج دام لعشرة أعوام.

أيمن شخصية جذابة جدًّا لا تستطيع أن تقاوم خفة ظله وكاريزمته الطاغية. له أسلوب غاية في التميُّز في جذب الآخرين دون أدنى جهد. مغناطيس بشر.

لذلك لم يكن غريبًا أن تذوب رنا فيه عشقًا؛ وأيمن أيضًا زعم أنه أحبَّها حُبًّا شديدًا. توَّجا قصة الحب العنيفة بالزواج رغم كل مخاوف أيمن وشكوكه في القدرة على إنجاح زيجة ثانية.

وفي وسط هذا الحب العميق اشتعلت النيران في كل ما ربطهما وتحوَّلت الصداقة إلى جفاء ،وانقلب القرب بُعدًا وخصامًا، ورأت رنا من حبيبها بعد زواجهما أشكالًا لا حصر لها من الهجران والإساءة العاطفية التي لم تكن تعلم حتى بوجودها على وجه الأرض، ولم تكن تقوى على احتمالها. تحوُّل لم يسع عقلها استيعابه. أين الحب؟ أين الاحتواء؟ ما هذا الخرس الزوجي الذي اتسمت به أيامهما؟ لماذا يغضب بهذا الشكل؟ أين ذهب أيمن المُحب الحنون صاحب الكاريزما الفتاكة؟

باتت رنا تعاني كل يوم من وحدة تسحق روحها سحقًا. في كل اختلاف كان الانسحاب وعدم

المواجهة هو سمة أيمن التي لا تفارقه. لا يهم مدى حدة الخلاف أو أسبابه، أيمن لا ولن يتواصل مع رنا. سينسحب إلى غرفة المكتب ويخاصم رنا ويتركها للظنون والتخمينات، بل وقد ينتظر منها أيضًا أن تأتي هي لمصالحته. هكذا كانت تفعل والدته في طفولته كلما غضب؛ فلماذا لا تستطيع رنا أن تفعل نفس الشيء!!» هذا ما كانت تحدثه به نفسه.

رنا متحدثة لبقة، شخصية اجتماعية من الدرجة الأولى، تقدس التواصل وتظن أن السبيل الأفضل والأوحد لحل كل المشكلات على وجه الأرض هو النقاش وتبادُل وجهات النظر وجهًا لوجه، ضحكاتها عالية ولا يمكن أن تدخل أي مكان دون أن تُحدِث ضجة لأنها دائمًا مليئة بالأحاديث والأفكار والحكايات. ولذلك كانت

تؤمـن أن لـكل مشـكلة حـلًا وأن الحلـول لا يمكـن أن نصـل إليهـا دون تواصـل فعَّـال ومستمر، ولكـن يبـدو أنهـا هـي وأيمـن زوجهـا تشـاركا عـدة آراء إلا هـذا الـرأي، ولَم يؤمنـا بـه معًـا حيـث أن أيمـن بـرع في الصمـت والاختفـاء والانسـحاب لا سيما في وقـت الأزمـات ولعـل هـذا هـو نفـس السـبب الـذي أدى إلى فشـل زيجتـه الأولى.

تفاقمـت خلافاتهـما بسـبب وبـدون، ومـرت لحظـات لم تتمـنَّ رنـا فيهـا أكثـر مـن أن يسـتمع أيمـن إلى

مخاوفهـا ويعانقهـا ويطمئنهـا فقـط حتـى إن لم يجـدا حلـولًا سـحرية لمشـكلاتهما. لم تكـن تريـد حلـولًا جذريـة وفوريـة، وإنـما تاقـت لإقـرار مشـاعرها.. أرادت أمانًـا ودعـمًا واطمئنانًـا؛ الأمـر الـذي لم يفطـن إليـه أيمـن عـبر السـنوات ولم يعطهـا إيـاه قَـط.

زواجهـما كان بحـرًا تنظـر إليـه مـن الخـارج فتجـد زرقتـه مبهـرة وصافيـة ولكنـه هائـجٌ في معظـم الفصـول. وكلـما أرادت رنـا أن تسـبح فيـه علـت الأمـواج، وشـاء التيـار أن يـأتي دائـمًا ضدهـا ولأنهـا كانـت تسـبح بمفردهـا دون طـوق نجـاة أو سـبَّاح ماهـر يمسـك بيديهـا حـين تشـتد الريـاح، لم تجـد بـدًا مـن الوقـوع في دوامـة أهلكتهـا وعصفـت بـكل قواهـا.

التيـار كان أقـوى مـن قـدرة كليهـما عـلى السـباحة فوقـع الطـلاق وجـف البحـر.. لا تبخـر مـن سـخونة خلافاتهـما فتحـول بحـر حبهـما إلى صحـراء.

لم يشـعر أحدهمـا بالراحـة بعـد الفـراق. في البدايـة ظنـت رنـا أن

سحابة الحزن التي خيمت عليها ليلًا ونهارًا ستنقشع بعد حينٍ، وأخبرت نفسها أن الفراق ألمٌ لا بُدَّ منه، ولكنه غير باق وسيزول قريبًا. لم يخطر ببالها أن أيمن كان قد وقع في نفس الهوة السحيقة، وأنه لم يتوقف لحظة عن التفكير فيها والاشتياق لها.

مجهد جدًّا أن تقضي يومك كله -على الرغم من الانشغال والاجتهاد والمقاومة- في طرد فكرة واحدة من عقلك، أو شخص أو حنين. ما الحل إذًا؟ آآآه! الرابطة. لقد نشأت بينهما رابطة لا بُدَّ أن تقطعها أو تُميتها. نعم! هكذا قال لها معلم اليوجا والدفاع الطاقي: إن الروابط التي تنشأ بين البشر تُشبه الحبال وإن أردنا التخلص من التفكير في شخصٍ بعينه أو إخراجه من عقولنا لا بُدَّ أن نركز طاقتنا العقلية والنفسية كلها فيقطع ذلك الحبل وإلقاءه في مكان بعيد ودفنه مثلما ندفن الأموات.

«حسنًا، سأفعل هذا بالضبط.» حدثت رنا نفسها.

وفي كل مرة تقدم على المحاولة، تأبى رابطتهما أن تموت. حبهما وحنينهما إلى بعضهما البعض كان أقوى من كل شيءٍ. جمعتهما الحياة مرة أخرى، بل مرات ثم تفرقا من جديد، فأبت الرابطة أن تموت وتُدفن وكأن الطاقة والمقاومة اللتين تحدَّث عنهما معلم اليوجا بجبروتهما وقوتهما لا يساويان جناح بعوضة أمام ما شعر به أيمن ورنا.

ولكن ماذا بعد؟ أيستمر أيمن في بخله العاطفي ناحيتها؟ لماذا تجد نفسها مجبرة على تحمُّل هذا البعد والجفاء والإهمال؟

أخـيرًا قـررت رنـا أن الرابطـة لا بُـدَّ أن تنقطـع وتمـوت وتُدفـن ولكـن هـذه المـرة يبـدو أنهـا لا بُـدَّ وأن تتعلـم فنـون الدفـن وأصولـه؛ فربـما هـذه هـي المشـكلة؛ فهـي حقًـا لم تعـرف إن كانـت هـي التـي لم تتقـن

الدفـن في كل المـرات السـابقة أم أن الأزمـة في المدفـون الـذي يمتنـع عــن المــوت ويُبعــث في كل

مـرة مـن جديـد أم أن المسـألة مسـألة وقـت والدفـن - حتـى يتـم بنجـاحٍ- يحتـاج فقـط لوقـتٍ أطـول حتـى يـواري الثـرى جثـة تلـك الرابطـة العنيـدة.

***

أنيس

بقلم/ رضوى حسين علي

تعرفت اليوم إلى صديقٍ جديد. أنيس.

مظهر أنيس يدل على الهدوء والرصانة، وقد لا يوحي لك في صمته بأن لديه أفكارًا عظيمة أو عميقة ولا بأنه يفكر أصلًا. تشعر كلما نظرت إليه أنه ينتمي إلى هؤلاء الأشخاص الذين لا يلقون بالًا لمثقال ذرة في الحياة.

ثم يبدأ بالحديث..

يحكي ويحكي..

حكى لي مقتطفات مختلفة من حياته؛ بدأ حكاياته بانتقاله المفاجئ إلى إيطاليا وهو في الثامنة عشر من عمره. لم يكن يعرف أي شيء عن إيطاليا وكان والده يعمل مزارعًا بسيطًا جدًّا في إحدى أراضي جنوب إيطاليا، بالتحديد في صقلية.

أنيس كان قد أنهى المرحلة الثانوية في مصر وبعد الهجرة إلى إيطاليا أراد أن يلتحق بالجامعة، ولكنه لم يكن يعرف اللغة. لم يكن

لديـه أصدقـاء ولم يكـن لديـه المـال الـكافي ليدفـع القسـط الأول الإجبـاري مـن مصروفـات الجامعـة.

كان أنيـس فخـورًا بـكل تلـك التحديـات بينـما كان يحكـي لي قصتـه. بـدا شـاردًا في بعض الأحيـان، ولكـن هـذا الـشرود لم ينتقص أي شيء مـن فخـره بمشـواره في الحيـاة.

سـألته مـاذا فعـل ليصبـح مـا هـو عليـه الآن، فقـد رأيـت أمامـي شـابًا وسـيمًا جـدًّا، مهندمًـا، يتحـدث الإيطاليـة بطلاقـة ويحمـل جواز سـفر البلـد التـي أتـى إليهـا كمهاجـر غريـب قبـل عشريـن عامًـا مـن الآن. يعمـل في واحـدة مـن أكـبر شركات العـالم ويسـكن بميـلان، المدينـة الأغنـى والأكثـر تقدمًـا في إيطاليـا.

«عملـت كل وأي حاجـة أقـدر عليهـا عشـان أتعلـم إيطـالي وأكسـب فلـوس أروح بيهـا الجامعـة. سـينيورا أنّـا ماريـا بقـى هـي الـلي لهـا الفضـل بعـد ربنـا سـبحانه وتعـالى في كل الـلي أنـا فيـه دلوقـت. الله يرحمهـا رحمـة واسـعة.» قالهـا وبـدا متأثـرًا رغـم ملامـح وجهـه الحـادة.

لم أفهـم بالضبـط مـن هـذه السـيدة، ولكنـي تبينـت أنهـا بالتأكيـد شـكلت لـه الدعـم الأول أو الأكـبر في الغربـة وسـاعدته كثـيرًا.

اسـتطرد في الحكـي فعلمـت بعـد ذلـك أن السـيدة ماريـا هـي المالـك لـلأرض التـي عمـل بهـا والـد أنيـس وأن الأخـير طلـب منهـا أن يسـاعد والـده في فلاحـة الأرض نظـير مبلـغٍ مـن المـال يضعـه

جانبًا ليذهب إلى الجامعة فوافقت على الفور وعرضت عليه أن تتطوع هي لتعلمه اللغة الإيطالية ووافق على الفور.

كان يذهب كل صباح قبل العمل إلى ماريا السبعينية. هي لا تعرف العربية وهو لا يعرف الإيطالية، ولذلك كان مجبرًا أن يستمع لما تقول ويفهم بأي طريقة وهي -وفقًا لرواية أنيس- لم تبخل عليه بمعلومة صغيرة كانت أم كبيرة، وأوصته بأن يضع في أذنه سماعاتٍ تبث برامج أو موسيقى أو أخبارًا باللغة الإيطالية في كل الأوقات التي لم يستطع أن يتحدث معها فيها.

استطاع أنيس أن يتحدث اللغة بطلاقة في غضون شهور قليلة وادخر مبلغًا صغيرًا ليلتحق بالجامعة في العام التالي وساعدته ماريا بمبلغ إضافي، وطوال سنوات الدراسة كانت تحضر له الطعام وتغسل له ثيابه وتساعده في مراجعة دروسه وشرح ما استعصى عليه، ودائمًا ما كانت تعطيه كتبًا في التاريخ والأدب والسياسة ليقرأ. كانت تقول له إن القراءة هي وقود الذهن وأنها السبيل الوحيد لإنارة العقل وتوسعة المدارك.. وبالفعل عشق القراءة بفضلها. كان بمثابة ولد أو حفيد لها، فهي لم تُنجِب ورأت في أنيس ولدها الذي لم يمن الله به عليها.

رحلت ماريا بعد عشر سنوات من وصول أنيس إلى إيطاليا، ويوم رحيلها كان أتعس من يوم رحيل والدته البيولوچية التي لم يقدر له أن يراها قَطّ، فقد وضعته وفارقت الحياة وعاش مع والده أولًا ثم انتقل للعيش مع عمته حينما سافر والده للعمل في إيطاليا.

كان يحكـي لي الأحـداث بسلاسـة، ثـم فجـأة دمعـت عينـاه وهـو يتذكـر ذلـك اليـوم وكان ذلـك غريبًـا بعـض الـشيء بالنسـبة لي لأن أنيـس بـدا شـخصًا قويًـا جـدًّا، ربـما حتـى أكثـر مما ينبغـي. وقوتـه الظاهـرة هـذه أضفـت عليـه بعـض الخشـونة أو الجفـاف في التعامـل أو الحديـث.

لكـن يبـدو أنـه كان انطباعًـا خاطئًـا كوَّنتـه أنـا برعونـة في أول اللقـاء بنـاءً عـلى معطيـات ومظاهـر لم أتأكـد منهـا ولم أعـرف عـن خباياهـا الكثـير.

لم أمِـل ّمـن حكاياتـه مـع أننـي لسـت مسـتمعة جيـدة بطبعـي. كانـت التفاصيـل ممتعـة ومؤثـرة، وطلبـت منـه أن يحكـي المزيـد.

كان واضحًـا أنـه لا يريـد أن يسـتطرد في الحديـث عـن ماريـا لأن الذكـرى تؤلمـه، ولكنـه قـال لي إن بمجـرد رحيلهـا مـزق كل شيء كان يخصهـا ولم يحتفـظ حتـى بصـورة أو رسـالة واحـدة لهـا.

عـدت إلى انطباعـاتي الأولى عـن جفافـه وخشـونته وكادت أن تتأكـد لي حتـى شرح وجهـة نظـره. قـال إنـه حـين تنتهـي علاقتـه بـأي شـخص عـلى وجـه الأرض (صديـق، حبيبـة، مديـر) لأي سـبب سـواء رحيـل أو فـراق، تعـود متعمـدًا أن يمحـو أي أثـر لهـؤلاء في حياتـه وقـد حكـى لي أنـه فعـل ذلـك مـع طليقتـه أيضًـا حتـى إنـه لغـى رقمهـا مـن ذاكـرة هاتفـه، وبعـد عامـين اتصلـت بـه لتسـأله عـن شيءٍ ولم يتعـرف حتـى عـلى صوتهـا.

أنيـس قـال لي إن الاحتفـاظ ببعـض الأشـياء في حياتنـا قـد يؤلمنـا

أو يجعلنا نتوقف في مكان لا يجب أن نتوقف فيه. شرح بالتفصيل قائلًا:

«لو كنت فضلت محتفظ بحاجة تخص ماريا مكنتش هعرف أطلع من حالة الحزن والألم الرهيب اللي كنت فيه. كنت هفضل أبص على صورها كل شوية وأفتكر كل الحب اللي كنت بحبهولها وكل الحنان اللي هي غرقتني بيه وكنت هفضل أقرأ الرسايل وأقلب على نفسي مواجع مش هعرف أتعامل معاها لوحدي. ماريا دي فراقها بالنسبة لي كان هزة وشرخ ف حياتي. وعشان كده كان لازم أقطع أي صلة بيني وبين ذكرياتنا وإلا كان زماني منتحر ومش قاعد معاكي دلوقتي. في تصرفات ممكن تبان قاسية وقوية في ظاهرها بس بنعملها عشان نخبي ضعفنا أو نهرب منه أو عشان نساعد نفسنا نبقى أقوياء بجد. أنا بعمل كده.»

هممت بسؤاله عن طليقته وأصحابه الذين استطاع أن يجتث علاقته بهم بنفس الطريقة فنظر لي وقال:

«نفس الحكاية بس هنا الحكاية بالعكس. ماريا كانت بتحبني أوي ولا كأني ابنها، وأنا مكنتش عايز أفتكر ذكرياتنا دي رغم إنها حلوة أوي بس كانت هتتعبني.

طليقتي وارتني أيام وحشة أوي. خذلتني كتير وعمرها ما اهتمت بيا ولا بادلتني نفس الشعور اللي كنت بحسه ناحيتها. كنت بشحت منها الحب والاهتمام مع إني كنت بحبها جدًا بس

هـي اختـارت بمحـض إرادتها تنهـي جوازنـا وتبعـد، فحذفـت كل حاجـة لها علاقـة بيها مـن حيـاتي عشـان كنـت هفضـل أتفـرج عـلى صورنـا كل مـا توحشـني وأكلمهـا كل مـا أحـس إني محتـاج لهـا. مكنتـش عايـز أفتكـر أي حاجـة تضعفنـي أو تتسـبب إني أتعـب.

في رابطـة كـده بيننـا وبـين أشـخاص معينـين مـش بتتقطـع أبـدًا بـس لازم نتـصرف ونقطعهـا إحنـا عشـان نقـدر نعيـش ونكمـل.

الموضوع مش سهل بس ضروري. اسمعي كلامي.»

شردت في كل مـا قالـه وتذكـرت كيـف كنـت أطالـع كل يـوم صـور حبيبـي ولم أمزقهـا، وكيـف أننـي ظللـت أتصفـح رسـائله لشـهور عديـدة فأشـتاق لـه وللحظـات جميلـة قضيناهـا سـويًا، ولقبلاتنـا ولعناقنـا ولأكثـر وفي كل مـرة كنـت أشـتاق فيهـا لـه، كنـت أتأكـد أننـي لا زلـت متيمـة بـه وأتـألم أكثـر فأكثـر حتـى قـادني القـدر لمقابلـة أنيـس الـذي دلنـي عـلى الوصفـة السـحرية لقطـع الربـاط الـذي لم يكـن لينقطـع قـط.

شكرًا أنيس! أنا محوت كل شيء اليوم..

***

ألا ترى!!

بقلم/ إيمان يوسف

لماذا أهرب من ذاتي!

لماذا أقف على أعتاب الحياة متفرجة؟

يظن البعض أني أحياها حقًّا! فروحي حرة ..

مستعدة دائمًا للحرية.. ومستعدة دائمًا للرحيل!

ولكن لماذا أقف! ماذا أنتظر؟!

...

تأملت ألوان الجبل المتداخلة فى طريقي على هذا الطريق الممهد بين الجبال، لقد كنت فى طريقي للعودة بمسقط.. ما أجمل هذه الجبال وجمال تنوعها وصلابتها، فكلما حاولوا أن يحطموها، تصير أكثر جمالًا وبهجة.. تنهدت وتنفست الصعداء وحادثت نفسي..

- تلك الصحراء الشاسعة مثل قلبي..

- تحتوى الهواء والرمال والضجيج والسكون ..

- تجذبك إليها بسكونها وثباتها المثالي..

- إن للصحراء هيبة تجعلك تخلع نعيلك بواديها المقدس ..

- تخلع عنك همومك وآلامك وتتغزل بك وتحدِّثك بحكمتها . .

- كالأم هي تحدِّث صغيرها: يا ولدي..

- لمَ تحمل كل هذه الهموم؟!

- ألا ترى ؟

- فقد خلقنا الله وتركنا لنعلمك!

- ألا تدرك كم من النعم التي تمتلكها بين يديك؟!

- ألا ترى كيف يتدفق الماء بين الصخور!

-ألا ترى كيف تعانق السماء مع قمم جبالي!

- ألا ترى كيف تتشكل ألوان رمالي وصخوري!

- ألا يمكنك أن ترى!

- تعجزك أمنياتك!! وربك عالمٌ ويرى

...

أغمضت عيني وتنفست بعمقٍ -نعم إني أري- إني أشعر إني أملك هذا الشعور.. إنه الامتنان.. لتلك السماء.. لهذه الصحراء.. للرمال، للجبال والصخور والوديان.. إني أشعر إني جزء من هذا التكوين الإلهي البديع.. إني برفقة تستحق الشكر لله .. وما أجمل من هذه الصحبة..

***

لقد افتقدتك روحي كثيرًا ..

بقلم/ إيمان يوسف

وقفت أمام بوابة مسجد السلطان حسن، تتلألأ عيناي بالدموع، ظلت حبيسة الطريق المؤدي للمسجد حتى انهمرت، تحيطني لمسات من الهواء بنسيمها العذب بهذا الممر الطويل إليه، لقد اشتقت روحي إليك كثيرًا.. يا الله

ما هذا الذي أخذني بعيدًا عنك! ما الذي أصابي! ما هذه الحمي التي أصابت الجميع بل ما هذه اللعنة!! هذا العالم الصارخ المحموم بالأزمات والفوضى..

يتصارع الجميع على أشياء مادية منهكة تستهلك ما نفذ منها ومني.. لا أتمالك نفسي؛ فقد فقدت كامل طاقتي، وعدت إليك لأفرغ هذا القدر المشحون والعقل المثقل والجسد المنهك.. وألقيت نفسي إليك أبكي ..

جلست إلى مكاني المحبَّب بهذا الفضاء الفصيح، تداعبني نسماته الممتلئة بطاقة نورانية، وأصوات العصافير المحلقة حولي داخل صرح المسجد.. تغلف حواسي جميعها.. أستمع إليها،

وأصغـي، أردد أذكاري المحببـة (سـبوح قـدوس رب الملائكـة والـروح) .. ربي وإلهـي .. مـولاي قـد جئـت ببابـك فدلنـي فقـد ضللـت الطريـق.. ربي إني ببابـك فأهـدني..

وأغمضتُ عيني .. وتلاشى الضوء رويدًا رويدً ..

وتركـت نفـسي بـين يـدي وحدانيتـه.. يحنـو عليهـا كطفلتـه فهـو الله.. ومَـن منَّـا لا يريـد أن يعـود.. وإن فقـدَ نفسَـه.. وضـاع الدرب.. ظـلَّ الفـؤاد يـردد بأسـمائه هـو الله..

وازادت دقـات قلبـي.. وتعالـت جوانجـي مسـتمعه لـلأذان.. وعلـو الأصـوات تنشـده.. حي عـلى الصـلاة.. حي عـلى الفـلاح.. حي رددتهـا يحيـي القلـب والـروح.. يحيـي مـا أماتـه الزمـن منِّـي ومـا أثقـل القلـب.. ومـا نسـيته.. حـي لقلبـا تـاه كثـيرًا.. وعـاد يتحسـس الـدرب للخـلاص..

***

مواقف لا تنسى

بقلم/ نهاد إبراهيم

بعض المواقف تظل محفورة في ذاكرتنا، لا ننسها أبدًا؛ لأن هذه المواقف اختلطت بمشاعر صادقة في اللحظة المناسبة. الموقف هو أشخاص، مشاعر، زمان ومكان وإذا اختلط الموقف بشخص يحمل لك مشاعر صادقة خالصة في الوقت المناسب يتبلور الموقف ويحفر في الذاكرة إلى أن يأتي أمر الله، حينما تتأخر المواقف، فيأتي أحدهم لمواساتي بعد أن اجتزت لحظة ضعفي واحتياجي للاحتواء تكون المواقف أقل قيمة، ولا طعم لها. أكتب هذه المواقف لكل إنسان حفر في ذاكرتي موقف، وأشكر المولى عز جل أن كان معي في أصعب المواقف وحماني من نفسي ومن شياطين الإنس والجن.

***

نورين أجدع الصديقات..

بقلم/ نهاد إبراهيم

تبدأ علاقتي بنورين منذ عام ٢٠٠٣ قد التقينا في مشروع كبير لميكنة الوحدات المحاسبية المخازن المشتريات. كانت فتاة في العشرينيات من العمر، ذكية، أنيقة جدًّا، جذابة، مفعمة بالنشاط والحيوية. عملنا معًا، كنت مديرًا للمشروع بعد فترة وجيزة أيقنت أنها ستكون مكاني في القريب العاجل، دؤوبة في عملها مخلصة له سريعة التعلم لديها حِسٌّ عالٍ بالمسؤولية. خلال ثلاث سنوات هي مدة المشروع- عمل معي أكثر من ثلاثين شخصًا خذلني بعضهم وشاركني بعضهم النجاح، لم تخذلني نورين ولا مرة، فقد كانت دائمًا مثال للاجتهاد والإنجاز. وبعد عشر سنوات تركت نورين العمل في شركتنا وذهبت لشركة أخرى، لمنصب أعلى ومرتب أكبر هذا يعتبر نتيجة طبيعية لاجتهادها وجديتها في العمل. في يوم أتت إلى مكتبي لتسلم عليَّ، وجدتني هادئة، ألملم أشياء من المكتب على عجل فقالت لي:

- خـير في إيـه؟ إنتـي مالـك؟ تنفسـت نفسًـا عميقًـا نظـرت لهـا ثـم شردت بعينـي بعيـدًا..

ج- أنـا بكـرة هاعمـل عمليـة كبـيرة، ادعيـلي وإنتـي بتصـلي الفجـر، أنـا عارفـة إنـك مواظبـة عـلى صـلاة الفجـر.

- حاضر طبعًا.. بس في إيه؟ عملية إيه؟

ج- بلاش تعرفي، خليها مقفولة كده، وربك كريم..

اقتربـت منـي أكثـر وضعـت يدهـا عـلى يـدي تشـدها قالـت: احكـي أرجـوك..

ج- استئصال ورم في الثدي..

- يمكن غدة لبنية، يمكن تليُّفات حميدة..

ج- أخذوا عينة وطلع سرطان.

وانفجـرت في البـكاء، أخذتنـي في حضنهـا وأخـذت تربِّـت عـلى ظهـري.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، اجمدي كده هاتعدي بأمر الله.

ج- ونعم بالله، إن لله وإنا إليه راجعون.

-ربنا معاكي مش هيسيبك هينعم عليكي بالشفا والعافية.

ج- يارب، يارب.

خرجـت مـن أعمـق أعماقـي مـن بـين دموعـي وكلي يقـين أن الله قريـب لـن يتركنـي.

- بكرة إمتى؟ وفي مستشفى إيه؟

ج- هادخل اليوم على عشرة عشان يعملوا تحاليل وأشعات الصبح إن شاء الله هيدخلوني أول واحدة. دعواتك.

ماتجيش المستشفى، بعيدة عنك أوي.

- بس اسكتي، ناقصك إيه؟ جهزتي شنطتك؟ ولادك هتسبيهم فين ؟

ج- أنا ضبطت كل حاجة، ركزي في الدعاء.

سلام أنا ماشية، أشوفك على خير إن شاء الله.

أخدتني في حضنها مرة ثانية

- ماتخافيش.

بكَينا سويًّا وعدت مسرعة إلى بيتي، لأرى أولادي أحكي لهم عن حالتي وذهابي غدًا للمستشفى ووأنهم سوف يقضون الأيام القادمة في بيت جدهم إلى أن أعود. كان الطريق طويلًا من عملي لبيتي طول الطريق أفكر كيف أحكي لهم وماذا أقول، ابني في أولى ثانوي وممكن أن يقدِّر الوضع، لكن بنتي في أولى إعدادي أخشى أن يصدمها الخبر.

وقد ألهمني المولى عز جل بالابتسام وربط على قلبي، فلم أبكِ وقد أخبرتهم بإيجاز شديد أني ذاهبة غدًا للمستشفى لأعمل عملية صغيرة.

- إنتم هاتروحوا عند جدكم إلى أن أرجع. ردت بنتي بسرعة:

- آه عشان كده كل يوم إنتي وبابا عند الدكتور.

وصمت ابني وجلس بجانبي يستفسر:

- عملية إيه؟

ج- حاجة بسيطة ماتشغلش بالك. قوموا لموا شنطة هدومكم خدوا كتبكم.

وعاد زوجي إلى البيت في يده كيس مليء بالحلويات والشكولاتة كعادته.

- ها جاهزة؟، ناقص إيه أعمله معاكي؟

واندمجنا في تجهيز الشنط تقفيل البيت، ثم أخذنا الولاد إلى منزل جدهم ، ثم توكلنا على الله ذهبنا إلى المستشفى في الطرف الآخر. قبل أن ندخل المستشفى اقترح زوجي أن ندخل مطعمًا بجانب المستشفى لنأكل لأننا لم نأكل، لأني هأصوم بعد كده. لما دخلنا طلب الطعام ما عدت أذكر ما هو ولا طعمه، فكلانا يلقي الطعام بجوفه لا يشعر بطعمه ولا رائحته فإن الحواس في عالم آخر ولكننا ما زلنا بشرًا نحتاج الوقود لكي ننتقل إلى المرحلة القادمة. ثم تقدمنا إلى المستشفى نملأ الاستمارات نودع مبلغًا تحت الحساب.

ثم سمعت زوجي يكلم أخي يحكي له فذهبت بعيدًا؛ لأني منذ عرفت بالخبر، أنا لا أريد أن أخبر أهلي أو أهله، فقد داهم أمي نفس المرض من ٨ سنوات وعاشت بعد العملية ٤ سنوات

من الألم والعذاب ثم انتقلت إلى رحمة الله الواسعة. وطلبت من زوجي أن يبقى الخبر بيننا، ولكنه أصرَّ أن يقول لأخي.

- لازم أقوله، عمره ما هيسامحني، إنتوا مالكوش غير بعض.

جاء الأطباء والممرضات وبدأوا في الأسئلة والفحوصات بعض ساعتين قالوا كده خلصنا، ممكن تنامي وهاتكوني أول واحدة غدًا في رول العمليات د/ حسن بييجي بدري. تركوني لأفكاري ومخاوفي مين يجيله نوم في مثل هذه الليلة. وبعض شوية دخل دكتور صغير السن، له ابتسامة هادئة بيده شريط وأعطاني حباية.

- ده مهدئ عشان تعرفي تنامي.

قلت في بالي كتر ألف خيره، وبلعت المهدئ وطفيت النور وأخذت أتلو كل ما أحفظ من آيات القرآن الكريم لا أعرف متى نامت عيناي؛ لأن عقلي وقلبي لم يغفلا في هذه اليلة لحظةً واحدةً. كان زوجي يجري اتصالاته، محاولًا طمأنة أخي وأبيه الأولاد.

وفتحت عيني على أذان الفجر؛ فهناك جامع في طرف المستشفى لأننا في صحراء ٦ أكتوبر كان الصوت قويًّا. نهضت من فراشي، توضأت صليت السنة ودعيت، ثم الفجر وبكيت بين يديّ الله، يا رب نجِّني، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني.

و جاءني زوجي مبتسمًا:

- دعيتِ لي؟

ج- إنت عارف نفسي مين يدعيلي؟

- مين؟

ج- عمتك حبيبة هي عمة زوجي الكبيرة قد جعل الله لها من اسمها نصيب الأسد؛ فهي مصدر متدفق من الحب والحنان، لو وزعت عن أهل الأرض لكفتهم وفاضت.

- حاضر هكلمها كمان شوية.

وإذا بدقات على الباب، تدخل الممرضة بيدها بالطو العمليات وجركن من الديتول.

- اتفضلي استحمي اغسلي مكان العملية بالديتول. البسي هذا الروب.

ج- بدري كده؟ دي الساعة لسه خمسة والنور لسه بيشقشق.

- خليكي جاهزة، دكتورك بييجي بدري. خرجت وطلب مني زوجي أن أسرع بالبدء ولكني كنت خائفة.

ج- لأ أنا ها اقرأ ياسين الأول والأذكار وبعدين أدخل أستحمى. وبدأت وردي المعتاد، أحاول أن أطمئن نفسي ذهني مشتت كأن رأسي بحجم الغرفة، ثقيلة جدًّا. وإذا بالباب يدق وتدخل نورين.

- صباح الفل يا قمر، يوم سعيد إن شاء الله، أنا صليت الفجر ودعيتلك وأمي وأختي دعولك أنا متفائلة جدًّا ربنا هيكرمك آخر كرم إن شاء الله.

ج- يا بنتي إيه اللي جابك دخلتي إزاي؟ دي الساعة ستة؟

- اتخانقت مع الأمن قلت له أختي هتعمل عملية ولازم أبقى معاها، وإديته اسمك ومشي الحال.

فتبسمت لها ومحاولتها لإدخال البهجة على قلبي.

- مالك؟ إنتي خايفة عادي، دي لحظة يجبن فيها كل شجاع.

فتبسمت لها نهضت من مكاني لبدء الاستعداد للعملية وقد ربط الله على قلبي وحضور صديقتي أعطاني الكثير من الأمل والشجاعة. كانت تهمس طول الوقت: توكلنا على الله من توكل على الله كفاه.

ووصلتني هي وزوجي إلى غرفة العمليات.

وخرجت بعد أربع ساعات من غرفة الإفاقة وفتحت عيني لأجد زوجي الغالي ونوري ينظران لي ملء عيونهما ابتسامة فرحة كبيرة.

أبدًا لن أنسى شجاعتك جدعنتك، فقد توافق الإحساس المتدفق من نورين بأن الأمل والثقة بالله سيكونان المنجي من هذا المرض الخبيث، وأن التوكل على الله والثقة بالله هو العمل الوحيد الصائب في هذه اللحظة مع احتياجي الشديد للاطمئنان. توافقت مشاعرها مع لحظة احتياجي. هكذا تكون المواقف التي لا تُنسَى، هكذا تبنى الصداقات، هو الحبُّ خالصٌ لوجه الله. لم يكن إلزامًا أو واجب أن تأتي ٣ ساعات قبل موعد العملية

لكنها أحسَّتْ بخوفي، بقلقي وتركت بيتها من شقشقة النور قادت سيارتها ١٠٠ كم جزء كبير منهم في الصحراء وحدها فجرًا، لتكون بجواري.

هكذا حفرت نورين في ذاكرتي، موقف لا يُنسَى أبدًا علمتني به معنى الصداقة. أسعد الله أيامك يا صديقتي ووفَّقِك لكل ما تتمنينه وكتب لك في كل لحظة سعادة لا تنتهي، نجاك من كل سوء.

***

أجزخانة نبيل

بقلم/ إنجي سامح

«أجزخانة نبيل»(١) كانت تلك الكلمات تتوسط اللافتة القديمة المعلقة أعلى الباب، تزينها تلك الحية التي تتجرع من كأس غامض، تدخل من خلال الباب الزجاجي ذي الإطار الخشبي العتيق وتجد المكان دائمًا باردًا قليلا عن الخارج رغم عدم وجود أي أجهزة للتكييف في ذلك الوقت، الرائحة العجيبة التي لمجموعة مواد كيميائية وبعض العطور القديمة مختلطة معًا، أشعر بانقباضات سريعة تهاجم معدتي، ولا ألبث أن أتخطى خوف طفولتي من تلك الرائحة حتى ألمح هذه الستارة السوداء التي يدخل خلفها الدكتور ليعود بعدها ببضع دقائق حاملًا زجاجة صغيرة داكنة اللون ويلفها في إحدى الأوراق الصفراء بعناية شديدة ويسلمها للمريض الواقف أمامه.

١) «أَجْزْخَانَة» تركية مُعرّبة، ومعناها الأصلي «أَجْزَاء» و«خانة»، و (أجزاء) عربية، أما (خانة) فهي فارسية بمعنى بيت، والمعنى: دُكّان الصيدلي كما في الوسيط.

يلمحنـي «فريـد» وهـو مسـاعد الدكتـور، يعرفنـي جيـدًا لأني كثيرًا مـا أتـردد عـلى الأجزخانـة بصحبـة والـدتي، أو عمتـي التـي تسـكن في نفـس العـمارة التـي بهـا الأجزخانـة.

يومـئ لي بـأن أتقـدم نحـو الطاولـة الزجاجيـة التـي يقـف وراءهـا فأدخـل عـلى استـحياء وبهـدوء كـما لـو كنـت أخطـو داخـل مـكان مقـدس لـه رهبـة وهـدوء عجيبـين. أقـف وأنـا بالـكاد أرى أعـلى الطاولـة، لم يصممـوا تلـك الطـاولات بارتفـاع مناسـب ليقـوم أي طفـل بـشراء مـا يريـد مـن الأجزخانـة.

ثـم ألمـح دكتـور نبيـل يجلـس إلى مكتبـة ويطالـع الجريـدة في هـدوء. لا يوجـد عـلى مكتبـه شيء مـا يختلـف عـن مكتـب عمتـي أو أبي سـوى تلـك الصـورة الآسرة لشـاب طيـار يبـدو في أوائـل العشرينيـات، وعـلى ملامحـه فخـر شـديد تزينـه ابتسـامته الجميلـة.

يداعبنـي «فريـد» قائـلًا «أكيـد عايـزة بونبـوني هولـز الأحمـر زي كل مـرة.»

أبتسم في حياء وأجيبه: «ممكن كيس قطن صغير.»

ألمـح دكتـور نبيـل مـن وقـتٍ لآخـر يرفـع عينـه مـن الجريـدة في نظـرة تبـدو تائهـة وحزينـة بعـض الـشيء، ينظـر نحـو تلـك الصـورة الموضوعـة عـلى مكتبـه ويبتسـم ابتسـامته الهادئـة التـي تحمـل داخلهـا حنينًـا وحزنًـا لم أكـن أعـرف سـببهما.

يعطينـي «فريـد» كيـس القطـن ومعـه ٣ قطـع مـن «بونبـوني

هولـز» الأحمـر وهـو الحلـوى المفضلـة التـي يمكـن أن تشـتريها لأي طفـل مـن الأجزخانـة في فـترة التسـعينيات السـعيدة.

أدفـع المبلـغ الـذي أعطتنـي إيـاه عمتـي حـين طلبـت منـي أن أسـاعدها في شراء كيـس القطـن، وأنـصرف في سـعادة لأنني أتممـت مهمتـي بنجـاح.

في إحـدى المـرات دخلـت إلى الأجزخانـة كعـادتي، ولكـن هـذه المـرة تملكتنـي شـجاعة لا أعلـم مصدرهـا ربـما الفضـول تغلـب يومهـا عـلى الخجـل وخصوصًـا في غيـاب دكتـور نبيـل؛ فتوجهـت إلى مكتبـه ووقفـت أتأمـل تلـك الصـورة التـي لطالمـا تسـاءلت لمـن تكـون.

حينهـا رآني «فريـد» فابتسـم، وربـما تكـون ابتسـامته سـببًا آخـر لتشـجيعي بـأن أسـأله «هـي دي صـورة مـين يـا عمـو فريـد؟»

لمحـت اضطرابًـا بسـيطًا يغطـي ملامحـه ولكنـه أجابنـي في هدوئـه المعهـود «إنـه رامـي ابـن الدكتـور نبيـل».

فابتسـمت وأعجبتنـي الفكـرة جـدًّا وقلـت داخـلي «كـم سـيكون لطيفًـا أن يضـع أبي صـورتي في مـكان عملـه، لا شـك أن رامـي سـعيد بذلـك جـدًّا.»

تتكـرر زيـارتي لأجزخانـة دكتـور نبيـل عـلى مَـر السـنين وفي كـبر عمـري كـبر إدراكـي وعلمـت يومًـا أن «رامـي» في الحقيقـة انتقـل إلى

السماء منذ زمانٍ طويلٍ ضحية حادث أليم، وأنه لهذا السبب وضع الدكتور نبيل صورته على مكتبه.

أذكر أن تلك المعلومة أخافتني بشدة، وظلَّ داخلي الشعور بأن «أجزاخانة نبيل» هي أول مكان رأيت فيه الحزن والموت في صورة حياة قد رسمتها في خيالي.

وكلما مررت من أمام هذا المكان تدفق داخلي شعور بالحزن والحنين ورغبة شديدة في الصلاة لأجل من حملوا هذا النير العظيم من الآلام على فقدان من يعنون لهم أغلى المعاني في الحياة.

***

احتمال

بقلم/ هبة أنور

«إنتي هتقدري تساعديني؟»

كانت هذه أول كلمات سمعتها من الجميلة سارة، الحسناء الجميلة ملائكية الملامح.

أحسست وقتها بنبرة يأس وبصوت هلك من التجارب الفاشلة للدايت لم يكن بوسعي إلا أن أطمئنها حينذاكٍ.

«بإذن الله أساعدك تفهمي جسمك وتتصالحي عليه وساعتها هيديك اللي إنتي عايزاه إنك تخسي.»

تملكني الفضول أن اعرف أكثر عن قصة الفتاة اليائسة.

حكت لي أنها منذ الطفولة في رحلات ذهاب وإياب إلى دكاترة الدايت المختلفة، وأنها سئمت اتهام الدكتور لها بعدم الالتزام رغم التزامها الشديد. وكلت من تعليقات الأصدقاء في المدرسة والأهل عن حجمها الذي يجعلها تبدو أكبر بكثير من سنها الحقيقي.. حتى إنها تبدو أكبر من أختها التي تكبرها بخمسه أعوام.

استمرت في السرد أنها فقدت الثقة في أي دايت رغم رغبتها الشديدة في التخلص من الوزن الزائد، وأنها في متاهة تتمني ان تخرج منها بسلام.

بدأ البرنامج وكانت سارة شديدة الالتزام، تأتي مبكرًا وتقعد في الصفوف الأمامية للقاعة ومعها عدة الدراسة للطالب المجتهد.

بدأنا المحاضرة الأولى وكانت عن الأسباب العدة التي تحول دون إنقاص الوزن مثل الالتهابات الشديدة والأكل غير الصديق للجسم والأمراض المناعية مثل خلل وظائف الغده الدرقية وعدم الحركة والرياضة.

وهنا حدقت سارة بعينيها الجميلات وأبشر وجهها بالفتائل.

حكت أنها تعاني من اضطرابات الغدة الدرقية، وأنها تأخذ الدواء بانتظام، ورغم ذلك لم يؤثر فيها أي نظام غذائي.

وأضافت أنها تعشق المشي وتتمنى أن يصبح ضمن روتينها اليومي كرياضة سهلة ومسلية بالنسبة لها.

ابتسمت لسارة ووعدتها أن أساعدها على اكتشاف السبب الخفي وراء أزمتها، وأن أدعمها في حلها بما وصل إليه العلم من أبحاثٍ واكتشافات عن طُرق التعامل الغذائي مع المشاكل الصحية المختلفة.

كانت سارة تنتمي لأسرة كيفة قهوة..

وكانـت كنكـة القهـوة لا تنضب عـن الوقـود طـوال النهـار، وهنـا كان التحـدي؛ أن أقنـع سـارة بالتخـلي عـن عشـقها للقهـوة.

«يعني هي القهوة دي اللي بتخليني مش بخس !!

هي مش بتعلي الحرق وتسد النفس زي ما بيقولوا؟؟؟»

***

لا أنكـر أنـه كان تحديًـا حقيقيًّـا عـليَّ وعـلى سـارة.. تحـدٍّ لي أن أسـتخدم مهـارات الكوتشـنج ودراسـتي للتغذيـة في إقناعهـا بالحجـة والبرهـان ودعمهـا في التخـلي عـن العشـق الـذي قـد يصبـح ممنوعًـا.

وتحـدٍّ لهـا أن تعـزم عـلى التنفيـذ والالتـزام وسـط رائحـة القهـوة الفواحـة التـي لا تتـلاشي مـن بيتهـا طيلـة الأيـام.

رغبـه سـارة الشـديدة في اكتشـاف الجديـد والسـير في الطريـق غـير المألـوف كانـت ضـمان النجـاح؛ فقـد تحـدت كل الظـروف وتحملـت كل التعليقـات غـير المشـجعة والمتهكمـة بصمـود وصـبر. كانـت وجهـه نظرهـا أنهـا لـن تدخـل في جـدال قبـل لمـس نتيجـة مرضيـة بالنسـبة لهـا.

***

أما عن المشي

فقـد كانـت سـارة تشـعر بـألمٍ في ركبتهـا مـن كل حـينٍ، وكان مؤخـرًا متكـرِّرًا وكان كل مـا تفعلـه للتخلـص مـن هـذا الألم هـو أخـذ المسـكنات.

وكانت والدة سارة تذكرها مرارًا وتكرارًا:

«يا بنتي صحتك رصيد حافظي على رصيدك من الصحة ولما تتعبي ارتاحي.»

رغم كل النصائح، إلا أن مسؤوليات الحياة المتلاحقة، وازدحام الطرق المزمن كان يحول دون الراحة.

***

في يوم من الأيام كانت سارة تسير في الشارع متحملة ألم ركبتها، وكانت على وشك عبور الطريق حين أحست بألم وشبه شلل في مفصل ركبتها؛ فلم تستطع فردها أو ثنيها ولم تستطع تحمُّل الألم.

صرخت سارة من الألم وأحست بقيمة نصيحة والدتها السابقة، وبنعمة الحركة الحرة التي فقدتها لمدة طويله بعد هذه الحادثة.

***

كانت هذه الحادثة قبل لقائي بسارة بعِدة أشهر، وكانت قد أحسَّت وقتها بنعمة الصحة التي فقدتها، وكان الاكتشاف المذهل والذي لعب دورًا محوريًا في حياة سارة، هو أنها -رغم التزامها بالراحة وعدم الحركة إلا بحساب- إلا أنها كانت لا تزال تحس بحمل وألم على كتفيها، وتعاني من اضطراب النوم والعصبية الشديدة رغم عدم نزولها الشارع وتعرضها للتوتر المعتاد.

وقد كانت هذه إشارة أنين من جسم سارة. ولحسن الحظ أنها التفتت لها هذه المرة ولم تسكتها بالمسكنات كعادتها السابقة.

في هذه الأثناء لاحظت سارة إعلان المحاضرة التي التقينا فيها لأول مرة وسألتني سؤالها الجميل:

« إنتي هتقدري تساعديني.»

***

مرت الأيام والشهور وسارة في اندماج تام مع خطوات البرنامج. وامتزج هذا الاندماج بدهشتها من التناول لبعض المسلمات التي كبرت عليها مثل «لازم نشرب لبن عشان الكالسيوم»!!

وأصبحت سارة مصدر إلهام للجميع؛ فبعد ان كان المشي هو منتهى طموحها أصبحت تشارك في الماراثون المختلفة بلياقة وخفه ونشاط.

ثم بدأت في اكتشاف ما يناسبها من الرياضة واختبرت الرياضات التي تتماشى مع فصيلة دمها حتى استقرت على أن الرياضة التقليدية من الأيروبيكس والذهاب إلى الجيم لا يتناسبان مع طبيعة شخصياتها واحتياج جسمها.

وأنها تفضل ممارسة الرياضة في مكان مفتوح/ نور مع الموسيقى الخفيفة والحركات الاسترتشات والتمارين الخفيفة

التـــي تســـتهدف بنـــاء العضـــلات الأساســـية للحـــوض والظهـــر -البيلاتـــس-.

«ياااااه

وأنا اللي كنت فاكرة إن الرياضة يعني جيم وفرهدة؟

ياريتني قابلتك من زمان.»

***

نسايم الفجر

بقلم/ مروة حسن السيد

كانت ترى ضوء الفجر رسالة خاصة ليها لوحدها..

يُنير قلبها قبل ما يرسل نوره للدنيا من حولها..

كان يحمل في طياته نسائم تدغدغ حواسها.. فتبتسم رغمًا عنها.. كأنه سِرٌّ خفيٌّ بينه وبينها.. أو رسالة سريّة تستطيع وحدها فك رمزها.

كان يعرف طريقه عن ظَهر قلبٍ لروح تتلقاه بشوقٍ وكأنهما على موعدٍ معًا كل يوم مع نسائم الفجر.. تقرأ رسائله بعين القلب في مساحة خاصة بهما لا حضور فيها للعقل والذي كان لا يزال في سباته لا يحرِّك ساكنًا وفي نومه صفاء للذهن.

كانت تستقبل رسالة من جمال الكون إلى جمال الروح.. وعند التلاقي تكون اليقظة..

فما الصحوة إلا يقظة بعد غفلة.. حركة بعد سكون.. وصلٌ بعد انقطاع ..

وما بينهما تكون حركة الحياة.

كان مشهد الفجر ورسائله بالنسبة لها هو صلاتها وغذاء روحها ولملمة أجزائها المبعثرة ليحضر الجميع في هذا الكيان ويشهد صلاتها لربها..

كانت طقوسها لحضور قلبها تضاهي تمارين اليقظة في العلوم الإنسانية المعاصرة لكن أجمل ما في الأمر أنه الأقرب لها.. أنه نابع منها لها.. نتاج إبداعها الخالص في عبادة ربها.

من فطرتها النقية المحبة.

والآن...

هي مستعدة..

أدت صلاتها وصلتها أيضًا وتبدأ في تناوُل إفطارها بما يناسب شهيتها وما يحتاجه جسدها حتى تستطيع تذوق طعمها.. ويستيقظ معه جزء آخر منها.. وتشتمُّ رائحة القهوة التي تكفي لإفاقتها حتى قبل أن تتناولها.. وتنتقي ملابسها التي نسقت ألوانها بما يتناسب مع حالتها الشعورية، والتي ما إن ارتدتها حتى انعكست على وجهها.. وبدا كأنه يعكس ما يدور بداخلها.. فتبدو كلوحةٍ متجانسة مريحة لها ولكل ناظرٍ إليها.. ولما وقفت أمام المرآة سرها ما رأت.. شعرت بالرضا.. والانتماء لذلك الكيان .. فسكنت بداخله.

وكان سكونها وقودًا لحركتها.. وانطلقت بخفة..

***

كان هذا المشهد هو آخر ما خطته «حوا» في دفترها.

لم تكن محاولتها الأولى للكتابة، لكنها في كل مرة تنتهي فيها من كتاباتها كانت تشعر بفرحة تملأ جنبات نفسها.. كفرحة طفلٍ بأوَّل محاولاته في كل شيء..

أول شعور بالإنجاز.. الفرحة بالجديد..

التحديات.. الشعور بالعجز أحيانًا..

أحتاج مزيدًا من الوقت..

لقد فعلتها..

أنا موجود.. أنا أستطيع..

اكتشاف الذات.. خطوات ثابتة نحو الانطلاق..

ولا تدري لماذا اليوم تذكرت أولى محاولاتها للكتابة وتعثرها في خطواتها الأولى.. وخوفها الذي لم تكن تدري سبب تملكه منها، وتحجيم كل طموحاتها في التعبير عن نفسها بكلماتها..

أترى كان خوفًا من رؤية جزءٍ منها أمامها على الورق؟

أم كان خوفًا من مجرد البوح؟

أم خوفًا من التقييم والنقد؟

أو لعلَّه الخوف من الحضور وإعلان الوجود؟

فبغض النظر عن سبب الخوف أو أسبابه المتضافرة معًا.. كانت تشعر «حوا» معه بالاختناق.. كلما أرادت أن تخطو خطوةً تشعر بثقل قيوده تعوقها.. كلما أرادت لصوتها أن ينطلق ليعبِّر

عنهـا، يصطـدم بطبقـات عازلـة للصـوت فـلا يتعـدى تمتـمات غـير واضحـة عـلى شـفتيها.. فـلا يـكاد يصـل صوتهـا حتـى إليهـا..

ولا يزيدها ذلك إلا شعورًا بالاختناق والعجز.

فسكنت «حوا» سكون الخواء.. كمن لا حيلة له.

وعـلى الرغـم مـن صمتهـا الظاهـر إلا أن دبيـب الحيـاة بداخلهـا أبـى لهـا ألا تستسـلم!!!

ظـلَّ صوتهـا معافـرًا في الوصـول إليهـا علهـا تسـمعه في لحظـة صمـت كل مـن حولهـا.. أمـلًا أن يعـبر حواجـز الخـوف عـبر كلماتهـا ليعلـن عـن وجـوده أو ولادتهـا.. فلـم تنجـح محاولاتـه.. فبـات يـصرخ كطفـل غاضـب يصطـدم بـكل مـا يقـف أمامـه، حتـى أنهكـه التعـب فتحـوَّل لصـدى في الأرجـاء وبقـي في القـاع يلتقـط أنفاسـه واثقًـا أن رسـالته قـد وصلـت!!

فهي محفورة في جسد منهك ونفس مثقلة بأحمالها..

فهل من مستقبل لها؟؟؟

شـعرت «حـوا» في صمتهـا بمشـاعر لم تسـتطع التعبـير عنهـا أو تسـميتها.. لم تشـعر بهـا مـن قبـل، ولكـن عـدم التعـرف عليهـا لم يمنـع إحساسـها بهـا..

وأحسَّت بآلام في جسدها لم تستطع وصفها بعد..

كانت تبحث عن طوق نجاة لما هي فيه.. فلم تجد..

كانـت تناجـي ربهَّـا سرًّا وجهـرًا أن يرشـدها ويجعـل لهـا مـن أمرهـا رشـدًا..

كانـت تحتـاج لمـن يـرى ويشـعر بحالهـا.. وتعلـم أن خالقهـا هـو أعلـم بهـا منهـا.. استشـعار وجـوده يطمئنهـا.. إنـه محيـط بهـا وبداخلهـا.. ولكـن هـل مـا يمنـع أن تكـون رحمتـه أن يرسـل لهـا مَـن يُشـدِّد مـن أزرهـا وتشركـه في أمرهـا وتأتنـس بـه فى وحدتهـا؟؟

اطمأنت بعد المناجاة...

وعادت لحياتها محتضنة لحالها..

واثقة فيمن استودعت عنده أمرها.. أبدًا لن يضيعها

وفي حـال انتظارهـا شـعرت بـدفء يـسري في عروقهـا.. احتضنت نفسـها بكلتـا يديهـا.. يـا لـه مـن شـعور بالأمـان تُـسَر لـه الأَنفُـس الحـيرى.

وعـادت «حـوا» مـن شرودهـا ومـا زالـت قشـعريرة تـسري في جسـدها وتمسـك دفترهـا في يدهـا ولسـان حالهـا يقـول:

وكان أول الغيث قطرة..

***

«لمسة رجاء»

(مستوحاة من أحداث حقيقية)

بقلم/ إنجي نشأت

أنا يتيم وعايز مأوى..

نظرت له بحيرة من أمره، متمتمة بداخلي: «يا لك من طفل جريء.. يا ترى ما هي قصتك.»

كما اعتدت كل صباح أن أذهب للتمشية والجلوس بين أشجار المانجو والأشجار البرية للاختلاء بنفسي وللتأمل في الطبيعة من حولي. أضع المفرش المتعدد الألوان على نجيلة خضراء خلابة وأجلس عليها، من ثَمَ أتأمل في الخليقة من حولي وأغلق عيني لأمتلكها لنفسي فقط.. في لحظة ما عندما فتحت عيني رأيت هذا الطفل الذي يبدو أنه في العاشرة من عمره، رأيته واقفًا أمامي بشورت قصير قديم ومهلهَل ومتسخ وقميص مقطع بزرارين فقط.. حافي القدمين متسخ الجسم شعره لم يعلُه الموس منذ زمنٍ بعيدٍ. نظرت لعينيه فأجد عينين كبيرتين تكفيان لحزن

عميق ليس له نهاية، حزنًا يجعله في الثمانين من العمر وليس العشر سنوات، شفاه جافة كالصحراء مدلدل الكتفين للأمام.. فجأة نظر إليَّ بعمق ثم فتح شفتيه الجافتين ليُصرح بأنه يتيم ويحتاج لمأوى.

لم أستطع أن أتمالك نفسي. نهضت لأقف بجانبه سائلة: «مَن أنت، وكيف أصبحت على ما أنت عليه؟»

ترامى على الأرض كعجوز لم تعد قدماه قادرتين على حمله بعد فظننت أنه لم يأكل شيئًا من الصباح، فسألته (هل أكلت وجبة الإفطار؟) نظر لي يإيماءة لم نأكل قبل الخامسة مساء قد اعتدنا على ذلك.

أعطيته ماء فشرب القليل منها

سألته: مَن أنت؟

أجابني. أنا الطفل الأخير لأبي وأمي، لي أخ أكبر مني، كنا عايشين حياة بسيطه جدًّا، لنا حقل صغير نزرع فيه الذرة. أبي مزارع وأمي تبيع المحصول في السوق. عايشين في قرية صغيرة حياة سعيدة في بيت طيني وسقفه من القش. وفي ليلةٍ ما بعد العشاء سمعنا طلقات الرصاص تندفع بقوة وبغزارة. ضمَّنا أبي أنا وأخي لحضنه وأمي ربتت على رأسنا حاضنة إيانا كلنا قائله خير ماتخافوش الله هيحمينا من الطلقات. لقد اعتدنا على سماعها منذ فترة لفترة، لكن هذه الليلة كانت مخيفة، كُنت غير

مطمئن وصرخت لأبي أنا خائف. نظر إليّ قائلًا أنا معك. لكن الطلقات كانت في الازدياد ونشبت طلقة في سقف بيتنا القشي وبدأ يشتعل.

فحملني أبي وبدأنا نجري في وسط الغابة هاربين من الطلقات لكن سريعًا ما انشبت طلقة مباشرة في قلب أمي. حاولنا ننقذ حياتها لكنها لم تنجُ. صرخت في وجهنا: اجروا أبعد ما تقدروا. انقذوا نفسكم وأنا هشوفكم قريب. حاضنة أبي سائلة إياه: خلي بالك من الأولاد.

بدموع غزيرة وصراخ مني ومِن أخي الأكبر بدأنا نجري بأسرع ما عندنا صارخين: أمي لا تتركينا. أمي..

وفي محاولة النجاة من الطلقات، سقط أبي بسبب إصابته برصاصة في فخذ رجله. بدأنا أنا وأخي الأكبر مني في جره ليسند ظهره على شجرة ما، ما ضممنا أبانا، وضممنا جرحه وبدأ يطمئنا: لا تخافوا، سننجو وستقف هذه الطلقات. نحن في بكاء شديد وألم لفقد أمنا ولإصابة أبينا. حبسنا صراخنا ووجعنا. ضممنا بعضنا البعض ثم وجدتني أسقط في النوم لأجدني في الصباح أمام أبي المحتضر، سألته أين أخي، أبي انظر لي، أبي لا تتركني.

وجهه كان شاحب الإصابة. كانت شديدة والنزيف كان ليس له نهاية طوال الليل. بنظرات ضعيفة وصوت متجهجه قال لي

جِد أخاك كونوا مع بعض الله مش هيسيبكم. وأعطاني صورة لنا؛ صورة قديمة لأمي وأبي وأخي. وتوفي والدي وبهذا فقدت أبي وأمي وتاه مني أخي لم يتبقَّ له إلا هذا.

نظرت إلى يديه بعينيَّ المليئتين بالدموع لأجد صورة قديمة لأسرته؛ صورة متهلهلة قديمة. وأشار لي هذا هو أخي.. لم أرَه منذ شهور. إنتي شفتي أخوي. قالها بلهجته العربية المتكسرة مع ألم عميق تعجز كلماتي عن وصفه.

نظرت له بدموع وألم عميق داخلي، وقلت له:

نعم اقتنى بيت.»

«نعم، اقتنِ إمكانيات دراستك.»

لكني أقتني شيئًا آخر أنت في أمس الحاجة إليه أكثر من البيت والدراسة.

نظر لي باستغراب شديد منتظرًا أن يعرف ما هو هذا الشيء.

«الأمل..

أمل الحياة، أمل بكرة، أمل إنك تجد أخاك، أمل إنك تعيش حياة أفضل، أمل إنك تصبح شخصًا لم تحلم به.

هناك بيت أود أن آخذك إليه وهو الأمل.

خسرت نعم، خسرت حياة بأكملها، ولا أستطيع أن أعوض لك ما فقدته، لكني أدعوك اليوم إلى بوابة الأمل التي تعطيك

الرجاء لوجود حياة أخرى بل حياة أفضل لأن هذا ما كتبه الله لنا، يوجد نور وأمل ليس لهما نهاية يستطيع أن يأخذك لحياة مفعمة بالرجاء.

بعينين غائرتين وصوت متهدج وضع يديه في يدي لننهض معًا لمستقبل مليء بالأمل والرجاء.

***

أمل البقاء

(مستوحاة من أحداث حقيقية)

بقلم/ إنجي نشأت

أيـن المسـؤول عـن هـذا المـأوى؟ سـأل هـذا السـؤال وهـو يرتجف وفي يديـه شيء ملفـوف بالكامـل في بطانيـة أطفـال.

كنـت أتنـاول الغـداء وقبـل الانتهـاء جـاءني طفـلٌ مـن أطفـال المـأوى قائـلًا؛ يوجـد رجـل بالخـارج يريـد رؤيتـك بشـدة.

تركـت باقـي غدائـي المتكـون مـن الفاصوليـا الحمـراء مـع العصيــدة.

لأجـد رجـلًا عجـوزًا مُنهـكًا جـدًّا وكأنـه كان في الماراثـون يسـابق شـيئًا، سـاقني فضـولي لأعرفـه.

سألته: مَن أنت؟

الرجل: أناجد لهذه الطفلة.

أنا: لم ألاحظ أن الذي يحمله طفلة، فقلت له أين هي؟

ففتح طبقات من الأغطية لتكشف عن هوية طفلة صغيرة الجسم جدًّا. عيناها متسعتان، جلدها رقيق جدًّا، شفتاها كبيرتان جافتان، أصابعها صغيرة خلابة، تتلاعب بيديها كالأوركسترا يعلن عن بداية عزف مقطوعة جديدة.

جذبت قلبي بقوة.

فضولي سأله: ما هي قصتها؟

نظر لأسفل بحزن شديد وفتح فمه بارتجافه ويدين لم تتوقفا عن الارتجاف وقال:

والدتها، بنتي، لها علاقة كبيرة بالسحر والجن والتعاويذ، ولها علاقات غير شرعية كثيرة، وعندما تلد طفلًا من رجلٍ ما هذا الطفل يعيش لأسابيع قليلة ويموت لأسباب غير معروفة، نصحتها بأن تبتعد عن هذا الطريق وتهتدي إلى الطريق المستقيم. لكنها رفضت بشدة. إني أظن أنها هي الذي تقتلهم بسحرها.

أنا: فاغرة فمي، دموعي تتدفق كنهر ليس له بداية، مستغفرة ربي مصليًّا يا الله سامحنا على هذه الجرائم الأخلاقية، اغفر لنا آثامنا، وجدتني أستعيذ بربي من قوة الشر المتمثلة في هذه المرأة.

ثم استطرد كلامه بلجاجه عميقة راجيًا: أرجوكِ احمي حفيدتي ليس لي غيرها، سكت وكأنه على استعداد ليطلق قنبله أخرى؛ صرَّح قائلًا أنا خطفتها من أمها أمسكت بها وهربت

بها إلى هنا كانت تحاول أن تقتلها في لحظة تشنج جرَّاء التعاويذ التي تُحضرها. خطفتها جاريًا سابق الزمن لإبقاء حياتها.

نظرَتْ له بدموع غزيرة قائلة: سأقبل هذه الفتاة ذات الثلاثة أشهر وسأرعاها بنفسي. انفرجت أساريره وبكى بكاءً حارًا.

أخذتها، أعطيتها حماما ساخنًا بمياه دافئة مع الشامبو الخاص بالأطفال ثم السائل الرغوي الذي نظف جسدها، نظفه من اتساخ جسدها لكني كنت أدعو لها الله، فالله وحده هو القادر أن يشفي عاطفتها المأذية من كل مرة كانت تصرخ فيها طالبة حضن أمها لتأكل، لتدفن نفسها في سرٍّ من أسرار الحياة إلا وهو حضن الأم ولم تجده لكنها بالمقابل تجد نفسها في صخور وعرة وأشواك، طالبة أن تأخذ حياتها.

قضيت معها أسبوعين وكأني كنت في الجنة وهي ملاك يغمرني بالحياة والأمل والرجاء لحياة في عالم أفضل. ازداد وزنها بطريقة ملحوظة واتسعت عيناها أكثر بسبب ضحكتها العميقة المتسعة كالمحيط.

لكن حدث أمرٌ لم أتوقعه نهائي..

هذه الطفلة فجأة رفضت أن تأكل وإذا شربت القليل من اللبن ترجعه وفي غضون ثلاثة أيام فقدت الوزن الذي اكتسبته فأخذتها للفحص الطبي فيصدمني الدكتور بإصابتها بالإيدز.

بعيـون مليئـه بالدمـوع ترجيتـه :أرجـوك أرجـوك عيـد الفحـص مـره أخـرى.

طبطـب عـلى كتفـي وقـالي بنتـك في اللحظـات الأخـيرة سـافري بيهـا لهـذا المشـفي الكبـير لعـل الله يكتـب لهـا حيـاة أخـرى لكـن هنـا لا نسـتطيع فعـل الكثـير لهـا.

حضنتهـا بشـدة برجلـين مرتجفتـين ودمـوع غـير متوقفـة وفـم يسـتغفر الله ويدعـو لهـا الله لإبقـاء حياتهـا.

أخذتنـا سـيارة الأجـرة الخاصـة بالمشـفى الكبـير وبعـد دخولنـا لغرفـة الفحـص ثـم وضعـوا لهـا الأكسـجين الصناعـي ثـم بدقائـق وجدتهـا تصـارع لتبقـى حيـة لكـن بـلا جـدوى. تتنفـس آخِـر نفـس لهـا في حضنـي، لأقـع بهـا صارخـة صرخـة ألم، ألم مـن جهـل الأم، ألم مـن الحيـاة، ألم الفقـد، ألم الضعـف والعحـز، لـو كنـت أسـتطيع أن أعطيهـا مـن نفسـي، لكنـت أعطيتهـا رئتـي بالكامـل.

أخذتهـا وبمعونـة الأب وضعناهـا في أحضـان الأرض لترجـع إلى صورتهـا الأولى التـي خُلقـت بهـا.

رفعـت عينـي الحمراويـن لأرى حمامًـا يرفـرف فـوق قبرهـا وصوتـه بـث في بصيصًـا مـن الأمـل والرجـاء..

أمل البقاء

أمل الحياة

أمل الغد بل غد أفضل..

بالمناسـبة اسـمها كان بركـة، فجـاءت أسـابيع في حيـاتي لتباركنـي ببركـة الأمـل والرجـاء..

***

ربكة القلب

بقلم/ هند نصر

ذهبت لمقابلته هو وابنه الصغير تحمل معها الهدايا التي اختارتها لهما بعناية بالغة وبفرحة أبلغ رغم أنه كان يوم شديد الحرارة، قابلتهما ببهجة وفرحة عارمتين فكان هذا هو أول لقاء بينها وبين هذا الطفل ذي الأربعة أعوام الذي يشبه والده كثيرًا في ملامحه الوسيمة، احتضنته بحب وقدمت له هداياه ففرح الصغير بها كثيرًا كما تفاجأ والده عندما قدمت الهدية الخاصة به، شكرها على ذلك وتفاجأت هي أيضًا عندما قدَّم لها هدية لوالدتها فرحت بها كثيرًا. جاء اليوم التالي تخبره كم كانت سعيدة بوجودها معهم أمس، وكان شعورًا متبادلًا حيث أخبرها بأنه كان سعيدًا لوجودها معهم.

تمر الأيام وهي على تواصُل معه. كانت تلتقي به من حينٍ لآخر يمشون في الشوارع بسيارته لمسافات طويلة يتبادلون الحديث ويستمعون إلى أغانيهم المفضلة. يمر الوقت عليهم من غير أن يشعروا به، كانت تسعد بلقائه كثيرًا، وكيف لا تسعد به؟ وهي تحبه، كانت تخبره دائمًا كم هي ممتنة لوجوده في حياتها

لم تعلـن حبهـا لـه بكلماتهـا، ولكـن كانـت تعلنـه بنظراتهـا وأفعالهـا.

استـمر هـذا الحـال لعـدة أشـهر إلى أن جـاء في يـومٍ وأخبرهـا بظهـور فتاة في حياتـه وأنـه يريـد الارتبـاط بهـذه الفتـاة وطلـب منهـا الدعـاء لـه، لحظـات صادمـة توقـف فيهـا الزمـن شـعرت وكأنهـا في حُلـمٍ يجـب الاسـتيقاظ منـه وبثبـات قالـت لـه أكيـد سـأدعو لـك.

توقفـت الاتصـالات بينهـم لم يعـد يسـأل لم يعـد يخبرهـا بخططـه، تـأتي أيـام وليـالٍ عليهـا تنتهـز فرصـة وجودهـا بمفردهـا لتمارس حقهـا في الانهيـار نوبـات بـكاء شـديدة ودعـوات مـن قلـب مربـك موجـوع وروح منطفئـة وعقـل مشوشًـا مملـوءًا بالأسـئلة تعافـر في الظـلام مـع لحظـات اليـأس المحطمـة. تـارة تشـعر بأنهـا تجـاوزت هـذه المحنـة وتـارة أخـرى تشـعر بالاشـتياق والحنيـن لـه، مشـاعر غير ثابتـة بـين الحـب والغضـب والحنـين. ترسـل لأصدقائهـا المقربـين كم هـي مشـتاقة لـه يسـاندونها بدعواتهـم تقابلهـم فيغمرونهـا بحضنهـم، كـم هـي ممتنـة لوجودهـم بجانبهـا، ظلـت هكـذا تعافـر وتدعـو الله متوسـلة إليـه تسـأله التعـافي مـن حُـبّ هـذا الشـخص وأن ينتـزع حبـه مـن قلبهـا أو أن يـزرع حبهـا في قلبـه.

***

ليان للنشر ولتوزيع

لم يعتذر

بقلم/ بسمة توفيق

أخذتها من التسبيح غفوة قصيرة.. رأته خلالها مرة أخرى.. أصبحت تراه كثيرًا، لم ترَ راحلين في مناماتها -وإن تمنت-، لكنها رأته، دق صداع الفرقة رأسها بقسوة شديدة، نفد شريط المسكن، وجفت الدموع مع بدء ساعات الحظر.

الليل قصير لا يساعدها على إنجاز كل ما تريد، والحظر الذي يسأمه البعض هو نمط حياتها المفضل على الإطلاق، روتين يومي من كل شيء ولا شيء.. أين النظارة؟.. أخ! لقد ودعتها منذ زمن بعملية تصحيح الإبصار، بعدها، أصبحت ترى أشياءها باهتة.. الكتاب القديم أصفر الأوراق والمسبحة التي اشترتها مع آخر صلاة في السيدة زينب قبل الحظر، ابتسمت للفكرة ذكرتها بإحدى المسرحيات، قبل الحظر وبعد الحظر هكذا انقسمت حياتنا كيف كنا فأصبحنا فبتنا محجورين.

صفرت غلاية المياه.. فنثرت القرنفل فوق كوب الشاي بلبن.. وفي الطريق إلى التلفاز رأته مرة أخرى..سمعت صوته..

وفي فـم قطتهـا التـي كان يحـب.. وجـدت مـا أخفتـه عـن ناظريهـا شـهورًا، تـرددت يدهـا.. حملـت قطتهـا بـين ذراعيهـا في نفـس المكان الـذي قبـل يدهـا ورأسـها فيـه وانفضـت بكرة الصـوف عـلى الأرض.

أمـا الجـزء الصـوفي المُحـاك فقـد كان مـشروع بلوقـر لـه -غُـرَزه مـن حنـان وخيوطـه مـن قلبهـا - ومـع ذلـك وببـطء يـوازي حركـة الثـواني وصوتهـا الـذي يسـتنفر الأعصـاب وجـدت نفسـها تفـض غزلهـا القديـم.. بكـت.. واسـتعر الصـداع يشـعل شـيب رأسـها يبـدو أن الليلـة لـن تنتهـي عنـد هـذا الحـد..

اسـتفز رقمـه نظراتهـا طويـلًا لشاشـة الهاتـف قبـل أن تضغـط زر الاتصـال، وعندمـا رد قالـت: فيـمَ قـصرت؟ أعـرف أنـك لم تحـب الفضـة المتناثـرة في شـعري، ربـما سـئمت ثرثـرتي لمـاذا لم تعـد؟.. صنعـت مـن أجلـك كل مـا تفضـل مـن الطعـام منـذ سـتة أشـهر، منـذ خرجـت لـشراء ماكينـات جديـدة للمطبعـة ولم تعـد. اشـتاقت إليـك قطتـي.. مـا زلـت أراك في البيـت، لم أصـدق أننـا انفصلنـا بقـرارك المنفـرد، كنـا ثنائـي ناجـح أنـت نـاشر واعـد، وأنـا كاتبـة مخضرمـة، لكنـك كتبـت النهايـة وحـدك، لِمَ لا تـرد؟ رد: أسـمعك.

قالـت بضعـف: هـل صرت بشـعة؟ لقـد كبرنـا سـويًا.. ألم أكـن حبيبتـك ورفيقـة عمـرك وأفضـل امـرأة بالعـالم؟!، كنـت تكـذب؟، ضغطـت أحـرف آخـر جملهـا صراخًـا، ثـم انخرطـت في بـكاء هـز أعصابـه فقـال: لسـتِ بشـعة.. أنـا شـخص سيء، لا أسـتحقك، لا تبـكِ أرجـوكِ.. لا تبـكِ أرجـوك، أنـا نـذل وسيء وظـالم.

صرخـت: لمـاذا فعلـت بي مـا فعلـت لقـد كُـسِر قلمـي، واسـتدركت هـادرة: أنـا حبيسـة المنـزل منـذ أشـهر أنتظـرك، اتصلـت بـك مـرارًا، ولم تـرد، حتـى قـرأت خـبر زواجـك فعرفـت أني تحولـت إلى امـرأة مهجـورة.

لقـد بالغـت في إيذائـي ألـن تعتـذر؟ ألـن تعتـذر عـن دفعـي للمـرض والانتحـار والشـك في كل مَـن حـولي؟.. ألـن تقـول آسـف؟.. ألـن تعيـد لي هدايـاي؟ أمـا زلـت تسـتعملها؟!.. مـاذا أفعـل بأشـيائك برائحتـك التـي تحـاصرني؟.. ألـن تعتـذر؟.. أنـا أنتظـر اعتـذارك، علـه يُسَـكن ألمـي المتزايـد رأسي يؤلمنـي..

موسـيقى الفيلـم القديـم عاليـة جـدًّا، لمـاذا طلقتنـي؟.. أكان شرطهـا؟.. أم أنـك تكرهنـي هـل تكرهنـي؟ أجبنـي.. هـل أنـا مخطئـة بحقـك؟، قـال باقتضـاب مخيـف: لا!، فـردت بانفعـال ناقـض بـروده: لمـاذا إذًا؟ – لم يحـر جوابًـا-.. سـمعت أنفاسـه.. أغمضـت تتصـوَّرُه يضمهـا إليـه كـما كان يفعـل كلـما غضبـت طـوال خمسـة عـشر عامًـا مضـت.

سـكن كل شيء إلا صـوت الألم الـذي يكتنـف رأسـها بـلا رحمـة، ثـم تسـللت أضـواء النهـار إلى الأريكـة حيـث نامـت.

انتهـى الحظـر، إنهـا التاسـعة، وهـنَ منهـا العظـم.. وضعيـة نومهـا كانـت غـير مريحـة وموسـيقى أندريـه رايـدر تسـيطر عـلى الشـقة متصاعـدة مـن جهازهـا الصغـير كنغمـة منبـه قطعـه رنـين الهاتـف مـن رقـم لا تعرفـه..

قال المتصل: سيدة رجاء؟ هي: نعم رجاء كريم، مَن؟ المتصل: مطلقك السيد عمرو حسين قضى في حادث سير منذ ساعة، وهو في.. قالت بلهفة شاحبة: ألم يقل لك شيئًا لتخبرني إياه؟ سمعت صوت التعجب تلته عبارة: البقاء لله، ثم أُغلق الخط، فتجمدت للحظات ثم غمغمت في خفوت: رحل دون اعتذار، لم يقل آسف طوال خمسة عشر عامًا، والآن رحل ولم يعتذر لي.. وبكت بصمت.

***

للحب رقصة أخيرة

بقلم/ بسمة توفيق

ارتجَّ المبنى بأكمله.. ارتفع أزيز الطائرات.. وانطلق دوي المدافع المضادة.. وجرى المدنيون العُزل ممَن تبقوا في المدينة إلى المخابئ بينما لم يتحركا، واستمر دوران الكاميرا في أستديو الأخبار.. بدت مثله ثابتة بل ومدت إليه راحتها مطمئنة دون اكتراث بصيحات الذعر والأنوار الفضاحة لمبناهم ومشاهد القتل في الخلفية.. أذاعت هي الخبر الأخير وعلق هو وابتسامته مشدودة بلا توتر.. واهتز المكان بعنف مع تتر نهاية النشرة فشدها من يدها ورقصا معًا.. كان الإيقاع سريعًا موحشًا لكنهما خارج العالم يسمعانه بآذان القلب ويخطوان على وقعه بأنامل مرهفة بلا التفات للجدران التي تُزَلزل والأتربة وفرقعات مصابيح الكهرباء.. تفاديا الألواح المنهارة معًا والتفا حول بعضهما بانسياب قطعت معه طرف فستانها وفضت شعرها بينما ألقى هو آخر خطابات خطيبته اللاجئة في القاهرة في لهيب إحدى الشرارات المستعرة.. ومع استمرار الرقص الذي رصدته

الكاميرا بهدوء تذكَّر كيف تركته ورحلت مع أهلها إلى هناك مولية فرارًا من حرب ملأتها رعبًا لم يستطع شغفه التغلب عليه.. وكيف خانته العَبَرات.. وكيف أضحت رسائلها عبر البريد الإليكتروني بلا معنى وماتت حروفها مع كل ذويه ممَن قضوا قصفًا أو رحيلًا أو خيانة.. منذ ساعة واحدة لم يكن يدرك لماذا خلقه الله ولِمَ أبقاه حتى يشهد كل هذا لكن مع رؤية هذه الفتاة بين ذراعيه بدأ يدرك لماذا يحيا!

للدقيقة الثانية.. الموسيقى لا تزال صادحة.. ولا صوت يعلو فوقها فهما والمصور لا ينطقون، والغارة تتكلم بلا إفصاح عن هوية قاتل أو مقتول.. ولا أحد يستوعب ما يحدث.. تعبت من الرقص فارتكنت بظهرها إلى أطلال حائط يستعد للانهيار.. ضمت ركبتيها إلى صدرها تتذكر مكالمتها الأخيرة مع أمها.. والعريس الذي جلبته خالتها.. وأسئلة الجيران لماذا لم تتزوج بعد؟

فحيح ألسنتهم لم يهدأ ولم يرحمها يُتْمها ولا شيخوخة والدتها من أحاديثهم بعد أن ذهب أخوها ملتحيًا إلى درب الذي يسبي فيه قريناتها باسم الدين، فوجدت نفسها رجلًا أو تصرفات رجل مظلوم بجسد أنثي يرميه كل رامٍ بظنون وكلمات أمضى من رصاصات شقيقها التي تكفرها وتحكم على مثيلاتها من المذيعات السافرات بالموت.. الموت الذي تنتظره الآن ولا تحسه بل تستشعر الحياة والأمان مع زميلها وحبها الوحيد.

لم تلتقط الكاميرا ماذا قالت له، ولكنها التقطت جلسته إلى جانبها على الأرض وضمه إياها إلى صدره ثم انقطع الإرسال وكل شيء.

وفي إحدى القاعات الكبرى بدولة مجاورة، وتحت مظلة الأمم المتحدة حملت الشاشة الكبيرة اسم «للحب رقصة أخيرة»..

ثم كُتِب عليها.. عُثِر على شريط هذا الفيلم بين أنقاض مبنى قناة.. بمدينة.. ولم يُعثَر على جثتي بطليه، وبين آثار الدمار، وُجِدت هذه الورقة من المصور على الأرجح وقد كُتِب عليها بخطٍّ متعرج: عشت لدقائق بين الموت والحياة الزائفة كنت أعلم أنها تحبه وسمعتها تخبره.. أن لحبهما حياة سرمدية في عالم بلا حرب.

«ومع عرض الفيلم، كان أخوها يستعد لتفجير المكان، والخطيبة اللاجئة في القاهرة تخطط لعرسها.. وهو وهي مازالا يرقصان.. .هناك!

***

ست البيت

بقلم/ علياء علاء الدين يوسف

عنوان مكتوب وصفحة فاضية

عنـوان مـش شـايفة نفـسي فيـه، مـع إني قلتـه كتـير عليـا. مـش حاسـاه، مـش عشـان هـو وحـش!

لكن مش لايق عليا مع إني حاولت أليق عليه. ماعرفتش.

شـغلانة صعبـة ومحتاجـة تركيـز. شـغلانة مليانـة مواعـظ، ومواعـين وطبـخ وترتيـب وتماريـن ومشـاوير وطلبـات ومذاكـرة وامتحانـات وحاجـات.

أنا فين وبقيت مين!

وبصة في المراية تقولي كل الحكاية

أنا مش ست بيت وبس

أنا البيت وأنا الست

البيـت جـزء مـن السـت ولا السـت جـزء مـن البيـت؟ هـو أنـا بقيـت رف قاعـد عـلى الحيـط؟

تهت. ومن كلمة ماما تعبت، وفي الليل من التعب بيروح النوم. والهدة والمناهدة بتجيب وجع في الضهر

و محدش حاسس بيا. كله بيحمّل عليا!

فين أنا وفين بصمتي؟ بعد كل ده. تبقى دي آخرتي؟

هسيب الوقت يروح ويعدي؟ الوقت بطل يهدِّي. على طول حاسة بالوحدة حتى لو في وسط الناس وبقول سنتين ويعدوا، يفوت ٥ وأنا في نفس الإحساس!

أيامي شبه بعضها لازم آخد قرار، أنا عايزة إيه؟ وإيه الصح؟ طب أبدأ إزاي؟

ومين يساعدني أبدأ ومنين؟

خواطر بتيجي وتعدي ولكنها خطر

الفكر ده بيشّل، ويجيب كآبة، الفكر ده كأنه منحدر!

أحمد ربنا عل كل النعم، وأفكر في الحلو

محتاجة أشحن نفسي وأعرف أكمل

محتاجة أبطل شكوى وأركز في المذاكرة

محتاجة أركز أكتر، يومين وولادي هيكبروا وهتوحشني الأحضان والجري والصوت العالي كمان دول ماليين عليا الدنيا والخير في كل مكان.

محتاجة أختار أفكاري لأنها عاملة زي الشبك..

لما بتكون ايجابية بتجيب معاها سمك ولما بتكون سلبية بتلم التعابين.

آخد نفس وأخطط وأحسب وقتي ومواعيدي

أحدد هدفي لبكرة وهييجي يعني هييجي

آخد نفسي بجد، وأبدأ خطوة بسيطة وواحدة واحدة البيخلص في ساعة بكره يخلص في دقيقة

هشغَّل دماغي وهلعب وهخرج مع صحابي

هشحن نفسي وهصاحبها ما هي ماهاش غيري. وهلعبها رياضة وكمان هساعد غيري

الوقت ده نعمة كبيرة مش هضيعه

هحسبهب في كل خطوة وهعيش اللحظة بلحظة

تفكيري فالفات مابيجبش غير الزعل والتفكير في بكرة أصعب وفيه خوف وهبل

خلينا نعيش اللحظة ونركز في الحالي

أنا المسؤولة عني والسعادة قراري

***

كهف الملح

بقلم/ علياء علاء الدين يوسف

تستيقظ في الصباح وتأخذ نفسًا، تود لو كان عميقًا، ولكنها غير قادرة على التنفس، فتشعر بثقل في قلبها يمنعها من ممارسة حياتها بشكل طبيعي، فتأتي أيام لا ترغب في القيام من السرير وتعود للنوم وكأنها تهرب من مواجهة حياتها.

تعرف جيدًا كيف تخفي هذه المشاعر عن كل من حولها. وتعلمت أن تخفي هذه المشاعر عن نفسها إلى أن جاء اليوم الذي نجحت فيه أن لا تشعر. فقدت الإحساس بالشعور.

ماذا حدث لسارة؟

كانت سارة شديدة الجمال ذات روحٍ مُنطلِقة وعفوية تحب الناس جميعًا، تزوجت في أواخر العشرينيات. كانت تحب زوجها ولكن شيئًا ما حدث؛ فبعد سنة واحدة من زواجها تغيرت ملامحها وتغيرت روحها، وعندما رأيتها صدفة في السوبر ماركت لم أتعرف عليها!

وجدت حضنًا دافئًا أعرفه جيدًا وصوت صديقتي منذ

الطفولـة وهـي شـديدة الفـرح لرؤيتـي وكأنهـا رأت عزيـزًا مفقـودًا فتبادلنـا حديثًـا مـرَّ سريعًـا وذهبـت كُلٌّ منـا في طريقهـا. ولكـن مـا رأيتـه في عينيهـا ظـلَّ يؤرقنـي ويشـغل تفكـيري وشـعرت كأن في رسـالة موجهـة إليَّ وأننـي وجـبَ عـليَّ مسـاعدة صديقتـي في محنتهـا ولم أعـرف كيـف؟ بـل لم أعـرف مـا هـي المحنـة!

فتساءلت: كيف أساعد سارة؟

وجـاءني الجـواب عـلى هيئـة إعـلان في مجلـة كنـت أفـر فيهـا وأنـا منتظـرة دوري عنـد دكتـور الأسـنان. ولكنـي شـعرت بداخـلي وكأن في صـوت مـا يشـير إلى أن أذهـب لهـذا المـكان في الصـورة.

بعـد موعـدي مـع دكتـور الأسـنان، نسـيت الصـوت ونسـيت المـكان ونسـيت سـارة نفسـها.

نمـت مـن الألم، واسـتغرقتُ في النـوم. ولكنـي اسـتيقظت قبـل أذان الفجـر بلحظـاتٍ، وكنـت أحلـم بنفـس المـكان الـذي رأيتـه في الإعـلان، وكانـت سـارة معـي في الحلـم! تعجبـت لأني عـادة لا أتذكـر أحلامـي.. فقمـت لأصـلي ووجدتنـي أدعـو لسـارة وأدعـو لنفسـي. طـار النـوم مـن عينـي وظللـت أتفكـر وأنـا أدعـو، مـا هـذا المـكان؟ ومـا علاقتـه بسـارة؟ ومـن الممكـن أنهـا تكـون في أفضـل صحـة وتكـون كل المشـاعر في مخيلتـي أنـا فقـط! مـن الممكـن أكـون أنـا التـي أحتـاج للمسـاعدة وليسـت سـارة! جـاءت إليَّ أفـكارٌ كأنهـا لم تكـن أفـكاري ولا أعلـم كيـف جـاءت إليَّ! وظللـت في حـوار مـع نفـسي حتـى اسـتهلكت وشـعرت بالنعـاس فأكملـت نومـي.

صباح اليوم التالي استيقظت على صوت تليفوني ومكالمة من سارة!

سارة: ألو.. أنا صحيتك؟

أنا: ألوو... لا لا (وصوتي لايزال نائمًا)

صدمت! لأن سارة لم تتصل بي منذ فترة تعدت السنة!

سارة: كنت سعيدة جدًّا برؤيتك وحلمت بيكي.

أنا(في صدمة وكأني لا أصدق ما سمعته): وأنا كمان حلمت بيكي!

سارة (لحظة سكوت): حلمتي بإيه؟

أنا: حلمت بينا في مكان كده شُفته في إعلان إمبارح اسمه كهف الملح

سارة: احلفي.

أنا: والله العظي...

سارة (وهي تقاطعني): أنا حلمت إن إحنا قاعدين في مكان مظلم وكأن في طاقة نور تفتح ما بداخلنا وحولنا رمال بيضاء كنت أظنها تلجًا، ولكن أرى الآن أنها ملح! فين كهف الملح ده؟

أنا: في الطريق إلى رأس سدر.

سارة: تيجي نروح؟

أنا: يلا بينا.

تـم الاتفـاق عـلى التاريـخ والميعـاد، ولكننـي ظننـت أنـه «كلـه كلام»، أنـا وسـارة دائـمًا نخطـط ودائـمًا نلغـي مواعيدنـا! كأنهـا مـن عاداتنـا كأصدقـاء.. ولكـن هـذه المـرة مختلفـة لأن كل شيء كان سـهلًا وكأننـا كنـا عـلى موعـد مسـبق مـن هـذا المـكان.

وفي طريقنـا للمـكان، تحدثنـا أنـا وسـارة عـن حياتنـا وفتحنـا قلوبنـا، وحكـت لي أنهـا تعيـش حزينـة ووحيـدة، وكأن الدنيـا تغـيرت مـن حولهـا وتشـعر دائـمًا أن أصدقاءهـا منشـغلون في حياتهـم وهـي تعيـش اليـوم بيومـه بـل وتتهـرب مـن مواجهـة الحيـاة بالنـوم والتلفزيـون.

وحكيـت لسـارة عـمَّا أمـر بـه مـن نفـس شـعور الوحـدة وكأن كل العـالم منشـغل وأشـعر أني لا أضيـف أي شيء في حيـاتي، وأتسـاءل هـل أنـا عـبء عـلى أهـلي؟ لمـاذا أعيـش بـدون هـدف. ودائـمًا أتهـرب مـن هـذا الشـعور وأخـاف مـن الارتبـاط بسـبب مـا مـرت بـه أمـي مـن خيانـات مـع أبي وعشـت حالـة مـن الكُـره للرجـال وأتهـرب مـن أي شـعور فيـه حـب! بـل أتهـرب مـن الشـعور نفسـه! فحيـاتي أسـهل بـدون أن أشـعر، أحـب أن أكـون مسـيطرة ولكـن «الشـعور» يفقـدني الشـعور بالسـيطرة؟

وسـألت سـارة هـل تفهمـين أي شيء ممـا أقـول! أحيانًـا لا أفهـم نفسـي عندمـا أسـمعني أتحـدث!

ذهبنـا أنـا وصديقتـي وعندمـا وصلنـا، شـعرنا أنـه مـكان مألـوف وكأنهـا لم تكـن زيارتنـا الأولى، ويقـال إن الأماكـن تؤلـف كـما تؤلـف القلـوب.

دخلنا إلى ساحة وهي مدخل الكهف، مظلم وفيه نور خافت، ترى الحجارة على الأرض فيها ألوان باهتة هل كانت تبرق في يومٍ ما ومع مرور الزمن تغيرت. وارد، فإنه قانون الكون «كل شيء يتغير إلا قانون التغيير.»

يمكنك أن ترى أقل من مترٍ أمامك وهناك يوجد مكتب من الملح الأبيض تجلس وراءه فتاة في أوائل العشرينيات، محجبة، سمراء يبدو على ملامحها السكون رحبت بنا وقامت بتعريفنا على الخدمات المتاحة.. وقالت لنا مع ابتسامة تدعو للتفاؤل: «حظكم حلو لأن النهارده في جلسة تأمل مجانية بداخل الكهف؟ تحبوا تحضروا؟»

ونظرنا لبعض نظرة اندهاش ووافقنا على الحضور.

فقد كنا نسمع عن جلسات التأمل وكان عندنا فضول لتجربتها..

وقد كان.

دخلنا كهف الملح وكان عددًا لا بأس به وكانت مدربة التأمل من أندونيسيا وهي خبيرة تأمل معروفة. ولكن غير معروفة بالنسبة لنا، ولكن أنا وسارة دخلنا للبحث عنها على الفيسبوك، ووجدنا أن لها حضورًا من كل أنحاء العالم ومحاضرات وفيديوهات على اليوتيوب.. فانشرح قلبنا وعم السكوت على المكان.

بدأت الخبيرة في شرح الجلسة في صوت هادئ يُبعَث منه

السكون ولاحظت من ملامحها أن عمرها لا يمكن أن يتعدى الخامسة والثلاثين كيف يقول الفيسبوك إنها في الخمسينيات؟! تحدثت معنا عن فوائد التأمل عامةً ومميزات التأمل في كهف من الملح خاصةً، حيث أن الطاقة الإيجابية تشع من الملح فتسهل علينا التخلص من سموم أجسامنا وسموم أفكارنا!

فسكتُّ قليلًا، ولكن عقلي ظل يسخر من ما اسمعه! كيف يطهر الملح السموم؟ كيف أن أتفكر في اللا شيء سيفيد عقلي؟ وكيف سمحت لنفسي أن انساق وراء أحلام طائشة وأسمح لنفسي أن أفكر في تلك الخُرافات!

ولكني هنا! فلأخُض التجربة، أشعر أن نداءً خفيًّا جاء بي إلى هنا! أشعر في تلك اللحظة أنني جزء من خطة أكبر صُمِّمَت لي، أشعر أني في امتزاج بين الخوف وتجربة شيء جديد لأول مرة.. لا أتذكر متى كانت آخر مرة أجرب فيها شيئًا جديدًا وأشعر بالحماس.. بل لا أتذكر آخر مرة شعرت! فأنا أشعر!

ولأنني شخص يحب الإتقان في أي عمل أيًّا كان. قررت التركيز وقررت أن أخوض التجربة وبعدها سوف أقرر إذا كان هذا الكلام خرافات أم إنني حقًا على مشارف أن أبدأ رحلة جديدة، رحلة عميقة! رحلة البحث عني. وعن سارة.

***

فرحة جميلة

بقلم/ شيماء علي محمد

أنا وعماد، كعادة الصباح الذي يطل علينا بنسيمه الجميل والخفيف، وبلسانه الجميل الذي يقطر عسلًا بطمأنينته الدائمة على حالي، والإفطار اللذيذ الذي يفاجئني به كل حينٍ وحينٍ. نطرق الأبواب بلطفٍ وهدوءٍ على حجرة الأطفال ليستيقظوا بنشاطهم المعهود إلى المدرسة، وتمر الدقائق علينا مرورًا هادئًا حتى يرحل عماد أيضًا إلى عمله، ولكن هذه المرة أذكِّره بحفلة عيد الميلاد التي سيحضر مستلزماتها من الخارج.

ذهب عماد والأطفال -علي وأميرة- وبقيت وحدي بالمنزل، أرتّب المنزل وأجهّزه ليليق بحفلة عيد ميلاد مميّزة، وبدأت في إعداد الكعك وتعطير الملابس وتهذيبها. وفي الوقت ذاته أتابع مع سكرتيرة العمل ما يجب إنجازه وإتمامه في العمل، ليصبح كل شيءٍ على ما يرام.

فنجان القهوة هذه المرة أراد أن يثير في قلبي الشجون والحزن، تذكّرت السنوات الماضية التي سبقت لقائي بعماد، حياتي

المحطمة والمدمَّرة التي شارك في تدميرها أخي سامحه الله، لما أصرَّ على تزويجي بصديقٍ له كنوعٍ من المصلحة المتبادلة، شراكة ومال، أقحمني فيه أخي لأصبح الضحية في يد صديقه معتز.

أخي محمد، وأختي ميرفت. لم يتبقَّ لي سواهما بعد رحيل أمي وأبي عن الدنيا، كُلٌّ منهما صار له حياته الخاصة؛ أسرته وأطفاله وعمله. باع أخي الشقة التي تجمعنا سويًا، وتنقلت بين شقته وشقة أختي، ورفض أن أستقل بنفسي بحجة أنه خائف من استقلاليتي. لكنني شعرت بالإرهاق النفسي والجسدي، ونادرًا ما شعرت بالراحة والطمأنينة معهما. حتى جاءني في مرة وقال إن له صديقًا يريد أن يتزوجني.

اعترضت في البداية، لكنّه ضغط عليَّ بشدة وقال إنه يعرف مصلحتي وما يناسبني، ولم أدرك بعد أن له غاية أخرى وأطماعًا لا تظهر على حقيقتها. وافقت على الجحيم والمهانة والذل، لم يكن معتز يفقه أي شيء عن الذوق والأدب والخلق، وكلما اشتكيته لأخي، قال: لازم تستحملي ده جوزك ومن حقه.

هل من حقه أن يعرضني لهذه الإهانة، وأن يضربني بهذه الطريقة التي لم يجرؤ أبي وأمي على فعلها معي؟! استمر هذا الحال طويلًا وأنا أتحدث عن الطلاق دون جدوى، دون سندٍ، وحيدةٌ تمامًا بلا أي سند أو شخص أحكي معه، إلى أن رزقني الله بحملٍ قريب، فحدثتني نفسي أنه ربما يهدأ قليلًا ويحسن معاملتي.

حتى دخل عليَّ في مرةٍ من المرات يصيح كالثور الهائج: أخوكي نصب عليَّا، وأخد فلوسي وسافر!

ومارس غضبه بعنفٍ على جسدي، ضربني ضربًا مبرحًا لم أَفِق منه إلا في المستشفى، وأخبرني الطبيب بحدوث نزيف، وأن الطفل المنتظَر ذهبَ بلا رجعة، وأن الطبيب مستعد للوقوف بجانبي في هذه الجريمة لو قررتُ أن أحرر محضرًا ضده.

ضعفت قواي، وشعرت بالانهيار وبكيت بكاءً مريرًا، ووافقت على تحرير المحضر والتخلص من هذا الوحش الكاسر الذي أعيش معه، وطلبت منه الطلاق. وبعد خروجي من المستشفى اكتشفت أن أخي هرب بالمال الذي سرقه من معتز، وأختي ترفض وجودي معها، وكنت كاللقيطة بلا سكنٍ أو مأوى أو أقارب.

بداية السعادة

تذكرتُ جارةً قريبةً من بيت أبي، سيدة كبيرة أصابها الوهن والضعف، ذهبت لها فاحتوتني ورحّبت بوجودي معها، بل حاولت مساعدتي أيضًا من خلال ابنها المهندس، وطلبتْ منه أن يبحث لي عن عمل، وأبدى ترحيبه بذلك وسعد بوجودي المريح مع أمه، وقال:

أنتِ بتونسي ماما لأن أنتِ عارفة شغلي، وأختي وأخويا مسافرين بنكون مشغولين عليها، وخايفين يحصلها حاجة،

وطلبت منها تيجي تقعد معايا رفضت، وده زي بيتك ولا يهمك من أي حاجة، إحنا في الأول والآخر جيران، ووالدك ووالدتك كانوا ناس كويسين، وبيخدموا أي حد، أهلًا بيكِ يا جميلة. بصي بقى، بكرة تعدي عليا في الشركة، وشغلك موجود. مش ليكي في الكمبيوتر؟

قلت: أيوه طبعًا.

قال: طيب تمام تنوريني بكرة.

شعرت في هذا اليوم أن أبواب السماء فُتحت عن آخرها لأجلي، وأن الراحة على وَشْكِ القدوم، وأن الله سيعوِّضني عمَّا حدث لي سابقًا. قضيتُ مع جارتنا العجوز (الحاجة فائقة) أوقاتًا رائعة. أما ابنها المهندس إبراهيم، فتعلمت منه أشياء كثيرة في الديكور، وتطورت كثيرًا وحصلت على الكثير من المال من هذه الوظيفة، قررت بعدها أن أشتري شقةً خاصةً. وعندما أخبرت الحاجة فايقة بذلك، حزنت حزنًا شديدًا وخافت أن أتركها وحدها.

مرّت الأيام، وتعرفت على عماد -محام زميل المهندس إبراهيم-، بمجرد أن رآني حتى أُعجب بي كثيرًا، وطلب أن يتقدَّم لي دون تردُّد، أصابني التوجّس والخوف من البداية بسبب فقدان الثقة والخوف من العلاقات.

قلت له: أنا مش قادرة أكمل حياتي لوحدي، وفي نفس الوقت مش هسمح لحد يقرب من حياتي، أنا شُفت وعشت حياة محدش يقدر يستحملها!

أجـاب: أنـا مسـتعد أكتبلـك كل الـلي يضمنلـك حياتـك معايـا، جميلـة، أنـا شُـفت فيـكِ البيـت الـدافي الـلي بـدور عليـه، شُـفت الإنسـانة الـلي هتقـف جانبـي بجـد، وأكـون سـند ليهـا، مقـدَّر كل الـلي قولتيـه وعـارف إنـك مـن حقـك تكرهـي الرجالـة والنـاس، بـس أنـا أوعـدك إني هاعوضـك عـن كل ده صدقينـي!

ارتبكـت مـن ثقتـه ومـن جمـال كلامـه، لم أقـدر عـلى الإجابـة، لكـن أحسسـت أن شـيئًا مـا في بداخـلي يحتـاج إلى البقـاء إلى جـواره، شـيئًا مـا يدفعنـي إلى التشـبث بيديـه..

وأن أقـول لـه: تعـالى نمـشي مـن هنـا، أنـا فعـلًا محتاجـة أفـرح وأطمـن، أنـا قلبـي تعـب كتـير، أنـا فرحانـة وخايفـة!

قال: هاتي إيدك، ونبدأ حياتنا مع بعض.

شـعرتُ أن دقـات قلبـي تتراقـص مـن فـرط السـعادة، اكتملـت الصـورة أمـام عينـي بزخّـات المطـر وزقزقـة العصافـير ومـوج البحـر الـذي يدفعنـا نحـو المغامـرة الحقيقيـة.

تتابعــت الأحــداث سريعًــا، عرفنــي عــلى أسرتــه وفرحــوا بوجـودي بينهـم، وسرعـان مـا اتفقنـا عـلى موعـد الفـرح. الـشيء الوحيـد الـذي أثـار بداخـلي الحـزن، هـو فراقـي للحاجـة فائقـة، بعـد أن تعلقنـا ببعـض كثـيرًا.

وفعــلًا انتقلــتُ إلى بيــت الزوجيــة مــع عــماد، وبــدأت حيــاتي تأخـذ شـكلًا جميـلًا وهادئًـا وميسر الحـال، كنـا متفاهمـين وقادريـن عـلى حـل مشـاكلنا الصغـيرة سـويًا بـدون ضغـوط، ودائـمًا مـا

يراعـي حـزني ويهتـم بـأن يمـلأني بالحنـان والعطـف. حتـى أكرمنـا الله بالحمـل، وكانـت سـعادتنا مشـتركة، وفرحتنـا مضاعفـة خاصـةً أن الحمـل تأخـر قليـلًا. بـدأت في التحضـير للطفـل القـادم، وتجهيـز غرفتـه وملابسـه.

مـن ناحيـة أخـرى، تـرك لي المهنـدس إبراهيـم مكتبـه وتنـازل عنـه لأجـلي، بعـد وفـاة والدتـه، وقـال: أنـتِ أولى بالمكتـب

وبالفعـل اتسـع مجـال عمـلي، وزاد نجاحـي، ولم يتركنـي عـماد مطلقًـا بـل ظـل بجانبـي يسـاندني ويشـد مـن عزيمتـي.

المفاجأة

حتـى جـاءت الصدمة مـن جديد، في الشـهر السـادس مـن الحمل، اكتشـفنا أن نبـض الطفـل توقـف، وطلـب منـي الطبيـب أن أجـري عمليـةً لأن الوضـع شـديد الخطـورة، والطفـل قـد مـات. هـذا الخبر الـذي نـزل كالصاعقـة المدوّيـة عـلى رؤوسـنا جميعًـا، كقطـع الثلـج التـي تجمّـدت لهـا كل جوارحنـا. بـكاء هيسـتيري وحـزن وفقـدان للسـيطرة، صرت أتحـدث كالمجنونـة:

مـش هنزلـه هـو عايـش، ليـه يـارب، أنـا عشـت حيـاتي كلهـا في عـذاب، ولمـا فتحتـلي الدنيـا وقُلـت خـلاص عوضتنـي عـن كل حاجـة، اتاخـدت منـي تـاني! ليـه يـارب!

أعطوني حقنةً مهدئةً، وتركوني للنوم.

لم أدرك كم ساعةً مرت على نومي، فجأة استيقظت ووجدت نفسي وحيدةً في الغرفة، لكنّي تحسست بطني ووجدتُ أن ثمةَ حركة في الداخل، هل هذا حقيقي فعلًا؟! الطفل يتحرك في داخلي؟! يا الله، ناديتُ بصوتٍ عالٍ ليأتي إلى الغرفة أحد، جاء عماد وقال:

في إيه يا حبيبتي؟ استهدي كده بالله، وربنا يعوضنا خير.

وأنا أحاول أن أقول له إني أشعر بشيءٍ يتحرك في داخلي، لكنّه يظن أني ما زلت في صدمتي من الخبر وأنها مجرد تهيؤات. طبعتُ على يديه قبلةً وأقسمت له أني أشعر بحركته.

جاء الطبيب، وقال: أرجوكِ تهدي بس.

وأنا أحاول إقناعه بأن يجري أشعةً من جديد، ولكي يجعلني أكثر هدوءًا وافق على الاقتراح، وكانت المفاجأة أن النبض عاد إلى الطفل من جديد. لم يصدّق أحد هذا الخبر الرائع، بكاءٌ من الفرحة أحاط الجميع، هذا الخبر الذي اعترف الطبيب أنه أشبه بالمعجزة، يا إلهي لا أصدق ما يحدث، نحمد الله على كل شيء. سجد عماد لله سجدة شكر، وحمدالله كثيرًا، وأنا استغفرت عن ما قلته في لحظة انهياري.

انقضت أشهر الحمل، وكنت في غاية القلق من لحظة الولادة خوفًا من أن يحدث شيئًا غير متوقع، لكن الأمور صارت على ما يرام، وجاءنا الطفل وملأ علينا حياتنا رزقًا وخيرًا وسعادة. وتمرّ الأيام، كبر الابن، واستمر العمل، وما زال عماد بجانبي

يحميني ويرعاني، ويهتم بالعطف عليَّ وعلى الولد. عماد رجل بحق، وزوج أمين ووفيّ.

بعد سنتين من الحياة الهانئة، رزقنا الله بحملٍ ثانٍ؛ فتاةٍ رائعة وفائقة الجمال، أميرة صغيرة ملأت حياتنا بالحنية واللطف. حاولت قدر الإمكان أن أعوض ما حُرمت منه من حبٍ وعطفٍ وحنان، عوّضت ذلك في أولادي وزوجي الذي كان يشاركني دائمًا في تربية الأولاد، وحدثته مرارًا عن ضرورة وجوده بجانب الأطفال لرعايتهم.

ما زال فنجان القهوة في يدي، ما الذي حدث؟! لقد سرحت بخيالي بعيدًا، انتبهت على صوت الهاتف، فوجدت أن الأطفال على وشك القدوم، وبمجرد أن رأى ابني (علي) الشقة مزيَّنة ومليئة بالبالون والألوان والزخارف.

قال: الله يا مامي حلوة أوي الزينة.

بعدها اتصل عماد، وأخبرني أنه قادمٌ مع والده ووالدته، فسارعت بتحضير الغداء بمساعدة الأطفال، إلى أن اجتمعت الأسرة كلها، وبدأنا الحفلة.

حفلة صغيرة، اجتمعت فيها معاني الحب والود والحنان كله، عماد يطبع على جبيني قبلةً حنون، وأصدقاؤنا المقربون يشاركونا الفرحة والسعادة، والأطفال عيونهم لامعة من فرط البهجة.

انتهت الحفلة، ونام الأطفال، وبقيت أنا وعماد نسترجع الذكريات ونضحك سويًا!

كم هي بسيطة هذه الحياة لو كانت بجوار حبيبٍ صادق..

قادر على أن يهوّن عليك الصعاب، ويحميك من كل ما يؤذيك، ويخفف عنك الحزن والألم، ويملأ الدنيا عليك.. هذه هي الحياة، هذا هو الحب.

***

عائلة جميلة

بقلم/ شيماء علي محمد

مع تسلل أطياف الصباح عبر ستائر الغرفة، وعلى زقزقة العصافير التي تعزف سيمفونية من صنع الطبيعة،

دخلت عليها جدتها بصوتٍ هامس: يا جميلة، اصحي يا ست البنات عشان متتأخريش على الجامعة!

أجبتها: (صباح الخير يا تيتا يا عسل) بنشاط وافر وخفةٍ تنمّ عن صباحٍ مختلف، وهي بالمثل أخبرتني أنها ستقوم بإعداد الإفطار حالما أنتهي من ارتداء ملابسي.

بالفعل، ارتديت ملابسي ومكثت أمام المرآة أتأمل في حالي منذ أن قررت المعيشة مع جدي وجدتي. وبينما أنا في زحمة الأفكار، تائهةً كأني سافرتُ عبر الزمن، إذ طرق جدي الغرفةَ وقدمَ ناحيتي، وطبع على جبيني قبلةً حنون.

وقال: ست البنات، مالك سرحانة في إيه؟ بنادى عليك كتير، هتتأخري كده على الجامعة؟

أجبته: جـدي، معلـش ماخدتـش بـالي إنـك كنـت بتنـادى عليّـا، خـلاص أهـو أنـا طالعـة. وسـمعت جـدتي تصيـح بصوتهـا الهـادئ.

قائلـةً بحـرص: افطـري قبـل مـا تنـزلي يـا جميلـة، إنتـي بتقعـدي اليـوم كلـه بـرّه ولسـه هتروحـي الشركـة.

أشرتُ عليهـا بالموافقـة، وصافحتهـا ثـم طبعـتُ عـلى جبينهـا قبلـةً خفيفـة، وبالمثـل عـلى جبـين جـدي كـي أنـال قـدرًا مـن دعواتهـم التـي تثـير في قلبـي الفرحـة والحـب والأمـان.

ذهبـت إلى الجامعـة، وقابلـتُ نـدى صديقتـي ورفيقـة الدراسـة والطفولـة، ومضينـا سـويًا إلى (السكشـن) الأول.

قالـت لي نـدى: لسـه فاضـل ربـع سـاعة الدكتـور، النهارده مشـدد أوي عـلى موضـوع المـشروع ربنـا يسـتر، طبعًـا إنتـي الـكلام مـش ليكـي مـا شـاء الله عليكـي، رسـومات المـشروع بتاعتـك تمـام!

أجبتهـا: أنـا؟ الله أكـبر يـا نـدى، أهـو حاجـة حلـوة في حيـاتي مـرة.

أجابتنـي: ياحبيبتـي ربنـا يسـعد أيامـك كلهـا، يـلّا عشـان ندخـل السكشـن!

الشغل

من ناحية أخرى، المهندس محمد -مدير الشركة التي أعمل بها بعد الجامعة-، تحدَّث إلى السكرتيرة الخاصة به: سمر، ابعتيلي مسؤول قسم الرسومات ضروري. فأجابته: حاضر ياأفندم، وأضافت: مهندس حاتم وصل يا أفندم.

(أيوه يا باشمهندس حاتم، إيه الاستهتار ده؟ رسومات شركات الزهراء اتأخرت ليه عن موعد التسليم؟ إنت مش عارف الشرط الجزائي اللي في العقد؟)

أجاب المهندس حاتم قائلًا: يا أفندم أنا مش مسؤول عن رسومات الشركة، اللي كانت مسؤولة مهندسة جميلة، وهي بتيجي شيفت بعد الظهر.

أصابت المهندس محمد نوبة غضب، صاح في سمر: يا سمر طلعي طلب فصل مهندسة جميلة وأول ما تيجي ابعتيها للشؤون القانونية.

تفاجأت سمر بهذا القرار، وأصابها الجنون من الخداع الذي مارسه المهندس حاتم كيدًا في جميلة، وألقت عليه اللوم قائلة: بتقوله ليه كده؟! حرام عليك ترمي الحِمل كله على جميلة، البنت دي غلبانة وبتشتغل بقالها فترة في الشركة، إنت المسؤول مش هي!

حاتم: والله محدش يقدر يثبت كده، وكمان هي طالعة فيها

أوي مش عارف على إيه! تستاهل اللي يحصل، مش صاحب شركة الزهراء طالبها بالاسم، خلاص أهي غلطت واتأخرت عن الموعد!

سمر: بس إزاي؟! دي سريعة جدًّا، أكيد فيه حاجة غلط وأنا هعرفها!

الجامعة

الدكتور: شكرًا يا جميلة على مجهودك، بجد أنتِ هيكون ليكي مستقبل فظيع في الرسومات بجد مفيش غلطة.

غمرتني فرحةٌ هيستيرية، وشكرتُ الدكتور كثيرًا على هذه الإشادة المهمة التي تعني لي الكثير، خاصةً أن ذلك كان (السكشن) الأخير له، يتبعه تقييم المشروع، وبعد ذلك سريعًا سلمت على ندى.

ندى: اقعدي معانا شوية.

جميلة: سلام بقى، لازم أروح الشركة كده هتأخر، أشوفكم آخر الأسبوع.

فجأة جاءني اتصالٌ هاتفيٌّ من سمر سكرتيرة مدير الشركة، تعجبت من اتصالها الذي لا يحدث كثيرًا منها، فأجبت على الهاتف.

سمر: ألو جميلة، إنتي فين؟

جميلة: أنا داخلة على الشركة.

سمر: طيب أول ما تيجي، تعالي المكتب بسرعة، عايزاكي في موضوع مهم.

جميلة: حاضر يارب يكون خير!

اعتدتُ دائمًا أثناء قدومي إلى الشركة، أن أبتسم لأفراد الأمن، وألقي السلام ببشاشة على كل الأفراد الذين ألقاهم، وكانوا يبادلونني هذه المودة والبهجة والسعادة، ثم بعدها أصعد إلى المكتب. وقبل أن أصل إلى مكتبي، قابلت المهندس حاتم الذي صدمني بكلامه الذي حمَلَ في طياته عتابًا وإلقاء اللوم لأني أخطأت في موعد تسليم الرسومات لشركة الزهراء، وأخبرني بأن جواب الفصل من الشركة يتم تجهيزه!!

قلت باندهاش وصدمة: إزاي؟! أنا خلصت فعلًا الرسومات وسيبتها للتسليم، لا هي أكيد موجودة وموعد التسليم لسه يوم الخميس مش النهارده، في حاجة غلط الرسومات أنا سايباها في المكتب، راحت فين؟!

وفتشتُ في كل مكان عن الرسومات، وصُدمت عند اكتشافي أنها ليست في مكانها، وفجأة وجدت طلبًا من مسؤول الشؤون القانونية، يُخبرني فيه بأني موجهة للتحقيق! وبعد أن واجهني بهذه المشكلة، وأنا أحاول أن أنفي عن نفسي هذه التهمة التي لم أرتكبها، طلب منِّي أن آخذ كل مستحقاتي وأرحل عن الشركة، ثبتت التهمة على دون وجه حقٍّ!

وأنا في هذا الذهول، وهذه الدهشة التي تُهت بها لا أدري ما الذي ينبغي على فعله، قررت أن أذهب إلى سمر في مكتبها لأخبرها بما حدث، وامتلأت عيني بالدموع!

سمر: جميلة، أنا عارفة أنك مظلومة، والموضوع ده حد قاصد يمشيكي، وماتقلقيش هكلم المدير تاني!

جميلة: لا ماتشغليش بالك خلاص مفيش نصيب استمر في الشغل، منه لله اللي كان السبب! بس والله يا سمر أنا خلصت الرسومات كلها وسيبتها في المكتب، وكان الموعد اللي قالي عليه حاتم يوم الخميس!

سمر: أنا كده فهمت، ومش هاسكت وهجبلك حقك، إنتي هتعملي إيه دلوقتي؟

جميلة: مش عارفة، أنا مخنوقة جدًّا ومش هقدر أروح البيت دلوقتي، هقولهم إيه؟ دي فلوس الشغل كانت بتهون عليًّا، لأن فلوس بابا مش بتكفي حتي علاج تيتا وجدو، ربنا يعينّي وأقدر أشوف شغل تاني بسرعة.

سمر: ربنا معاكي، وأنا هكلمك أطمن عليكي، خدي بالك من نفسك!

فقد الأمل

خرجت من الشركة وأنا في غاية الاختناق والضيق، لم تتوقف عيني عن البكاء، وجدت نفسي أسير في الطريق وحيدةً هائمةً بلا دليل ولا وجهة! كشريدة لا مأوى لها، حتى وصلت إلى المنزل! استقبلني الجد والجدة، ثم دخلت غرفتي دون مقدمات! أثار ذلك قلقهما.

فدخلا ورائي وقالا: مالك ياجميلة؟ جاية بدري يعني، مالك حد مزعلك؟

وبمجرد سماع هذه الكلمة، انفجرت بالبكاء، ومكثوا بجانبي يربتوا على كتفي ويهدؤا من روعي، ثم حكيت لهم ما حدث.

فقال جدي: ولا يهمك ياحبيبتي، كل واحد بياخد نصيبه وربنا يسامح اللي كان السبب، بس إنتي ماتزعليش نفسك وبلاش الشغل ده خالص، المهم تخلصي الترم ده على خير عشان تنجحي وتاخدي الشهادة، يالا قومي اغسلي وشك وفرفشي كده عايزين جميلة اللي بتضحك على طول!

بقيت على هذه الحالة يومين متتاليين، لا أستوعب التغير المفاجئ الذي طرأ على حياتي، هذا الفشل المحطم الذي تسبب فيه شخصٌ لا أعرفه!

لم يكفني أن أتحمل هذا العناء الذي أمرُّ به منذ أن وعيت على الدنيا، والداي منفصلان وأنا الضحية التي تدفع الثمن، كلٌّ منهما ذهب إلى حالِ سبيله، أبي سافر إلى بلدٍ أورُوبيٍّ، وأمي

تزوجت وأنجبت فتاةً وولدًا، ولما فكرت في المعيشة معهم، شعرت أن زوج أمي لا يستريح لوجودي ويتعمَّد مضايقتي ويعاملني معاملةً سيئة! لذلك بعدها قررت أن أترك البيت وأعيش مع جدي وجدتي، ويكفيني أن أتحمل مسؤوليتهما، ويكفيني منهم الأمن والأمان والحب الذي يُحاط بي من كل الجوانب، ولا أتكفّل عناء خدمتهما. أما والدي، فيرسل المال بين وقتٍ وآخر، لكنّه لم يفكر يومًا أن يراني أو يضمّني بين ذراعيه، ووقته كُلُّه مكرَّس للعمل والسفر، ولم أرَه سوى مرتين أو ثلاث مرات في العمر كله.

يا إلهي! ما الذي يحدث لي بحق الله؟! أنا أصغر سنًا من أن أمضي كل ليلةٍ بأوجاعٍ مختلفة، ضاق بي حالي وضاعت الدنيا حتى أكاد أختنق، اللهم فرِّج الهم، وأزِل القيود عن روحي الضعيفة!

الحقيقة

جاءني هاتفٌ من سمر تنبِّهني فيه أن آتي لها غدًا لأمرٍ طارئ، واستفسرت منها عن السبب، فأخبرتني أن أنتظر. لم يمضِ يومٌ واحدٌ حتى كنت حاضرةً في المكتب، وكان به كل من: مهندس محمد، ومهندس طارق -ابنه ومسؤول الشؤون القانونية- قال: اتفضلي ياجميلة إحنا عرفنا مين السبب في إنه يخفي الرسومات ويتهمك.

أجبته: بجد؟ الحمد الله يعني لاقيتوا الرسومات ومين هو؟

ردَّ على سؤالي: مهندس حاتم هو اللي كان السبب، وبالفعل سلمنا الرسومات للشركة.

ياريت تقبلي اعتذارنا ليكي وإحنا يشرفنا ترجعي للشغل معانا، شكرًا ليكي ولمجهودك، كل الشركات اللي اتعاملت معانا أصحابها بيشكروا جدًّا فيكي وفي شطارتك في الرسومات.

اتفضلي دلوقتي روحي مكتبك وباشري شغلك.

أثناء خروجي، استقبلتني سمر ببشاشتها المعتادة، وأردت أن أعرف منها كيف أدركوا الخطأ، واكتشفوا المكيدة المدبَّرة ضدي.

فأخبرتني أن (عم عبده) رأى المهندس حاتم وهو يخبِّئ الرسومات من مكتبها بعد أن رحلت. وأخذ الرسومات عندما أدرك أن ثمة مشكلة، وأعطاها له، ثم سلَّمها هو للشركة بدوره بالأمس.

قالت لها سمر: الحمد الله يا جميلة، ربنا عارف إنك مظلومة! يلا ياحبيبتي نورتي الشركة تاني.

دخلت مجددًا إلى المكتب وأنا في غاية السعادة، وقررت الاتصال بجدّي لأخبره بالتطورات الجديدة، وبشّرته بأني رجعت إلى العمل. وبينما كنت في طريقي إلى المنزل، فجأة ظهرت سيارة سريعة أمامي، كانت على وشك أن تقضي على حياتي، صرخت وتفاديتُها بنجاح، لكن من فرط الفزع لم أتمالك نفسي

وضعفت قواي. نزل من السيارة شخصٌ يحاول أن يأخذ بيدي، واعتذر مرارًا مع أن الخطأ في الأساس مني أنا، نظرت إلى ذلك الشخص فوجدته المهندس طارق.

قال: مهندسة جميلة، أنا آسف جدًّا ممكن أوصلك لأقرب مكان، ولو فيه حاجة أوديكي المستشفى.

قلت: خلاص أنا تمام مفيش حاجة!

أجابني: لا، أنا مصمم أوصلك، إنتي رايحة فين؟ البيت؟

قلت: أيوه بس المشوار بعيد، ممكن توصلني أقرب مكان؟

وبينما نحن في الطريق، تبادلنا أطراف الحديث، وشعرت أنه يريد أن يعرف الكثير عني.

وفجأة وجدته يقول: بس تعرفي ياجميلة، إنتي فعلًا شاطرة جدًّا، أصلك ماسمعتيش كلام صحاب الشركات لما بيشكروا فيكي وفي مجهودك، أنا قبل ما أشوفك قُلت إيه يعني، في ناس كتير شاطرة بس بعد ما شُفتك غيرت رأيي، عارفه ليه؟ عشان لمعة عينيكي بتقول كلام كتير جواكي!

احمرّت وجنتاي، وتملّكني الحياء حتى تلعثم لساني، وأنقذتني السيارة التي وصلت إلى البيت، وأوشكنا على النزول.

وجدته يقول: هو ممكن أشوفك تاني؟ لو مش هيضايقك.

الفرحة

إن شاء الله! وابتسمت وصعدت المنزل في قمة الفرح، لا أدري لماذا، لكن ثمةَ شعور انتابني، أثار في قلبي سعادةً جمة، دخلت إلى جدي وجدتي، وقضينا وقتًا سعيدًا من الضحك، وأخبرتهم عن كل ما حدث.

ومن ناحية أخرى التقيتُ بالمهندس طارق من جديد، وقضينا أوقاتًا سعيدة حكى فيها عن حياته الخاصة، أما أنا فاكتفيت بالسماع وفقط.

حتى فجأة وجدته يقول: تتجوزيني؟

قلت: أنا؟

أجاب: أيوه يا جميلة، إنتي الإنسانة اللي فضلت أدور عليها كتير، وإنتي جانبي ومش واخد بالي من جمالك وأخلاقك، أنا بحبك وأحب تشاركيني باقي حياتي، قولتي إيه؟

ترددت في الكلام، وساد الصمت للحظات، حتى تشجّعت وقلت: بس إنت ماتعرفش عني حاجة ولا عن حياتي، أنا حياتي متلخبطة.

قال بحماسة: عارف كل حاجة وعارف إنك جواكي مكسور جدًّا. وأنا جيت عشان أشيل عنك الحزن يا جميلة، ياست البنات، إنتي تستاهلي تتحبي وتفرحي.

أما أنا فتهت في شرود، ولم أدرك كيف أجيبه.

قلت: عارف إيه؟ عارف إني عشت حياتي لوحدي من بيت لبيت؟ عارف إني عمري ما شُفت والدي غير مرتين أو ٣ مرات في حياتي؟ عارف إيه كمان؟ إن والدتي اللي مفروض تاخد بالها مني وتقف جانبي سابتني أعيش مع جدو وتيتا ولا بتسأل عليا؟ أنا لوحدي! أنا طول عمري لوحدي محدش جنبي، حياتي كلها لتيتا وجدو، ماليش أصحاب غير ندى، أنا عايشة حياتي بتسند على نفسي وتعبت مبقتش قادرة!

كنت أهذي بهذا الكلام وأنا في انهيار تام، حاول أن يهدِّئ من روعي لكنني كنت كالبركان المنفجر، حتى قلت له: أنا عايزة أمشي دلوقتي.

أجاب: طيب استني شوية.

رفضت وقلت: لا عايزة أمشي دلوقتي حالًا، وصلني البيت!

وطوال الطريق أطبق الصمت على السيارة، ولم ينبس كلانا بأي حرفٍ. وصلت إلى المنزل، وصعدت إلى البيت، ودخلت غرفتي دون أن أنطق بكلمة واحدة، ووجدت نفسي، أفرش سجادة الصلاة، وصليت الفرض ثم استغفرتُ كثيرًا.

في اليوم التالي: صباح الخير ياتيتا! قلتها بضيقٍ دون أن أستمر في الحديث، كأني أحاول الهروب من الكلام، أو من الاستجواب عن حالتي ونفسيتي. قضيتُ عدة أيام في العمل، وكل تركيزي منصبٌّ عليه، أحاول الهروب من زحمة الأفكار، ويمر يومٌ تلو يوم، وأنا أتعجب كون طارق لم يحادثني من جديد! وقلت في نفسي أنه قد صرف النظر وأنهى الموضوع من ناحيته، وفي

الوقت ذاته يتسلل في قلبي شعورٌ بالندم على رد الفعل المفاجئ الذي واجهته به، صراعٌ لا ينتهي!

وفي يومٍ من الأيام عدت إلى المنزل، ورأيت جدتي تستقبلني بحميمية مختلفة عن طريقتها المعتادة معي، وقالت لي أن ثمة مفاجأة بانتظاري! دخلت وإذ بطارق يجلس مع جدي ويتحدث معه، وجدته مبتسمًا وينظر لي بعينٍ لامعة!

قال جدي: تعالي يا جميلة، طارق جاي يطلب إيدك مننا، إيه رأيك؟

قال جدي: أنا عرفت إنتي كنتي متضايقة ليه الكام يوم دول قولتي إيه؟ موافقة؟

ضحكت بحياء وقلت: موافقة.

وتركته ودخلت غرفتي! وتبعتني جدتي بسرعة، واحتضنتني بين ذراعيها، وقالت: مبروك يا حبيبتي.

جدو: خلاص يا طارق تقدر تشرفنا إنت وعيلتك ونحدد الخطوبة.

بمجرد أن نزل طارق أخبرني أنه افتقدني للغاية طيلة الأيام الماضية.

قلت له: ليه ماكلمتنيش اليومين اللي فاتوا؟

قال: حبيت أسيبك شوية لحد ما أفاجئك وأكلم جدو، جميلة أنا عارف كل الوجع اللي جواكي وكنت عارف كل حاجة

إنتـي اتكلمتـي فيهـا عـن عيلتـك وبرغـم كـده أنـا متمسـك بيكـي لأني بحبـك!

قلت له: وأنا كمان بحبك!

بالفعـل قـد أحببتـه، وأحببـت كلامـه ودعاباتـه، إنـه رجـلٌ بحـق، عـلى قـدر المسؤولية وبـه مـن الخلـق الرفيـع الـذي يجعلنـي أثـق بـه. أخـبرني أنـه كلـم والـده ورحّـب جـدًّا بهـذه الخطـوة، لكـن الصدمـة كلهـا في أنـه كلـم والـدي أيضًـا ليخـبره بذلـك، لكنـه أجابـه بأنـه لا يملـك الوقـت للتواجـد بسـبب انشـغالاته الكثـيرة!

أحسسـت حينهـا باليُتـمِ والوحـدة، كأني شـجرةٌ يافعـة مُسـتأصلةٌ مـن جذورهـا!

شـعر جـدي بذلـك الحـزن الدفـين بداخـلي، فحـاول مواسـاتي وأخـبرني أن طـارق سـيملأ هـذا الفـراغ، وطـارق أيضًـا وعـدني بذلـك وحـاول أن يهـدّئ مـن روعـي! مضـت الأحـداث بسرعـة، كأننـا في سـباق مـع الزمـن، تزوجنـا وسـكنت مـع أسرتـه في الفيـلا الخاصـة بـه، وكأن الدنيـا قـررت أن تبتسـم في وجهـي!

هـذا هـو الحـب الحـق، أنـا وطـارق قـادران عـلى صناعتـه، أن نكـون سـندًا لبعضنـا البعـض في الحيـاة وفي العمـل وفي الحـب. حُـبٌ متبـادل، وعائلـة اكتملـت بطـارق، عوضتنـي عـن عائلتـي التـي فقدتهـا، وهـذا تدبـير القـدر الجميـل.

***

خلقت أنثى

بقلم/ إنجي سعيد

قالت ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذَّكر كالأنثى. ذلك قول امرأة عمران على أنثى وهي مريم التي قال عنه رسول الله إنها من النساء الكوامل في حياتنا هذه. أخذت هذه الآية وكأنها إقرار من الله رب العالمين بتميز الذكر على الأنثى وحاشاه الله عن التمييز والتفضيل؛ فهذا من سوء الأدب مع الله وسوء تعامل مع الأنثى فلم يدركوا معنى الآيات ولم يضعوها في سياق السورة، ولكنهم أخذوها هي فقط مثلهم كمن أخذ آية «ولا تقربوا الصلاة» وتوقف. هؤلاء هم الذين زيَّن لهم الشيطان أعمالهم، ولكن هذه الأفكار تحولت إلى عادات وتقاليد فأصبحت مثل الحِمل الثقيل الذي تتوارثه الأجيال ولا يعفى من هذه الفكرة إلا مَن رحم ربي.

استيقظت مريم في الصباح الباكر بكامل نشاطها ورونقها؛ فمريم فتاة جميلة حباها ربها بملامح رقيقة وجميلة لها ابتسامة ساحرة وجذابة فطالما كل من رآها يقول لها إن ابتسامتها هي سر

جاذبيتها؛ فإنها تشفي العليل وتبث الطمأنينة والشعور بالدفء وإن لسه الدنيا بخير ذهبت مريم إلى عملها فهذا أول يوم لها ذهبت في منتهى النشاط فهي طبيبة نفسية حديثة التخرج جميلة وزاهية كأنها وردة مزدهرة في ربيع حياتها وصلت مريم إلى مشفى الأمراض النفسية والعقلية وهي تحدِّث نفسها بمنتهى الزهو والامتنان كيف كان الطريق طويلًا وشاقًا وهذا اليوم هو بداية نتاج ثمرتها وتعبها طوال الوقت الذي مضى. ذهبت مريم إلى دكتورة ليلى رئيسة المستشفى لتتسلم أول يوم عمل لها وتسلمه لها طبيبتها التي طالما عالجتها واحتوتها في مرضها وانتكاستها فلم تكن مريم تدرك أن هذا اليوم سيأتي كانت تأتي إلى هذا المشفى مريضة ولكنها اليوم تأتيه طبيبة دخلت مريم إلى دكتورة ليلى التي احتضنتها كابنة لها وباركت لها على أول يوم عمل لها، وذكرت لها التعليمات في معاملة المرضى وكيفية التفاعل معهم. وقبل أن تذهب مريم بملف أسماء المرضى التي ستقوم بمتابعة حالتهم، وقبل أن تذهب مريم قامت دكتورة ليلى بتذكيرها بتمارين الاسترخاء حتى تقلل من توترها فقاما بأداء التمرين معًا التنفس البطيء على هيئة شهيق نأخذه ثم نعد من واحد إلى عشرة ثم نخرجه، وأحيانًا نأخذ شهيقًا ثم نقرأ سورة الفاتحة ثم نخرجه على هيئة زفير وكذلك الأمر نكرره أربع مرات حتى أهدأ وتخف حالة التوتر التي تنتابنها عند الإقدام على شيء جديد بعد خروج مريم من عند دكتورة ليلى تذكرت أمها

التـي أوصتهـا أن تقـرأ دعـاء الاسـتخارة في أول يومهـا وتكـون عـادة يوميـة لهـا قبـل التعامـل مـع المـرضى حتـى لا تنطـق بـما يغضـب الله ويعانيهـا الله في قرارتهـا مـع المـرضى. وفي أثنـاء اتجاهها لحجـرة المرضى تذكـرت أمهـا ومعاناتهـا معهـا في هـذا المشـفى فكانـت قـد أصيبـت بحالـة مـن الصدمـة العصبيـة أفقدتهـا القـدرة عـلى الـكلام بعـد وفـاة والدهـا فمريـم طفلـة وحيـدة أبيهـا وأمهـا لم ينجبـا غيرهـا، وذلـك لظـروف خارجـة عـن إرادتهـما وكان الأب والأم موظفـين. كانـا يعمـلان صباحًـا وباقـي يومهـما مـع ابنتهـما، وكانـت مريـم متعلقـة بأبيهـا كثـيرًا؛ فـكان يدللهـا كثـيرًا ولا يناديهـا إلا بأمـيرتي الصغـيرة فـكان صديقهـا المفضـل وفارسـها المغـوار كانـت تنتظـر عودتـه مـن العمـل حتـى تحكـي لـه عـن يومهـا ويحكـي لهـا هـو أيضًـا عـن يومـه ومغامراتـه الشـبابية ومراهقتـه؛ فكانـت تندمـج معـه في يومهـا غـير مكترسـة لمـا سـواه حتـى أمهـا تتذكرهـا إذا احتاجـت للطعـام؛ فأمهـا سـيدة هادئـة كانـت تهتـم بشـؤون المنـزل وتحضـيرات البيـت والطعـام، وكانـت تفـرح كثـيرًا بعلاقتـي بوالـدي وأحيانًـا تشـعر بالغـيرة منـه وتمازحنـي أني أحبـه أكثـر منهـا فكنـت أخـرج وأتنـزه معـه كصديقـين في نفـس العمـر، ولكـن فجـأة تعـب أبي بـدون سـابق إنـذار ولم أصـدق أنـه مـرض كيـف لكتلـة النشـاط والطاقـة التـي كانـت تتمثـل في أبي أن تهـدأ وتمـرض؛ فرؤيتـه وهـو سـاكن ومريـض تمـزق قلبـي وتشـعرني بالعجـز والخـوف؛ فـماذا أفعـل في موقـف كهـذا ومـا هـي إلا أيـام قليلـة وقـد رحـل أبي فلـم أسـتطع إدراك

الموقف وكذلك لم أصدقه كيف يموت ويرحل عني كيف أشعر بالأمان الآن في غير وجوده وهو الذي طالما رعاني رأيت الحزن في عيني أمي والأهل والأصدقاء؛ فأنكرته تمامًا ولم يدركه عقلي لماذا يبكي هؤلاء وما سبب وجودهم في بيتنا وما الذي آخر أبي عن موعده الذي يأتي فيه كل يوم وعن موعد خروجنا للتنزه الأسبوعي كيف له أن ينسى، وكيف له أن يتأخر عني أنا وأنا أميرته الصغيرة، وما هي إلا أيام قليلة وكانت هذه أول زيارة لي إلى المشفى وأول مرة أقابل دكتورة ليلى وأنا عندي ست عشرة سنة.

وبعد عدة جلسات مع دكتورتي أدركت أن والدي قد رحل وبعد الإنكار العقلي الذي كنت فيه الذي كان يستغربه الناس فالناس حزينة وتبكى وأنا أضحك وأتكلم مع أصدقائي وأضحك وأشاهد التلفاز وأستغرب ما يفعلونه، وخاصة أمي التي تبكي عندما أدركت أنه رحل أصيبت بصدمة عصبية فقدت معها قدرتي على النطق ورغبتي في التحدث مع الناس. وبدأت في جلسات ومواعيد جديدة مع دكتورة ليلى لوضع خطة علاج جديدة تتضمن جلسات من العلاج النفسي والسلوكي لكي استطيع أن أقف على قدمي وأتعامل مع الحياة لا أجزم أن رحلة العلاج هذه كانت سهلة بالنسبة لي بل على العكس تمامًا فكنت رافضة التأقلم مع هذا الوضع رافضة عدم وجود أبي حتى أمي كنت أشعر أحيانًا بأفكار تجاهها بأنها لم تقدر أبي

وأحيانًا بأنها سرعان ما تعافت وكانها نسيت أبي واحيانا شعور بالغيرة عليها من ارتباطها بأحد آخر غير أبي، وعلى الرغم من إزعاجي لها وانتكاساتى الكثيرة إلا أنها ثابرت معي مثابرة كبيرة بل إنها كرست حياتها لي وصبرت على أفكاري المرضية واكتئابي ولخبطة من المشاعر والوسواس فترة المراهقة هذه، وحاولت معي كثيرًا لاستعادة نشاطي وتفوُّقي الدراسي فبدأت أشعر بالحياة تدب فيَّ من جديد فأصبحت متابعتي مع دكتورة ليلى متباعدة جلسات متباعدة للاطمئنان على حالتي؛ فأصبحتُ أتعامل معها كصديقه لي وألاحظ الحالات المنتظرة لها وكيف أنها تدخل في حال وتخرج بحال أفضل وأكثر اطمئنان فشعرت أنها المهنة التي تناسب شخصيتي وقررت أن أكون طبيبة نفسية، فتذكرت أمي صاحبة الفضل بعد الله في رحلتي الطويلة وأبي سبب وجودي هنا ولولاهما ما كنت أقف طبيبة الآن في هذه المشفى فدعوت لهما رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا واستعنت بالله وبدأت يومي، وفتحت الملف الذي أعطتني إياه دكتورة ليلى فإذا بها مكتوب جلسة شفاء جماعي الأسماء منال ٥٥ عامًا. نادية ٤٢ عامًا. أسماء ٢٠ عامًا. منى ٣٠ عامًا؛ فتعجبت من اسم الجلسة فدخلت إلى قاعة الجلسة وأنا أستعين بالله وأدعو في سري دعاء الاستخارة حتى ييسر الله لي قولي معهم. سلمت عليهم وطلبت منهن أن يقمن بتعريف أنفسهن فابتدأت منال وقالت أنا أكبركم سنًّا فأبدأ أنا أولًا؛ فضحكن وقلت لها تفضلي. وقبل

أن تتكلـم منـال لاحظـت جمالها الأخـاذ فـلا يمكـن أن يعطيهـا أحـد هـذا العمـر وذلـك بفضـل اهتمامهـا بنفسـها وكانـت ترتـدي ملابـس غاليـة ومجوهـرات أيضًـا ممـا يـدل عـلى قدرتهـا الماديـة فقالـت أنـا منـال ٥٥ عامًـا أم لأربعـة أبنـاء، ولـدان وبنتـان منهـم ولـد وبنـت لسـه متزوجـين حديثًـا وولـد وبنـت في المدرسـة زوجـة لتاجـر غنـي كثـيرًا، تحملـت معـه الكثـير في صغرنـا فمـن ينظـر الآن لي لا يـراني أيـام شـبابنا، كنـت أكافـح معـه وأتحمـل شُـحّ العيـش؛ فكانـت أمـه تسـكن معنـا فأقـوم بخدمتهـا كأمـي وأتحمـل الأولاد وأتركـه هـو لكسـب العيـش. تحملـت معـه الإهانـة وخدمـة أمـه وأهلـه وكنـت لا أنطـق إلى أن فتـح الله عليـه مـن أبـواب الـرزق أوسـعها؛ فبـدأ يبعـد عنـي وبـدأت أشـعر بحـس المـرأة الـذي بداخـلي أنـه يتغـير، وكل مـا يحـدث ذلـك أنـزل أشـتري أحـدث الصيحـات مـن الملابـس والإكسسـورات حتـى الشـعر ألونـه عـلى أحـدث موديـل عـلى الرغـم مـن التزامـي بالحجـاب الشرعـي خـارج البيـت فكنـت في سـباق معـه كلـما ازداد بُعـدًا ازدت أنـا إصرارًا عـلى الـشراء التزيـن إلى أن جـاءت الطامـة الكـبرى عندمـا فاتحنـي في رغبتـه بالـزواج مـن أي بنـت عشرينيـة لم يسـبق لهـا الـزواج أختارهـا أنـا حتـى لا أتضايـق

بنـت تـكاد تكـون أصغـر مـن أبنائـه الكبـار الذيـن تزوجـوا حديثًـا. انهـرت بعـد ثلاثـين عامًـا مـن الـزواج والتضحيـة والآسـية، النسـاء في مثـل عمـري يجنـون ثمـرة كفاحِهـم مـع شركائهـم ويفرحـون بأبنائهـم وأحفادهـم وأنـا أعـاني وأكافـح مـن جديـد حتـى

أحافظ على بيتي وأولادي. وافقت على مضض وهو وعدني أن يشركني ويُعلمني بكافة التفاصيل ولا يقدم على شيء من ورائي وإذا به بعد يومين يحكي لي تفاصيل رؤيته لعروس، وكيف كان يشعر بالإحراج من هذا اللقاء؛ فانهرت تمامًا وأنا أخفي على أولادي أن أباهم يريد أن يتزوج مَن هي في مثل عمرهم؛ فهمهم الحضور حبيبتي إنتي شايلة حمل جبال. سألتها أين أنتِ من هذه القصة؟ قالت مللت كل شيء وزهدت في الصيحات والموضة زهقت من البحث عنه، أريد أن أشعر بالأمان والطمأنينة التي لم أشعر بها من قبل. سألتها ومتى تشعرين بها؛ فقالت وسط أولادي. فقالت لها منى إذًا اسعدي بإنجازاتك اسعدي مع أولادك وأحفادك، وتوقفي عن البحث عنه؛ فهو الذي سوف يبحث عنك، ثم قالت نادية مش كده بس ارفضي أن يشاركك هذا الموضوع فأنتِ لا تريدين معرفة نزواته فوافقت على هذه الاقتراحات ثم سكتت منال وابتدأت نادية بالكلام: أنا نادية ٤٢ عامًا، أمٌ لطفلين وابنة وزوجة، ابنة لعائلة قهرتني؛ فأنا كنت الطفلة الثانية لأهلي وأبي وأمي أقارب من عائلة صعيدية لا يحبون خلفة البنات فرزقهم الله بأختي الكبيرة وحتى يتناسوا ما حدث حملت أمي سريعًا حتى تأتي بالولد ولكن الصدمة أتت عندما جئت أنا فرفضتني وأعطتني لجدتي وخالتي كي تهتما بي بحجة أنها لا تقدر على تربيتي أنا وأختي والفارق بينا صغير، وأنا كنت مزعجة لها فكنت شقية ومتطلبة عاطفيًّا أريد منها أن

تحضنـي كثـيرًا وأن أتكلـم معهـا كثيرًا ومـن الحنـان كثـيرًا وهـي تـرى أن حقوقـي أن آكل وأدرس فقـط، فطفلـة شـقية تتكلـم عـن العاطفـة والحـب تتوسـم فيهـا أن تجلـب لهـا العـار وزاد هـذا الموقـف بعـد أن رزقـت أمـي بعدهـا بولديـن فأصبحـت أنـا الهاجـس لهـا فأختـي هادئـة تمامًـا تسـمع كلام أمـي ولا تعارضهـا وإخـوتي الأولاد لهـم الحـق في فعـل كل شيء، وأنـا بالنسـبة لهـا مزعجـة فأصبحـت أقـضي الوقـت في بيـت جـدتي أكثـر مـن بيـت أمـي ثـم أحببـت زميـلًا لي بالجامعـة وأعجبـت بـه وطلبـت منـه أن يتقـدم لخطبتـي، ولكنهـا كالعـادة ترفـض بسـبب أن أختـي الكبـيرة لم تتـزوج وأنـه ليـس عنـده المقـدرة الماديـة للـزواج فبـدأت مـن هنـا أولى عثـراتي. أخـذت فـترة إلى أن وقفـت عـلى قدمـي.

ثـم تقـدَّم لي شـخص مـن طـرف الأهـل بعـد زواج أختـي فوافقـت عليـه أمـي، أمـا أنـا فلـم أشـعر بـشيء غـير رغبتـي في البعـد عـن بيـت أهـلي. وبعـد الـزواج السريـع اكتشـفت بخلـه في كل شيء؛ المـال والعاطفـة؛ فهنـا أصيبـت بالضربـة القاضيـة فنسـيت متـى وقفـت عـلى قدمـي مـرة أخـرى تقوقعـت عـلى نفسـي. أصبحـت أخـاف مـن كل شيء حتـى النـزول لوحـدي لا أقـدر عليـه؛ فسـألتها ومَـن أتـى بـك إلى هنـا؛ فقالـت أصررت عـلى القـدوم مـع عـدم رغبـة أهـلي فهـم لا يعترفـون بهـذا النـوع مـن الطـب إذا أنـت أصررت عـلى البقاء والاسـتمرار في الحيـاة ومسـاعدة نفسـك لأول مـرة تثـوري لنفسـك ووجـدت همهمـة في الجلسـة سـنكون أصحابـك في رحلـة الوقـوف.

سنخرج جميعًا حتى تعتادي الخروج لوحدك فابتسمت لأول مرة من بداية الجلسة فنظرت إلى أسماء كي تبدأ وتعرفنا بنفسها فقالت أنا أسماء عندي ٢٠ سنة ابنة لأم وأب منفصلين، عشت حياة غير مستقرة مع أبي وأمي لا يمر يومٌ من غير خلافاتٍ حتى وصل بهم الحال إلى طرق مسدودة فقررا الانفصال غير مهتمين بوجودي؛ فأبي قرر السفر للعمل بالخارج ولا يستطيع أن يتحمل مسؤوليتي فتركني لأمي التي قررت الزواج ممن هو أصغر منه ومنها وهو مدرب الجيم التي تمارس فيه رياضتها ومن غير أن تأخذ رأيي تزوجت فلجأت إلى أبي الذي انفعل وقال لي إذا أردتِ الذهاب للعيش مع جدتك اذهبي واعتذر لي لانشغاله في عمله ووعدني أنه سيعاود الاتصال مرة أخرى ليرى ماذا قررت ولم تكن علاقتي بجدتي جيدة فهي تكرة أمي ولا تعاملني حسنًا؛ فقررت البقاء مع أمي وأنا مستاءة؛ فهي تمارس دور العروس باستفزاز واستطاع زوجها السيطرة عليها تمامًا فيكاد يمر اليوم دون الخروج من غرفتي ثم بدا زوج أمي بالتودُّد لي فاعتبرتها أمي لفتة جميلة منه لتعويض دور أبي ولكن شعوري مختلف أشعر بالاستغراب من تصرفاته وإذا به يومًا يتحرش بي فذهبت مسرعة إلى أمي لأخبرها بما حدث فإذا بها تقول إني أدعي عليه وأكيد أن أبي هو الذي حرضني وأني غيرانة من سعادتها. انهرت من تصرفها ولم أعرف ماذا أفعل فليس لي أحد يرعانى غيرها ورغم من ذلك خرجت منهارة وخائفة ولم

أجد مكان أذهب إليه غير جدتي فلما رأتني منهارة احتضنتني أول مرة أشعر بالاطمئنان من فترة فحكيت لها ماحدث معي؛ فقالت لي قبل أن أطلب منها ستعشين معي، واتصلت بأبي وأمي وقالت لهم إن أسماء ستعيش معي لأنكما لا تستحقانها أول مرة أرى جدتي بذلك الحزم والحنان فعوضتني عما فقدته مع والدي؛ فلم أكن أعرفها كثيرًا بحكم توتر العلاقةبينها وبين أمي، ولكن حادثة التحرش أثرت على علاقتي بالناس فأصيبت بالشك في الجميع حتى زملائي فجاءت بي جدتي إلى هنا كي أتعالج فسألتها واتعالجتي قالتلي شعرت بالتحسن. فردت منال إنتي أقوى بنت أنا شُفتها، إنتي قدِرتي تقفى قُدَّام أي شخص حاول يؤذيكِ فصفق لها الجميع واحتضنوها فقالت منى بعد ما سمعت في هذه الجلسة المشاكل الزوجية التي أمر بها من بعض التحكمات والأنانية لا تعتبر شيئًا؛ فزوجي رغم خنقتي منه إلا أنه طيب يحبني ويحب أولاده كثيرًا ويريدني دايمًا راضية وسعيدة اللهم لك الحمد سكت ثم شكرتهم على هذه الجلسة وقولتلهم أقابلكم بعد ثلاثة شهور كأصدقاء لنطمئن على بعض وتركتهم يأخذون أرقام بعض ويتواعدون على الخروج وعمل جروب على الواتس يدعمون بعض فيه، وأدركت ساعتها لماذا سمتها دكتورة ليلى جلسة الشفاء الجماعي؛ فهى تقدم من الدعم والمؤازة ما يحتاجه أي إنسان كي يقف على قدميه. ما أقوى الأنثى في عصرنا هذا فكلنا أصبحنا مريم.

***

أجندته الخاصة

يقلم/ سناء السمان

هـو كان الرجـل الأول في حيـاتي يعـرف ذلـك جيـدًا وبالرغـم مـن ذلـك طلـب مني أن يكـون الأخـير وأن أنسـى مَـن أعرفهـم أصدقـاء أو أقـارب مـن الرجـال لأجلـه كـما حدثنـي أننـي لا بُـدَّ وأن أتـرك عمـلي وأنهـي علاقتـي بالعـالم الخارجـي.. وقـد كان مـا أراد؛ لأنني كنت أحبه حقًّـا، كنت أتمنى أن أرضيه فلم أرَ منه يومًـا إساءة أبـدًا ولم يعطنـي إلا أجمـل المشـاعر عـلى مَـرّ سـنة كاملـة هـي عمـر زواجنـا، كـما أن الجميع كان يحسـدني عليـه وعـلى خلقـه وسـمعته الطيبـة هـو الوحيـد التـي ارتضتـه زوجًـا بعـد أن رفضـت الكثيريـن، ولم أكـن أعـرف أنـه قـد سبق وتقـدم للـزواج مـن ابنـة خالتـي مـن قبـل فرفضتـه ولم يكـن يعنـي ذلـك كثـيرًا لي فقـد عرفـت أنـه رآهـا فقـط ولم يتحـدث معهـا مـن قبـل، ولم تكـن بينهـما أي علاقـة أبـدًا، أعرفـه ويعرفـه الجميـع بأنـه لا يتحدث كثـيرًا ولا يتدخـل في أي أمـورٍ لا تعنيـه ويحبونـه ويرونـه شـابًا مثاليًّـا، فهـو رجـلٌ وسـيم يافـع الجسـد طويـل القامـة جميـع مـن يسـكن الشـارع يعـرف عندمـا يخـرج

من منزلـه أو بالأحرى أنهـم يشمون رائحـة عطـره التـي تملأ المكان حتى تـترك أثـرًا طويـلًا لمـروره، معروف أنـه يجذب الأنظـار في كل وقـت ومكان، يسمونه صاحـب القلـب الأبيض، كما أنـه موظـف في أحـد البنـوك المرموقـة، ويملـك سـيارة فاخـرة ونملـك مسـكنًا منفصـلًا فاخـرًا بعيـدًا عـن بيت أبيـه فليس لديـه إخـوة ولم يـرَ يومًـا أحـدٌ لـه أمًـا منـذ أن أتـى والـده بـه في ذلـك الحـي، وقـد قـال أبـوه إن أمـه قـد توفـت عنـد ولادتـه، لكنـه هـو وحـده يعـرف وشـاهد مـا حـدث، حكـى لي ذلـك يومًـا وهـو يميل عـلى صـدري ويبكـي ويقـول إنهـا المـرة الأولى التـي يستطيع أن يخـرج سرّه لأحـد، يتذكـر كل شيء فلـم تفارقـه الصـورة أبـدًا ولم يجرؤ أن يتكلـم يومًـا مـع أبيـه عـن تلـك الليلـة عندمـا لطخـت الدمـاء يـدَ أبيـه، رآه يأخـذ سـكينًا وينتظـر أمـه خلـف بـاب الغرفـة ورآهـا وقـد امتـلأ المـكان حولهـا بالدمـاء، يتذكـر الرجـل الـذي تشـاجر معـه والـده ليـلًا ولم يتركـه إلا عندمـا أمسـك السـكين وزرعـه في أحشـائه، يتذكـر بيتـه البعيـد بـين الأشـجار عـلى امتـداد النيـل كان أمامـه شريـط القطـر الـذي كان يسـتيقظ عـلى صوتـه صباحًـا، يـدرك أنهـم تركـوا البيـت وانقطعـوا تمامًـا عـن كل مـا يربطهـم بالمـاضي حتـى أهلـه، يعـرف أمـه؛ فقـد رآهـا وكان يسـمع كلامهـا فينـام مبكـرًا كـي لا يـرى أمنـا الغولـة كـما كانـت تقـول لـه؛ ففـي الثامنـة مسـاء كانـت تعطيـه الـدواء وتصحبـه إلى غرفتـه وتنـذره بـألا يفتـح البـاب إلى الصبـاح حتـى تختفـي أمنـا الغولـة التـي تظهـر ليـلًا فقـط. دائـمًا مـا كان يسـألها لمـاذا يأخـذ دواء

منذ شهورٍ وبأي علة هو مريض فتجاوبه أن هذا مجرد فيتامين وصفه لك دكتور حازم يقوي الجسم وينشطه. رأى أبوه الدواء يومًا فسأله عنه فأخبره ما قالت أمه فخرج أبوه مسرعًا يحادث عمه بصوت هامس ويخبره أنه قد وجد دواء مخدرًا في غرفته، وأن شكوكه قد تأكدت وأصبح يعرف أنه دكتور حازم، أصبح يكرهها برغم اشتياقه لضمة صدرها، يكره جميع النساء لأجلها، هكذا أخبرني.

لم أكن أعرف أنني في صباح يومًا ما سأجد مفتاحًا ملقى على السرير تحت الوسادة التي ينام عليها زوجي، إنه المفتاح الذي لم يفارقه أبدًا هو مفتاح درج مكتبه الذي يحمل أجندته الخاصة كاتمة أسراره عندما يشرد. أخذت المفتاح وبدأت أقرأ فيما يكتب أنه يصف إحساسه معي في كل لحظة، وهو يشعر أنه يعيشه معها، أنه يصف ملامحها بدلًا مني، يعيش معها على سريري وفي جسدي، يحبها بجنون، أنه يتمنى لو يقتلها ويقتلني ويقتل معها ضعفه أمامها، يتمنى لو... لم أستطع أن أكمل، إنها هي ابنة خالتي، نعم هذا ما كتب، تركت الدفتر وجسدي يرتعش وقواي تكاد أن تخور وتركت المنزل وتركت له أوراقَه فوق المكتب وذهبت لا أدري إلى أين، وجدته يتصل بي بعد وقت قليلٍ وهو يبكي يرجوني أن أعود، يتوسل لي أن أسمعه ثم يتركني أنصرف كما أشاء يحلفني بكل ما هو غالٍ لدي أن

تكـون المـرة الأخـيرة التـي أراه إذا قـررت ذلـك، عـدت إلى المنـزل ودخلـت أبحـث عنـه فلـم أجـده ولكنـي وجـدت ضلـه وبـاب غرفتنـا مفتـوح قليـلًا.

***

سألقاه غدًا

بقلم/ سناء السمان

الملل صديقي الوحيد منذ أن أنهيت دراستي الجامعية، أبحث عن عمل دومًا عبر الإنترنت، لا أخرج الشارع إلا في أضيق الحدود لم أعتد على الاختلاط كثيرًا بمن حولي، بيتنا مليئًا بالصراعات اليومية بين أبي وأمي على تكاليف الحياة، وأهم هذه الصراعات الشهرية التي اعتدنا عليها أنا وأخي الوحيد هو خلافهم على باقة النت التي تنتهي قبل انتهاء الشهر، فقد حفظنا الحوار تمامًا.

أبي: دنيا، قولتلك مليون مرة تشوفي صرفة في موضوع النت ده وتبطلي تكلمي أصحابك عليه بالساعات وانتي واقفة في المطبخ أنا زهقت هو أنا عمري ما هعرف أشتغل في البيت ده أبدًا.

أمي: يعني أنا طول اليوم بين أربع حيطان وكمان مستعملش النت ولا أكلم حد، أنا قولتلك نغير باقة الإنترنت.

أبي: إحنا غيرناها السنة دي أربع مرات ومفيش فايدة، إنتي وولادك أربعة وعشرين ساعة على النت .

حوار لا ينتهي إلا بعد أن يترك أبي البيت ويخرج وتغلق أمي باب غرفتها عليها، أما أنا وأخي فنكمل وتيرة حياتنا كما نحن كل منا يجلس أمامه هاتفه أو جهاز الحاسب الخاص به، جميع أيامنا متشابهة، وكل منَّا له عالمه الذي لا يعرفه أحد عبر الإنترنت، في إحدى المرات خرج أخي وترك حاسبه مفتوحًا؛ فوجدت أحدًا ما يتصل به على أحد المواقع المخصصة للمحادثات. فتحت الجهاز وتصفحته لأجده مليئًا بالسيدات منهم من تحدثه صديقه ومنهم من تغازله، ومنهم المنحلّة والخلوقة. تذكرت أنني لم يعد لي أحدٌ قط فصديقتي الوحيدة المقربة خارج البلاد منذ شهور لم نراسل بعضنا البعض وأنا لم أجرب يومًا أن أجد لها بديلًا يؤنس وحدتي، أعرف أنني ربما سأتخبط كثيرًا إن دخلت ذلك العالم، ولكنني قررت أن أجرب دون أن أسيء إلى نفسي أبدًا. قررت أن أدخل ذلك العالم، ذهبت إلى غرفتي وفتحت حاسوبي ودخلت على أحد المواقع التي سيتيح لي التحدث دون معلومات عني ووجدت العديد يرسل لي طلب صداقة من الرجال والسيدات، وبدأت أقبلهم وأتحدث إلى العديد منهم، كان من ضمنهم رجل اعتدنا أن نتحدث بشكل يومي قال إن عمره خمسة وأربعون عامًا، وأنه متزوج ولديه أبناء، ولديه العديد من المشاكل مع زوجته، يكاد يكون منفصلًا تمامًا عنها إلا أن ظروف حياته لا

تسمح بالانفصال الرسمي وأخبرني العديد من الأشياء عن حياته وأخبرته بعض الأشياء القليلة عني، وكنت قد اعتدت أن يحدثني. أنتظر الحديث معه بفارغ الصبر، اعتدت وجوده لدي واعتاد أن يقول لي «وحشتيني»، طلب مني مرات عديدة أن يراني أو يرى صورة لي، ولكنني كنت أرفض، مر شهران ونحن نتحدث يوميًّا وأصبحت أتمنى أن أراه أكثر مما يتمنى هو، أخذت قراري أن أنتهز الفرصة التالية لطلبه وأوافق دون تردد، انتظرت طلبه بفارغ الصبر. وعندما جاءتني الفرصة وأخبرني أن نلتقي في اليوم التالي صارحته بأنني أنا الأخرى أصبحت أريد لقاءه؛ فعليه أن يحدد الوقت والمكان، نعم يشعر كلٌّ منا بتلك المشاعر التي صارحنا بها بعضنا البعض، أخبرني ذات يوم أنه يحبني وأخبرته بأنني أشعر بالخوف من علاقتنا فوالداي سوف يرفضان ارتباطنا تمامًا والآن أنا أعرف أنني أحبه حقًّا. حددنا الميعاد في اليوم التالي، نعم سألقاه غدًا. ذهبت إلى والدتي أخبرها أنني سأخرج غدًا للقاء إحدى صديقاتي فلم تمانع، وأخبرتني أن والدي أيضًا لديه اجتماع عمل وعليَّ أن أعود قبله، دخلت غرفتي أستعد للقائي الذي أتمناه، أقلّب في ملابسي وأفكر ماذا سأرتدي وأي الألوان يحبها. أخبرني أنه يحب اللون الأزرق لا بُدَّ وأن يراني به في اللقاء الأول، وبدأت أنتظر أن تمر الساعات كي ألقاه.

فتحت الهاتف وأرسلت له: أرسل لي صورتك كي أعرفك عندما ألقاك .

أخـبرني سـتعرفينني دون صـورتي وسـأعرفك بإحسـاسي بـك، ولكننـي أخـبرك أننـي سـأرتدي قميصًـا باللـون الأبيـض وبنطـالًا باللـون الأزرق .

في اليـوم التـالي كنـت قـد وصلـت قبـل موعدنـا للمـكان الـذي سـأنتظره بـه، أردت أن أصـل قبلـه كـي أعـرف هـل سيعرفني حقًّـا، جلسـت في مقربـة مـن بـاب المطعـم أتطلـع في هاتفـي وأنتظـر كل مـن يدخـل المـكان، وجدتـه يدخـل ويرتـدي مـا وصـف لي، ورفعـت عينـاي بلهفـه لأرى والـدي يقـف أمامـي وعينـاه دامعتـان .

***

غرفة ٧

بقلم/ سناء السمان

في الصباح الباكر خرج حسن صغير أسرة أحمد من الغرفة التي يسكن فيها والمصنوعة من القش وبعض من الصاج المستهلك، كعادته كان متوجهًا إلى مدرسته، وسرعان ما عاد يطرق الباب لتفتح له أمه:

«في حاجة يا حبيبي؟»

وبراءته المعتادة وكلماته التلقائية أجابها

ماما أنا لو جبت النهارده الدرجه النهائية هتديني جنيه كامل زي ما وعدتيني.

آه بس روح بسرعة على المدرسة هتتأخر وكده مش هديلك حاجة.

أغلقت خلفه الباب وهي تفكر في الوعد الذي لا بُدَّ أن تفي به، ما دهاني أن أعده ذلك وإخوته سيطالبونني بأن أعطيهم مثله خصوصًا أنه الأصغر كيف لي أن أتحمل أعباء هذه الحياة وحدي وأن أوفي بطلبات المدارس ولقمة العيش. توكلت عليك يارب

هكذا أنهت صراعها الداخلي مع نفسها لتفتح الباب وتنصرف إلى بداية يوم شاق لم ينقطع ذهنها عن التفكير في أحوال أطفالها تحلم باليوم الذي سينتهي كبيرهم من الثانوية العامة ليعاونها في مسؤولية إخوته، ولكنها تتذكر سريعًا أن هناك المزيد من السنوات بعد؛ فكبيرهم مازال في الإعدادية، كثيرًا ما تدمع عيناها من الجوع بالرغم من تظاهرها بالشبع أمام أطفالها، وعندما ترى ابنيها الكبيرين يحاولان أن يأكلا ما قد يفي بالكاد باحتياجهما اليومي ويتظاهران مثلها بالشبع ليوفرا باقي الوجبة اليومية لأصغرهم سنا، يفصلها التفكير دائمًا عن ذلك العالم الخارجي المحيط بها فتصبح كالآلة المعتادة على روتين العمل تعمل بكل قوتها وكامل طاقتها وعقلها دائمًا مُعلَّق مع فلذات اكبادها لا تعلم من يمر بها ويرمي عليها السلام، اعتادت على أن ترد دون أن ترفع رأسها اعتادت أن لا تنتبه ولا تشترك كزميلاتها لتلك الثرثرات النسائية؛ فلا وقت لديها لذلك فهي عائل الأسرة منذ وفاة زوجها، على غير المعتاد انتبهت لما يحدث حولها فهو مثير للانتباه أن ترى من يركضون حولها باتجاه البندر من ما أثار بداخلها الرهبة ليجعلها تركض خلفهم وهي تحادث الجميع ماذا يحدث، طمئنوني. ليجاوبها أحدهم: الولاد كلهم في مدارس القرية بيحولوهم مستشفى البندر، روحي اطمني على ولادك، ترتطم رجلها وتسقط ويتهاوى جسدها على الأرض، تتسارع الدماء من كف قدمها ماذا أصابها لا تعلم، ولم تفكر

في جرحها، ترتفع سريعًا وترفع جلبابها الطويل وتمسكه تحت إبطها وتكمل خطاها وكأن لم يصبها شيء، في الطريق إلى المدرسة يعلو صوتها «يا رب».. وقبل خطوات توقفها المعلمة وتخبرها أن أطفالها تم تحويلهم إلى مستشفى البندر؛ فالجميع أصيب بحالة تسمُّم غيرت وجهتها عدوًا إلى المشفى، تقابلها جارتها على الباب ولادك في غرفة خمسة كلهم ما عدا حسن في سابعة تحت الملاحظة عشان تعبان شوية، تنظر إلى أرقام الغرف فتجد غرفة خمسة وترى أمامها أول سرير ينام عليه محمد.

بقية اخواتك فين؟

كلنا كويسين يا ماما بس مش راضين يدخّلونا عند حسن وقالوا لنا أول ماتيجي تدخلي للدكتور بسرعة

على باب غرفة سبعة يقابلها الممرض ابنك اسمه إيه؟

حسن..

آه ابنك تعب وإحنا بنعمله غسيل معدة والدكتور هينقله دم ادخلي اطمني عليه بسرعة وتعالي أشوف فصيلة دمك عشان مش لاقين فصيلته.

دخلت الغرفة وجدت حسن ممددًا على إحدى الأسِرّة مغشيًا عليه. خرجت تطلب مقابلة الدكتور ليفاجئها بكلماته الصادمة ابنك حالته مش مستقرة هنحطله محاليل ولازم يتنقله دم، روحي عند فضل التمرجي وخليه يعملك تحليل فصيلة.

«حاضر يا دكتور»

عندما وجدت فضل أخذ يدها ليسحب منها العينة في الممر وسط الطريق فلا مكان أن تجلس، ثبت ذراعها على طاولة الاستقبال يسحب أنبوب العينة تنظر حولها لترى كل الغرف مليئة فكل سرير يرقد عليه أكثر من طفل.

يقطعهم الدكتور: خلاص يا فضل ماتاخدش العينة تعالي.

تهرول باتجاهه: إيه يا دكتور؟

بصي يا أم حسن..

الأطفال كلها في كل المدارس اتسممت من وجبة المدرسة، في أطفال خلصوها وتعبتهم فوصلوا المستشفى حالتهم صعبة، إحنا عملنا اللي علينا بس إنتي لازم ترضي بقضاء ربنا إنه ولادك الباقين بخير.

وحسن تقولها وصوتها بالكاد يسمع تريد أن ينكر ما فهمت تترجاه أن يخبرها بغير ما يلمح تتركه وتهرول باتجاه الغرفة تقطعها عربة الترولي التي تحمل حسن لإخلاء السرير لغيره.

حسن مغطى بالكامل، عيناها المملوءتين بالدموع عرفتا جسده النحيل.

رفعت الغطاء من على وجهه ينفطر قلبها تصرخ.

قوم يا حسن، أنا هشتغل الصبح وبالليل وهديلك الجنيه كامل وتردد مرة أخرى يارب.

***

مخاوف امرأة

بقلم/ سناء السمان

أقف أمام المرآة ألقي بشعري خلف ظهري وكأنني أحرره من أسْرِه، أنظر لنفسي أتساءل كيف أصبحت على هذا الحال وكأنني أبلغ من العمر أرذله، الشعر الأبيض بدا في مقدمة رأسي وأسناني أصبحت صفراء وملابسي لماذا أصبحت غير مهندمة، وزني زاد كثيرًا حتى تغيَّر شكل جسمي تمامًا، قد تتغير فينا أشياء بحُكْم السن، ولكن كيف وأنا لم أتخطَّ الخامسة والثلاثين إلا منذ أيامٍ قليلة، أتذكرني في الماضي قبل ثماني سنوات عندما كان شعري منسدلًا، لونه أسود لامع، مصطف وكأنه يعرف مكانه وكأن مصفف لم يترك يده منه بعد، وملابسي التي كانت دائمًا تحاكي خطوط الموضة رغم بساطتها وحذائي ذو الكعب العالي الذي يسمعه من حولي، فجسدي كان يماثل قوام عارضات الأزياء، لم يتبقَّ مني شيء غير عينيَّ اللتين تحملان لون السماء ولكنها لم تعد صافية مثلها، كانت تجذب الكثير حولي ولكنها لم تعد تعني أحد، تغير كل شيء منذ وفاة

والـدي، تغـيرت كثـيرًا منـذ أصبحـت المسـؤولة الأولى عـن أسرتي؛ فإخـوتي أصغـر منـي سـنًّا، وأمـي قـد أصابهـا داء السـكري فنـال مـن قدميهـا سريعًـا. الأمـور المادية أصبحـت عـلى غـير العـادة؛ فدخلنـا مـن معـاش والـدي وعمـلي يكفينـا بالـكاد، لا يؤلمنـي التغيـير المـادي بقـدر مـا يؤلمنـي أننـي أُعطـي الجميـع الحُـبَّ والاهتـمام ولا أجدهـم لـدى أحـدٍ، يؤلمنـي كثـيرًا عندمـا أفكـر أن الفتيـات حـولي مـن العائلـة والجـيران جميعهـم تزوجـوا إناثًـا ورجـالًا حتـى مـن هُـم أصغـر منـي سـنا بكثـير، بـل مـن كنـت أحملهـم وهـم صغـار، ومنهـم مـن أنجـب فأصبحـت أحمـل أطفالـه، لا زلـت أتذكـر عندمـا كنـت في العشريـن وكان جميـع الجـيران حولنـا تتسـابق للقـاء أبي كـي يطلبـوني للـزواج بأبنائهـم فيجاوبهـم بأنـه يريـدني أن أكمـل تعليمـي، والآن فقـد أصبحـت أحتـاج أن أسـمع كلـمات غـزل أو أجـد رجـلًا يمرقنـي بنظـرة عابـرة تشـعرني أننـي مـا زلـت أنثـى مرغوبـة، حتـى إننـي أصبحـت أفتـح البـاب لعامـل النظافـة دون حجـاب لأدعـه ينظـر لي نظـرة تشـبع رغبتـي وتسـد شـيئًا مـن حاجتـي وكذلـك أقـف في النافـذة فأقـضي وقتـي فيهـا إن كنـت بالمنـزل لـيراني الجـيران أننـي مـا زلـت أنثـى، أصبحـت أركـب عربـة المـترو المختلطـة عنـد عـودتي مـن العمـل عـن قصـد لـيراني الرجـال أكثـر علنـي ألفـت نظـر أحدهـم بالرغـم مـن شـعوري بالخـوف الشـديد لذلـك، أعـرف أننـي أهملـت نفـسي ولم أعـد أعتنـي بهـا إلى أن فقـدت إحسـاسي بأنوثتـي، ولكننـي لم أكـن أملـك شـيئًا مـن وقتـي ولم أسـتطع الاعتنـاء بي فقـد

كنت أسلط طاقتي كلها في رعاية إخوتي، وأعرف أنني أعاني من الوزن الزائد ولا أستطيع أن أفقده؛ فأنا آكل بشراهة ليلًا دون جوعٍ، أسهر ليلًا أناجي الله أن يعوضني عن أيامي التي مرت سريعًا دون أن أشعر بها، أعود إلى المنزل في كل يوم لأعاني وحدي عدم القدرة على النوم، إلى أن تمتلئ وسادتي بالدموع ففي سكون الليل دائمًا ما تراودني مواقف وكلمات مختلفة تؤلمني، يؤلمني إن رآني أحدهم وأنا أحمل ابنة أختي أو ابن أخي فيدعون لي (ربنا يخليهم لك، يا مدام، يا حاجة، عقبالك)، كما تراودني صورة أحد الشباب الذي دعاني يومًا لأجلس مكانه في عربة المترو قائلًا: تفضلي يا أمي.

***

ليالي الشتاء

بقلم/ سناء السمان

أجلس على الأرض بمحاذاة الحاجز الحديدي المقارب لمفرق كوبري قصر النيل الليلة ليلة شتوية جدًّا، الأمطار تهبط بغزارة منذ الصباح، أنظر إلى ملابسي المهلهلة القليلة أصبحت مبللة بالكامل فالأمطار كادت تخترق جسدي النحيل، السيارات التي تمر أمامي غير عابئة بوجودي تلاحقني بمزيد من مياه الأمطار التي تأخذها بين عجلاتها المسرعة عابثة بها على وجهي وجسدي، الليل قاسٍ لدي لا أرى فيه غير الماء والبرد القارص الذي يجعلني محنيًا طوال الوقت، أحتضن قدماي أمامي لتسترني بعض الشيء من لفحات الهواء، تذكرني الليالي الشتوية تلك بالليلة التي فارقة أمي فيها الحياة عندما أوشكَتْ أن تلد أخي الصغير وما لبثت ساعات حتى فارقت الحياة بعدما رفضت جميع المستشفيات استقبالها، أتذكرها وهي تتألم وتبكي باحثة عن النجدة كم كانت تشد على ساعدي وتنظر لي لم أنسَ أبدًا تلك النظرة التي كانت تخبرني بها دون كلمات أنني المرة الأخيرة

التي سأتمسك بها لتحتضني، عندما شعرت بالنهاية جذبتني إلى صدرها وضمتني بقوة وكأن أنفاسها تعلقت بهذه الضمة ثم توقف صوت بكائها المسموع وتلاشت أنفاسها وثلج جسدها وارتطم بالحائط خلفنا وتركتني يداها اللتان كانتا تحاوطاني ولم أعلم ما معنى ذلك في ذات الوقت ولم أفهم إلا عندما وجدت الكثير من الناس حولي من صوت صراخي، وجدتني بعدها وحيدًا حتى أخي الذي كان بين أحشائها فقد فقدته مثلها دون أن أراه، في اليوم التالي لوفاتها وجدت رجال شرطة يكبلون يديّ مع يدي أحد العساكر ليصحبني إلا إحدى دور الرعاية لتقابلني أمنا الغولة بحسب ما كانت أمي تصفها لي عندما كانت تخيفني كي لا أبتعد عنها وأنا ألعب هي بنفس الوصف الذي كانت تتلوه عليّ سمراء ترتدي اللون الأسود وطولها يافع وجسدها ضخم وعيناها واسعتان عندما نظرت إليَّ قررت ألا أستسلم لوجودي بين يديها فلجأت لأقرب شباك في الغرفة التي أودعتني إياها وجلست جواره وجدته يطل على الحديقة التي حول المبنى المحاط بالسور قليل الارتفاع وما إن لبثت إلا دقائق وأنا أعبر النافذة ثم السور ركضًا إلى الخارج لأظل في الطريق، إلى تلك اللحظة أراقب البشر وأخدم من يريد أن أمسح له سيارته في الطريق لأجد بعضًا من اللقيمات في نهاية اليوم، ثم أعود ليلًا أجلس بمحاذاة النيل كما كنت أجلس مع أمي أبحث بداخله عن سبيل لي، أنظر حولي، الليل مختلف لدي والنيل يعطيهم

أشياء لا يعطيها لي، تسكن حركتي فيه لتبدأ حركتهم وحفلاتهم الصاخبة وعبثهم، أجدهم أناسًا ثملين وزجاجات خمر تتساقط من بين أياديهم مملوءة بأموال أشخاص أخرى لاهية في لقمة العيش، أراهم من بُعد على متن المركب الضخم السابح في النيل الذي أسمع صوت الموسيقى الصاخبة عليه عن بُعدٍ، ولكنهم لا يرونني ولم يرني أحدٌ بَعد..

***

ملهاش كتالوج

بقلم/ سماح بدر الدين

جلست في مقعدها العالي الذي ينبعث منه صوتُ صرير ظل يعلو ويعلو ليجذب انتباه كل الحاضرين، وأمامها كوب قهوة والذي تحمله معها في كل مكان وظل مسؤول الطعام يمدها بالثلج لتضعه بداخل الكوب مما دفعني للتساؤل ماذا يوجد بهذا الشراب.

قلت أطنش خالص لما أشوف هتقول إيه)

جلست أمل بجوارها تنظر إليها محدقة بعينين يملأهما الانبهار وظلت تحدق في كل تفاصيلها كأنها تريد أن تستمد منا القوة بل وأكثر أرادت أن تمتص هذه القوة وتتوحد معها لتصبحا كيانًا واحدًا.

كانت السيدة في السبعينيات من عمرها ولم يكن لهذا السن عامل مؤثر في شكلها أو شخصيتها المرحة المحبة للحياة؛ لا يوجد دليل على عمرها سوى خبرتها الواسعة وحياة مليئة بالغموض

والأسرار. ظلت تحكي عنها وتسترسل والكل منصت لها رغبة منَّا أن لا نضيع حرفًا مما تقول.

جلست أتأملها وأتعجب من قوتها وقدرتها على جذب الأنظار وزد عليها وعيًا هائلًا وإدراكًا لبواطن الأمور مجرد أن تنظر إليك وتتحدث تقع تحت تأثير تعويذة ما وتنفذ كل ما تقول في الحال سمعًا وطاعة.

سرعان ما لاحظت قلبها الحنون الصافي ورقة مشاعرها ورغبتها في مساعدة كلّ مَن حولها وثقتها الهائلة في قدرتها على تحقيق هذا فمعها لا يوجد مستحيل

سرعان ما تحول نظري إلى أمل فهي تقلدها في المظهر وطريقة الكلام، نفس الضحكة وفي نفس التوقيت، تظل تمتص لتصل لحالة من النشوى.

كانت أمل فتاة غير عادية تعيش وحدها وتستقل بذاتها، مزيج من الرقة والقوة، عيناها جميلتان كالغزال وأظافرها كمخالب زوجة الأسد تنتظر فريستها لتفترسها، لا يوجد في حياتها ضعف أو استسلام، كأنها تخاف أن تظهر رقة مشاعرها فتصبح هي الفريسة فلا يوجد في الحياة أمان وليس هناك من تثق به أو تعتمد عليه سوى نفسها.

عندما أحبت لأمل أحبت شخصًا ذا كاريزما وقوة في نفس الوقت، شخص ناجح يُعتمَد عليه؛ فهي لا تقع في شِباك أحدٍ بهذه السهولة، فلا بُدَّ أن تشعر بالانبهار، ولكن سرعان

ما عادت إلى طبيعتها وظلت تحكي كيف ستحميه هي وتدير حياته.

استفقت على صوت معلمتي وهي تحاول جذب انتباهي مرة أخرى لعلمها بصعوبة قدرتي على التركيز في شيء واحد لمدة طويلة؛ فسرعان ما يأتيني سيل من الأفكار، اجتذبتني مرة أخرى بهذه التعويذة الغريبة لأقع أسيرة سحرها مره أخرى، واستمعت لها مرة أخرى بإنصات

تحدثت عن أحلام تراها وتأخذها في عالم موازٍ في اللاوعي وترى كل ما فيه كأنه يحدث أمام عينيها، تحدثت عن رؤيتها لنهاية العالم وصوت أبكاها في أحلامها، رأت ميادين العالم فارغة لا يسير بها أحد، رأت المدارس والمصانع تغلق أبوابها رأت قبورًا تُفتَح بكت من هول ما رأت كأنها تستشعره، دبت حالة من الخوف في كل الحضور، وشعرت أنها بحالة من الاستنكار والرهبة في نفس الوقت.

لم أدرك الحلم إلا مع ظهور الكورونا وسألت هل ما رأته معلمتي كان توقعًا أم إنه قدرتها على الاستبصار لقد كان هذا الحلم الأشبه للخيال حقيقة يعيشها العالم.

تحدثت أيضًا عن وجود بشرٍ لا يفيدون البشرية بشيءٍ وصرحت عن رغبتها في إبادتهم إذا أتيحت لها هذه السُّلطة، ورأت أن في هذا خلاص البشرية، سرعان ما تذكرت ثانوس واقشعر بدني، هل يمكن لإنسان بهذا الوعي أن يفكر بهذه

الطريقة، ثانوس لم يكن مجنونًا ولا هي فقط يرون الدنيا بمنظور مختلف لا نستطيع أن نراه إلا عندما نصل لهذا القدر من الوعي.

وعي!! هل هذا وعي هذا ما قالته وهي تنظر إلينا بهذه النظرة الثاقبة والتي يصحبها الاستهزاء فمن نكون نحن كيف نفهم كل هذا، وتساءلت هل يمكن أن يكون للشر وجه آخر لا نراه لافتقرنا لهذا المسمى الوعي.

هل يمكن أن تختلف نظرتنا لما هو خطأ، هل يمكن أن يتنازل الإنسان عن هذا ما يسميه مبادئ بزيادة الوعي فيصبح غير المعروف هو المألوف.

توصلت من هذا إلى ما يريحني غير مهتمة لصحته من خطئه؛ فهذا ما أصدقه وهو أن في اختلافنا حياة هناك من يسعى للحرب، وهناك من يسعى للسلام، هناك من لديه الرغبة في نشر العلم وهناك من يسعى للنهوض بالاقتصاد، اختلافنا رحمة والتحدي هنا هو قدرتنا على تقبل هذا الاختلاف.

مسكت أمل يد المعلمة في نهاية المحاضرة قائلة:

***

جذور الأمل

بقلم/ دينا خطاب

بداخـل كل منـا لحظـات، تتبـدل فيهـا الأحـوال وتتقلـب فيهـا الـروح مـن حـال إلى حـال. لحظات يتبـادل علينـا الـزوار مـن اليأس والأمـل.

فهنـاك لحظـة يبـدو فيهـا أن كل شيء قـد اسـتعاد مكانـه واصطـف في وسـط منظومـة متكاملـة الأركان. تشـعر حينهـا بتيـار يتحـرك مجـددًا داخـل العـروق يشـبه الريـاح البـاردة التـي هبـت لتمنحـك قـوة وفرصـة تأتيـك مـن بعيـد.

وبرغـم وجـود جذورهـا منـذ البدايـة إلا أنـك لم تسـتطع أن تراهـا مـن قبـل. رغـم أنـك الوحيـد الـذي يملـك أدواتهـا إلا أنـك كنـت عـلى يقـين أنـك أضعـف مـن أن تحـرك سـاكنًا.

إنـه صـوت الضعـف والخـوف واليـأس الـذي انتـشر بداخلـك ومـلأ نفسـك وكأنـه جيـش بأكملـه سـمحت لـه ورحبـت بـه كـي يغـزوك.

أصبحـت أنـت العـدو والمسـتهدف في نفـس الوقـت.

فأظهرت له تفاصيل ضعفك وخبايا آلامك فانكشفت أمامه حتى ظن أنه لا وجود لجبهة دفاع بداخلك.

رآك ضعيفًا، رآك أرضًا سهلة الاحتلال. فأصبح غزوك أمل عنده لا محال.

أحييت عنده الأمل بأن يغزوك بينما كان عليك أن تحيي في نفسك الأمل.

أصبحت أرضًا جدباء سقياها الخوف والضعف واليأس، حديث نفسها أنها لا تستطيع، ماؤها الهزيمة والانسحاب، صورتها مهزوزة غير واضحة، رغم أن بداخلها جذور لكنها جذور مفتقدة الأمل.

وتساءلت نفسك من أين يأتيها الأمل؟؟

ولو أردت فربما وجدت الإجابة في هذه الكلمات.

فكلما اقتربت من مصدر الأمل الذي لا ينضب، كلما رسمت خطًا واحدًا؛ كلما ارتبط الأمل لديك بكلمة أعمق وأدق.

كلما ارتبط الأمل عندك بكلمة التوحيد؛ توحيد مصدر الأمل، توحيد حَجَرة الاتكاء والاعتماد، توحيد الرجاء.

كلما ارتقيت وارتقى معك سقف آمالك؛ واشتد الحبل الذي اتصل به. وأصبح مبصرًا عالمًا لطريقه غير تائه ولا مشتت بين الطرقات.

أصبحت أنت جزءًا من كون وأملك بمن يملك كل الكون. قواعده واحدة لا تتبدل ولا تتغير فلا تعتمد على أهواء.

لا تُلقـي بشـباك مشـاعرك لمخلوقـات ضعيفـة بـل فِـرَّ بهـا إلى القـوي.

لا تعتمـد في أملـك إلا عـلى من يسـمعك في كل دقاتك وهمسـاتك؛ على السـميع.

لا تجعل أملك إلا بالله

ولا ترضى بأمل سواه

لا ترضى بأمل دون ذلك

لا ترضى بأشباه الأمل

اسطُر آمالك كلها في رسائل وألح عليها في الدعوات.

واحـذر أن تجعـل وحـدة قيـاس الأمـل لديـك مبناهـا حـاضر تعيشـه أو تجارب للآخريـن أو وعـود الواعدين أو قصـص وروايات.

بل اجعل علمك بالله هو وحده وحدة قياس الأمل.

على قدر علمك به فلتبنِ آمالك..

بقدر معرفتك به فلتنطلق..

على قدر توحيدك له فلتحلق بآمالك في السماء..

ولكن احذر لأنك ستختبر!

ستختبر كثيرًا في قدرتك على اختيار أفكار ومشاعر تحيي في نفسك الأمل وتبث اليقين في العروق وتضخ فيك الأمل.

ستختبر كثيرًا في إسكات تلك الأصوات التي تخبرك أنه لا فائدة وأنك لا تستطيع وأنه لا مفر ولا حلول ولا أمل.

ستختبر كثيرًا حتى تستطيع أن تمسك قلمًا وترسم به قرارات وكلمات وتصورات مبناها حسن الظن بالله والتفاؤل.

سيكون اختبارك أن توقن وأن تظل على يقين وأن تسقط ولا تزال تحتفظ بهذا اليقين بل تستزد منه.

سيكون اختبارك في ذاكرتك عن ربك؛ بم تملأها وما هو محتواها.

فذاكرتك عن أقدار الله لك وأفعاله فيك وحكمته في تفاصيل ماضيك تخبرك الكثير عن نوع ظنك فيه ومشاعرك تجاهه.

تخبرك الكثير عن نظرتك لمستقبلك وتحليلاتك لما يدور حولك من أحداث.

ولكن هل خذلك يوم؟

هل لجأت إليه ولم يسمعك؟

هل اقتربت منه خطوة ولم تجده تجاهك؟

هل أخبرته يوما بآمالك فكانت الإجابة أنه لا أمل؟

سيظل اختبارك مع كل سقوط هو قدرتك على تجديد ذلك الأمل.

قدرتك على إعلاء الصوت الذي يؤكد لك أن الله هو وحده القادر على أن يحيي الأرض من جديد.

لا تسمح لنفسك أن تخبرك أنه لا أمل.

وإن أخبرتك، فلتُعِد صلتها بجذورها من جديد.

ما عليك إلا أن تُعِد صلتها بمصدر الأمل..

***

الحكر

بقلم: أحمد محروس

بطل قصتنا اليوم هو الطفل عبد الحكيم فواز البرلسي.. من مواليد بلدة برج البرلس.. من مواليد سنة ١٩٤٣.. والده رحمة الله عليه هو الحاج فواز البرلسي شيخ الصيادين في بلدة برج البرلس.. كان يملك عدة مراكب صيد.. وكان يخرج إلى الصيد في مركبه الكبير وهو يتوسط عدة مراكب أخرى للصيد، يعمل عليها صيادون يعملون عنده أيضًا.. وفى إحدى رحلات الصيد هذه انقلبت مركب الحاج فواز البرلسي في بحيرة البرلس، واضطرت أرملته الحاجة (أمينة) إلى أن تأخذ ابنها (عبد الحكيم) وأختيه (منى) و (كوثر) ومعهم الحاجة الكبيرة (ست الدار) وأن يرحلوا جميعًا إلى مصر.. كان ابنها (عبد الحكيم) هو رجل البيت كما يقولون.. وكان ذلك في سنة (١٩٤٩) وكان (عبد الحكيم) وقتها ابن ٦ سنوات.. ولم تكن سنه الصغيرة في ذلك الوقت تسمح له بأن يدير مراكب الصيد الخاصة بوالده الحاج (فواز البرلسي).. فباعت الأم (الحاجة أمينة) ما تيسَّر من مراكب

الصيد التي كانت مملوكة لزوجها المرحوم (فواز البرلسي).. باعت هذه المراكب إلى «صبيان المرحوم» زوجها من الصيادين الذين لم يكن مع كل منهم سوى مجموعة دريهمات صغيرة.. تجمعت كلها في يد الحاجة (أمينة) التي اعتبرتها تحويشة العمر.. وانطلقت بحماتها (ست الدار) وبأولادها (عبد الحكيم) و (منى) و (كوثر) ونزلت بهم على مصر علشان تجرب حظها في الدنيا معهم.

طبعًا في سنة ١٩٤٩ كانت الإيجارات غالية نسبيًّا في مصر.. فاختارت الأم (الحاجة أمينة) منطقة رخيصة نسبيًّا في إيجاراتها هي منطقة (العدوية القديمة)؛ إحدى المناطق الفقيرة نسبيًّا في نواحي منطقة (بولاق أبو العلا).. وكانت منطقة مليئة بعشش الصيادين.. يعني تقريبًا بيئة مشابهة للبيئة التي أتوا منها من (البرلس).. واختارت الحاجة (أمينة) عشة من العشش القديمة في المنطقة لإقامتهم هم الخمس.. كان إيجار العشة دي تقريبًا أربع قروش في الشهر.. واشترت منطقة قريبة من العشة حتة أرض فاضية كده دفعت فيها معظم تحويشة العمر اللي كانت معاها وقررت تعمل فيها قهوة علشان تساعدها على إنها تكون مصدر الرزق لأولادها التلاتة.. وفي القهوة الصيادين يفطروا الصبح قبل ما يستفتحوا بمراكبهم وينزلوا في النيل ورا أرزاقهم ولما يرجعوا آخر النهار يجي كل واحد منهم يقعد في القهوة ياخد له زردة شاي ولا اتنين قبل ما يروح يتعشى وينام.

جدة الفتى.. السيدة (ست الدار) كانت شخصية قوية جدًّا.. قوية الشكيمة زي ما بيقولوا وصاحبة عقل ومتزنة.. وكان كل أهالي المنطقة وبالذات السيدات يحبونها ويقدرونها ويعملون لها حسابًا ويأخذون رأيها في كل أو معظم أمور حياتهم سواء زواج البنات أو العرسان اللي متقدمين لبناتهم وهكذا.. كانت تعتبر (الكبيرة) يعني بتاعة المنطقة.. اللي تقدر تفصل ما بين أي اتنين ستات اختلفوا من أهالي المنطقة.. وكان رأيها وحكمها ماشي على الجميع.. المهم الحاجة (ست الدار) قررت تساعد أرملة ابنها الحاجة (أمينة) وأولادها الثلاثة.. ففكرت في فكرة لطيفة قوي.. كان جنب العشة بتاعتهم حتة أرض صغيرة كده.. قيمة (٤ / ١) قيراط مزروع جرجير على بقدونس على كام شجرة طماطم.. قررت الحاجة (ست الدار) تعمل مزرعة فراخ في المكان ده.. خدت جزء من تحويشة العمر من أرملة ابنها الحاجة (أمينة) واشترت بيهم (١٠) فرخات.. وراحت اتفقت مع نجار في المنطقة عمل لها عشة فراخ صغيرة كده.. وما دفعتش للنجار تمن العشة فلوس.. قالت له ليك فرخة من العشر فرخات هنديك البيض بتاعها تبيعه وتستنفع بيه لغاية لما تمن العشة يخلص.. شويه والفكرة دي عجبت كل السيدات في المنطقة.. وقرروا يشتركوا مع الحاجة (ست الدار) في مشروع الفراخ.. كانت كل واحدة فيهم يتوفر في إيدها مجموعة جنيهات قليلة تروح تشتري بيهم جوزين أو أربع أجواز فراخ وتروح

تربيهـم في العشـة عنـد (سـت الـدار).. كـبرت العشـة شـوية بشـوية.. وبعـد مـا كان فيهـا حـوالي ١٠ فرخـات بـس.. بقـى فيهـا تقريبًـا حـوالي ١٥٠ فرخـة.. تخص كل سيدات المنطقـة.. كان الهدف مـن تجميـع كل الفـراخ دي هـو البيـض.. كانـوا يسـتنوا لمـا الفـراخ تبيـض.. ويجمعـوا البيـض كلـه في سـلال ضخمـة كبـيرة ويروحـوا يبيعـوه في السـوق.. ويبـدأوا في توزيـع الأربـاح بقـى.. يشـوفوا كل سـيدة مشـاركة بـكام فرخـة.. وتقـوم الحاجـة (سـت الـدار) بإعطائهـا نصيـب مـوازي مـن ناتـج بيـع البيـض.. وكانـت أول وظيفـة اشـتغلها (عبـد الحكيـم) في حياتـه.. أو (حكيـم) زي أهـالي المنطقـة مـا بيسـموه هـي وظيفـة (حـارس العشـة).. عينتـه جدتـه في هـذه الوظيفـة علشـان تمنـع أي حرامـي إنـه يمـد إيـده عـلى الفـراخ في العشـة.. المهـم إن (حكيـم) الطفـل الصغـير علشـان يحمـي العشـة اشـترى عصاية خشـب كبـيرة كان يطلـق عليها قديـمًا (شـومة).. ومن هنـا أصبـح لقبـه المشـهور بيـه في المنطقـة هـو (أبـو شـومة).. وأصبـح أي حرامـي فـراخ في المنطقـة يخـاف يهـوب مـن العشـة طـول مـا (أبـو شـومة) واقـف يحميهـا.. الصيـت ولا الغنـى.. وقـد اسـتمرت هـذه التجربـة الجميلـة في حيـاة الطفـل (حكيـم) سـت سـنوات.. لغايـة مـا بقـى عمـره ١١ سـنة.

ثم ماتت الجدة (ست الدار)..

كان منظر وداعها جليلًا مهيبًا.. بكت عليها كل بيوت (العدوية القديمة) و (عشش الترجمان).. وخرجت الجموع في وداعها في مشهد عظيم.. لم ينسَ (حكيم) هذا المشهد أبدًا ولم يغب عن ذهنه قصة الفراخ وعشة الفراخ وجدته العظيمة (ست الدار) التي جعلت منه (أبو شومة) الحارس على عشة الفراخ.. لقد تعلَّم منها درس عمره الأول تقريبًا.. إذا كان ناتج عملك يضمن أرباحًا للناس ورزقًا لهم فإن هؤلاء الناس يحبونك كثيرًا ويدافعون عنك كأنك أخٌ لهم وابن من أبنائهم.

وبعد أن انتهت الجنازة الشعبية للسيدة (ست الدار).. استأجر الفتى (حكيم) عربة من عربات خدمات الموتى ليأخذ جثمان جدته المسجى إلى مثواه الأخير في بلدة (برج البرلس).. صاحبته في هذه الرحلة الست (وسيلة) الخادمة المخلصة لجدته (ست الدار).. الحقيقة عندما وصلت عربة نقل الموتى إلى (برج البرلس) لم يعرف الطفل (حكيم) أين يدفن جدته فوالده الحاج (فواز البرلسي) مات صغيرًا للغاية ومالحقش يرتب مقابر لعائلة (البرلسي).. فقام (حكيم) بشراء حوش واسع نسبيًّا مقداره تقريبًا فدان.. وقام بدفن جدته الراحلة (ست الدار) فيه.. ثم أشرف على بناء بيت ريفي من دورين في الحوش على مساحة ٥٠٠ متر أرض، وأثثه بأثاث معقول.. هيأ هذا المنزل كاستراحة للمعزين الذين سيأتون في الذكرى السنوية لوفاة جدته.. تم

بناء البيت وشراء الحوش من أرباح تجارة البيض والدجاج التي قادتهم جدته (ست الدار) على مدى سنوات.. ترك (حكيم) البيت والحوش في رعاية الحاجة (وسيلة).. وعندما انتهى من كل ذلك سجد على الأرض وقبَّل قبر جدته الراحلة (ست الدار) ثم قرأ لها الفاتحة ثم عاد أدراجه إلى القاهرة.

كبر صاحبنا (أبو شومة) وأصبح يطل على الدنيا من شبَّاكٍ أوسع قليلًا.. لم تعد تناسبه مهنة (حارس عشة فراخ).. نحن الآن في سنة ١٩٥٤م.. كانت المنطقة اللي هما عايشين فيها ابتدأت تتحرك شوية وابتدا يبقى عليها العين.. خد عندك مثلًا ابتدا يظهر فيها العمارات الضخمة الفخمة التي تقع تحتها المحال التجارية التي تبيع عشرات من السلع غالية الثمن، وكذلك بعض المقاهي التي يجلس عليها أناس من علية القوم والوجهاء كل ليلة يشربون ويتسامرون، فمثلًا ظهرت عمارة (الجندول) التي أنشأها الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب محل مقهى (سان جيمس) الذي كان يجلس عليه الشاعر الكبير أحمد بك شوقي وعمر لطفي المحامي، وكذلك عمارة (لا جيفوازا) التى أنشاها عميد عائلة (لا جيفوازا) الإيطالية سنة (١٩٣٨) على الطراز الإيطالى والتي كانت من ضخامة تصميمها يوجد بها مداخل متعددة وممرات، وكذلك هناك عمارة (شيكوريل) التي أنشأها التاجر اليهودي المعروف مالك المتاجر الشهيرة التي تحمل اسم عائلته، كما كان يوجد بالمنطقة (سوق التوفيقية)

وهـو أضخـم سـوق للخضـر والفاكهـة بالقاهـرة منـذ الأربعينيـات.. أربعينيـات القـرن العشريـن أقصـد وذلـك قبـل إنشـاء سـوق العبـور فيـما بعـد الـذي أصبـح السـوق المركـزي للخضـر والفاكهـة في القاهـرة حاليًـا.. أمـا عـن المقاهـي فحـدِّث ولا حـرج، فقـد كان هنـاك مقهـى (صولـت) الحلـواني الـذي كان ملتقـى الأدبـاء والشـعراء والمثقفـين والصحفيـين مثـل الدكتـور محجـوب بـك ثابـت الطبيـب الأديـب والشـيخ عبـد العزيـز البِشري وأمـين بـك الرافعـي رئيـس تحريـر جريـدة (الأخبـار) وسـليمان فـوزي صاحـب جريـدة (الكشـكول) وصالـح البهنسـاوي الصحفـي المشـهور بجريـدة (الأهـرام)، ثـم نجـد عنـد تقاطـع شـارع بـولاق مـع شـارع سـليمان باشـا مقهـى (البـور نـور) (في مـكان الأمريكـين حاليًـا) والـذي كان يقـع في مواجهتـه تمامًـا مقهـى (بطرسـبورج).. كـما كان يوجـد بالمنطقـة عـدد مـن أشـهر الفنـادق بالقاهـرة التـي تـم إنشـاؤها منـذ أواخـر الأربعينيـات ومـن أشـهرها: كلاريـدج- جلوريـا - كارلتـون - جرانـد أوتيـل - إكـس مورانـدى - نيتوكريـس.. وغيرهـا.

المهـم، كان صالـح بـك البهنسـاوي من سـكان عـمارة (الجنـدول)، وكانـت خادمتـه تشـتري الفـراخ الطازجـة مـن عشـة (سـت الـدار) جـدة صاحبنـا (أبـو شـومة) كل أسـبوع، فتوسـطت لـه لـدى صاحبنا صالـح بـك البهنسـاوي فتـم تعيـين الطفـل (حكيـم) بوابًـا لعـمارة (الجنـدول)، ثـم كان صالـح بـك يطلـب مـن الطفـل (حكيـم) بعـض أشـياء ليوصلهـا لـه في مقهـى (صولـت) أثنـاء جلوسـه عليـه، فـكان

(حكيم) يذهب إليه بالأشياء التي يطلبها منه إلى بار (صولت) فأصبح الطفل (حكيم) هو موصلاتي طلبات زبائن مقهى (صولت)، فكان يستيقظ صباحا قبل الفجر مباشرة، ثم بعد أداء صلاة الفجر يبدأ في تقضية طلبات شراء حاجيات سكان عمارة (الجندول) كلها من خضر وفاكهة يأتي بمعظمها من سوق (التوفيقية) القريب من المنطقة، أما الدجاج والبيض فيأتي بهم من عشة جدته (ست الدار) العزيزة إلى قلبه دائمًا، حيث انتقلت إدارة العشة إلى والدته الحاجة (أمينة) بعد وفاة جدته (ست الدار).. أما الجرائد التي يقرأها سكان العمارة فكان يشتريها لهم، إما من مبنى جريدة (الأهرام) القريب في شارع الجلاء الذي انتقلت إليه الجريدة من مقرها في شارع (مظلوم) عند تقاطعه مع شارع (شريف)، أو من مبنى جريدة (أخبار اليوم) ذي الشكل الدائرى المميز والذي أنشأه التوأم مصطفى وعلي أمين كمقر مميز لمؤسسة (أخبار اليوم) منذ أواخر الأربعينيات بالمنطقة.. ونظرًا للخبرة العجيبة التي أصبح يتمتع بها الفتى (حكيم) في الحياة والذي جعل الله له من اسمه حظًا كبيرًا في الحياة فقد كان يتمتع بدرجة كبيرة من الحكمة أعتقد جازمًا أن نصيبًا كبيرًا منها قد ورثها من جدته الراحلة (ست الدار).. فقد كان كل فندق أو عمارة أو مقهى يحتاج صبيًا للخدمة أو لتوصيل الطلبات في المنطقة فقد كانوا يطلبون من (حكيم) تزويدهم بهذا الصبي، وكان الصبي (حكيم) لا يتوانى أبدًا في هذا الطلب،

فأصبح مشتهرًا بين أهالي المنطقة بأنه الأمين على طلباتهم الساهر على احتياجاتهم.. وكان إذا أتى المساء يذهب إلى مقهى (صولت) فيسهر على خدمة طلبات روَّاده وزبائنه، فيشترى لهم السجائر، أو بعض الساندوتشات وأطباق الكباب المشوي للعشاء من مطاعم الكباب الشهيرة القريبة في المنطقة، ويظل هكذا حتى الساعة الثانية عشرة ليلًا تقريبًا، فيذهب للنوم في غرفته بعمارة (الجندول) لكي يستيقظ قبل صلاة (الفجر).. وكان إذا أتعبته هموم الحياة وهي كثيرة على أي حال، كان يذهب إلى مسجد السلطان (أبو العلا) للصلاة فيه، فقد كان يشعر بالراحة في هذا المكان، ويبدأ في الاستغفار وقراءة القرآن بجوار الضريح.. ضريح السلطان أبو العلا.. وكان يظل يبكي ويستغفر لساعات إلى جوار الضريح حتى يغلبه النوم فينام إلى جوار الضريح حتى يستيقظ على صلاة الفجر.. وقد كان له اعتقاد في صاحب الضريح (السلطان أبو العلا).. والسلطان أبو العلا على أي حال هو رجل عِلم وُلِدَ ونشأ في مكة، ثم نزح منها إلى القاهرة حيث خالط علماءها وتأثَّر بهم وأثَّر فيهم، وانقطع السلطان أبو العلا في خلوته للعبادة أربعين سنة، وهي خلوة بزاوية على النيل يعتقد أنها كانت قائمة في ذات المكان الذي أنشأ فيه مسجد السلطان (أبو العلا)، وكان (السلطان أبو العلا) صاحب مكاشفات وكرامات يعتقد بها مريدوه حتى الآن، وكان صاحبنا (حكيم) يحرص على حضور مولد سيدي السلطان (أبو العلا)

الـذي يقـام في ١٣ يوليـو مـن كل عـام.. وكان يحـرص كل أسـبوع عـلى الأقـل أن يختـزن جـزءًا مـن فائـض الأكل في محـل (صولـت) وغيرهـا مـن محـلات ومقاهـي المنطقـة ثـم يقـوم بتوزيعهـا عـلى فقـراء المنطقـة الذيـن يلـوذون بجـدران مسـجد السـلطان أبـو العـلا بعـد صـلاة الجمعـة.. كان يحـس أن الفقـراء هـم مـلاذه وحصنـه الحصـين، وأن الله يحميـه ويدفـع عنـه غائلـة الأيـام ببركـة هـؤلاء الفقـراء فقـط ولأجـل خاطرهـم.. وكان يؤمـن بالقاعـدة الذهبيـة في حياتـه بـأن الخـير الـذي تفعلـه في حياتـك إنـما يخـرج منـك في دوائـر، وأن هـذه الدوائـر تظـل تـدور وتـدور لكـي تلـف وترتـد إليـك مـرة أخـرى عندمـا تحتـاج إليهـا.. سـاعد تتسـاعد.

ثم جاءت الستينيات.. وكبرت أحلام الفتى أكثر وأكثر ..

لقـد ظـل صاحبنـا في مهنتـه هـذه بوابًـا عـلى عـمارة (الجنـدول) وموصـل طلبـات الزبائـن في محـل (صولـت) لمـدة سـبع سـنوات بـين عامـي (١٩٥٤) وحتـى عـام (١٩٦١).. عندمـا لاحـظ أن معظـم أصدقائـه الذيـن كان قـد سـعى في تعيينهـم بوابـين عـلى عـمارات المنطقـة مـن حولـه أو في مهنـة توصيـل الطلبـات لزبائـن المقاهـى بالمنطقـة، قـد بـدأوا يتجهـون بكثافـة إلى مهنـة الطباعـة سـواء في جريـدتي (الأهـرام) أو (أخبـار اليـوم) القريبتـين بالمنطقـة وإن كان بعضهـم قـد فضَّـل الحفـاظ عـلى مهنتـه الأصليـة إلى جانـب المهنـة الجديـدة.. وهـذا مـا قـرره صاحبنـا (أبـو شـومة).. فامتنـع عـن

مهنة توصيل طلبات زبائن مقهى (صولت) على أن يبقى بوابًا في عمارة (الجندول) ينام في غرفتها الموجودة أسفل السلم، على أن يعمل طابعًا في مطابع جريدة (الأهرام) صباحًا، وتعرَّف وقتها على السيد (حافظ محمود) أحد أنبغ الأقلام الصحافية في عهد الزعيم الراحل (جمال عبد الناصر) في أحد اجتماعات (الاتحاد القومي).. كان (حافظ محمود) هو الذي أسَّسَ (نقابة الصحفيين) في مصر وكان العضو الأول فيها وحاز على العضوية رقم (١) فيها ولُقِّبَ فيما بعد بشيخ الصحفيين.. كما كان أصغر رئيس تحرير عرفته مصر في تاريخها الصحافي عندما أسس جريدة (الصرخة) مع صديقيه أحمد حسين) و (فتحي رضوان) كما كان هو الذي أسس (جمعية القلم الأدبية) وهو لا يزال صبيًا.. كان (حافظ محمود) قد أسس هذه الجمعية لاكتشاف البراعم الأدبية والصحافية وهي لا تزال صغيرة حتى يمكنه بعد ذلك توجيهها إلى عالم الصحافة والأدب قبل أن تضل طريقها في دروب الحياة المختلفة ويموت ويختفي عندها الحس الأدبي.. بعدها حين انتخب (حافظ محمود) نقيبًا للصحافيين للمرة الأولى عمل على سَنّ ميثاق صحافي مُعاصِر وإصدار قانون المعاشات للصحافيين، وإنشاء نادي صيفي للنقابة.. فانتهز صديقنا (عبد الحكيم) الفرصة وعرض عليه فكرة إنشاء نقابة للعاملين بالصحافة والطباعة.. وكان (حكيم) يضع عينه على قطعة أرض فضاء على النيل تابعة للأوقاف لتكون

مقـرًّا للنقابـة.. تمكـن (عبـد الحكيـم) مـن اسـتصدار قـرار بطريقـة جهنميـة بالموافقـة عـلى أن تصبـح قطعـة الأرض هـذه مقـرًا لنقابـة العامليـن في الصحافـة والطباعـة وأصبـح هـو النقيـب بـلا منـازع.. كان أهـالي هـذه المنطقـة يعرفـون هـذه القطعـة مـن قديـم الزمـان باسـم (الحكـر).. ومـن سـاعة مـا تـم إنشـاء مبنـى النقابـة فيهـا فقـد أصبـح الاسـم المتعـارف عليـه بـين النـاس هـو (حكـر أبـو شـومة).. كان مبنـى النقابـة مبنـى متواضعًـا مـن دوريـن، ذا طـراز بسـيط في البنـاء.. وكانـت غرفـة مكتـب النقيـب تتصـدر الـدور الثـاني في المبنـى.. كانـت الدولـة توفـر كافـة مسـتلزمات الطباعـة مـن أحبـار أوفسـت وألـوان وألـواح الزنـك وبَكـرَات ورق الطباعـة بأسـعار زهيـدة مدعَّمـة للغايـة لصالـح النقابـة.. وكان النقيـب يقـوم ببيـع الفائـض مـن هـذه الأدوات إلى المطابـع ومحـلات تجليـد الكتـب ودور النـشر المنتـشرة بكثـرة في المنطقـة مـن أيـام إنشـاء (المطبعـة الأميريـة) القديمـة في عهـد الـوالي (محمـد عـلي) باشـا قبـل أن تنتقـل بعـد ذلـك إلى إمبابـة.. نحـن الآن نتحـدث عـن شـخص آخـر تمامًـا.. ليـس هـو الطفـل الضعيـف اليتيـم الفقـير (عبـد الحكيـم) المولـود في إحـدى عِـزَب (بـرج البرلـس) سـنة ١٩٤٣.. نحـن الآن نتحـدث عـن شـاب قـوى ذكـي مثقـف في أواخـر الثلاثينيـات مـن عمـره، نقيـب للعاملين في الصحافـة والطباعـة.. لكنـه أبـدًا لم ينـسَ أصلـه الفقـير الـذي جـاء منـه.. لم ينـس أبـدًا السـلطان (أبـو العـلا) سـلطان الصوفيـة الـذي يهيـم بـه حبًـا وعشـقًا والـذي يحـرص عـلى حضـور مولـده في (١٣

يوليـو) مـن كل عـام، ويظـل يتراقـص في حلقـات الذِّكر حتـى يتوه في عـالم الـلا متناهـي ويسـقط مغشـيًا عليـه.. والأهـم أنـه مـا زال لم ينسَ أبـدًا فقـراء السـلطان (أبـو العـلا).. مـا زال عـلى موعـده معهـم كل يـوم جمعـة بعـد الصـلاة.. يذهـب إليهـم ويودهـم ويعطيهـم جـزءًا مـن فائـض أمـوال النقابـة وكذلـك بقايـا الطعـام الخـاص بمعظـم مقاهـي وفنـادق المنطقـة، بالإضافـة إلى كثـير مـن فـراخ وبيـض عشـة جدتـه التـي مـا زالـت قائمـة.. مـا زال فقـراء (أبـو العـلا) هـم حصنـه الحصـين الـذي يلـوذ بـه مـن مشـاغل الدنيـا ومتاعبهـا.

ثم جاء الانفتاح ..

وكـبرت أحـلام الفتـى أكثـر وأكثـر.. وبـدأت الأمـوال تجـري أكثـر وأكثـر تحـت يديـه.. وبـدأت السـلع المسـتوردة تمـلأ الأسـواق المصريـة.. فبـدأ (حكيـم) يتضخـم أكثـر وأكثـر.. بـدأ يحصـل عـلى توكيـلات سـلع كثـيرة مسـتوردة.. وأنشـأ شركـة لاسـتيراد ألـوان أحبـار الأوفسـت المسـتوردة وحصـل عـلى توكيـل لهـا.. ثـم أنشـأ شركـة لاسـتيراد آلات الطباعـة والمطابـع الأجنبيـة وحصـل عـلى توكيـل لهـا.. ثـم أنشـأ شركـة اسـتيراد ألـواح الزنـك وحصـل عـلى توكيـل لهـا.. وكان كلـما أنشـأ شركـة جديـدة كان يقـوم بتعليـة دور عـلى مبنـى النقابـة القديـم.. بالضبـط كـما الفلاحـين مـن بلدياتـه يزوِّجـون أولادهـم وبناتهـم فيقومـون بإنشـاء دور جديـد فـوق بيـت العائلـة القديـم.. لا فـرق بـين الاثنـين فالتفكـير واحـد.. فحكيـم

يعتبر الشركات الجديدة والتوكيلات الأجنبية مثل أبنائه الذين لم ينجبهم بعد.. ثم بدأت السلع المستوردة والملابس الأجنبية تزغلل عيون سيدات وبنات مصر.. فأنشأ (حكيم) ٨ بوتيكات ملابس مستوردة جديدة.. بوتيكان في وكالة البلح السوق التجاري الشعبي الضخم الواقع قريبًا من حِكْر أبو شومة الذي يدير منه حكيم البرلسي كلَّ أعماله التجارية والإدارية.. و٣ بوتيكات أخرى في شارع (قصر النيل) ومنطقة (الشواربي) في وسط البلد.. وبوتيك ضخم آخر في آخر شارع الهرم على دورين إلى جانب الكباريهات والملاهي الليلية التي بدأت تنتشر بكثافة في المنطقة في سبعينيات القرن الماضي مثل (الأريزونا) و(الباريزيانا) و(الليل).. كان الدور الأول عبارة عن بوتيك ضخم به ٨ فاترينات زجاج تلعلع فيه اللمبات (النيون) التي تنعكس بكثافة ضارية على أسفلت شارع الهرم.. وتقع في الفاترينات كل أنواع الملابس المستوردة والغربية سواء التي تخص الرجال أو التي تخص النساء، أما في الدور الثاني من البوتيك فخصصه (حكيم) لصناعة أرقى ملابس وفساتين الزفاف بل وأنشأ في الدور الثاني (أتيليه) مخصوص لصناعة فساتين الزفاف التي كان يتم صناعتها من أرقى الأقمشة المستوردة التي كان يقوم (حكيم) نفسه باستيرادها.. فقد أسس حكيم ثلاثة شركات أخرى.. واحدة لاستيراد الملابس المستوردة (رجالي/ حريمي).. وواحدة أخرى لاستيراد الأحذية المستوردة.. وشركة أخرى لاستيراد الأقمشة المستوردة.

ثم جاءت الخصخصة..

نحن الآن نتحدث عن رجل عجوز جدًّا.. رجل في بدايات العقد السادس من عمره.. عمره حوالي (٦٣) عامًا.. يملك ثروة مالية في البنوك تقارب ما بين الـ (٧٠ -٨٠) مليونًا من الجنيهات المصرية.. كما أنه يمتلك تقريبًا حوالي (٦) شركات أجنبية جميعها تحمل توكيلات تجارية.. تقبع كل منها في دور منفصل.. في البرج الذي بناه (عبد الحكيم البرلسي) فوق مبنى الجمعية القديم في (حكر أبو شومة).. ورغم ذلك، ما زال الرجل وفيًا للمبدأين اللذين بنى عليهما حياته بأكملها.. ساعد تتساعِد.. فما زال الرجل يحضر بسيارته (المرسيدس) السوداء الفارهة مولد سيدي السلطان (أبو العلا) الذي يُقَام في (١٣ يوليو) من كل عام.. يحضر مرتديًا بذلة سوداء فاخرة من أرقى الأقمشة الباريسية من استيراد شركاته وعليها عباية بنية اللون مقصبة موشاة بخيوط ذهبية.. كما أنه يضع عطرًا غالي الثمن من استيراد شركاته أيضًا.. ما زال (عبد الحكيم البرلسي) يعشق فقراء منطقته، يريد أن يذوب فيهم.. ما زال رغم ثرائه الفاحش يظن ويعتقد جازمًا أن الفقراء هم حصنه الحصين ويريد أن يذوب بينهم ويختفي وسطهم.. (حكيم) يكون قد أحضر معه في هذه الليلة مئات الأظرف البيضاء يحتوي كلٌّ منها على مبلغ (٢٠٠٠) جنيه يوزعها جميعًا على كل فقراء المولد.. هذه الأظرف البيضاء تحتوي على معظم الزكاة الواجبة في أموال (حكيم) عن

السنة المنصرمة.. ويقضي ليلة المولد بأكملها راقصًا منتشيًا بذِكر الله حتى يسقط مغشيًا عليه في عالم الغيبوبة اللامتناهي.. ثم يفيق تقريبًا على صلاة الظهر.. فيذبح في اليوم التالي حوالى (٨) بقرات وتقريبًا (٢٥) كبش.. ويقوم بتوزيع أكياس اللحم بنفسه مع مساعديه على كل بيوت (أبو العلا).. يقال إنه سنويًا لا يوجد بيت من بيوت (بولاق أبو العلا) إلا وتأكل من اللحوم المذبوحة بواسطة (عبد الحكيم البرلسي) صدقة وتقربًا إلى الله.. وأما القاعدة الثانية التي تعلَّمها في حياته.. فمعظم شباب العاملين في الطباعة والصحافة الذين أتى بهم (حكيم) من بلدته (برج البرلس) والأعضاء معه في النقابة التي أنشأها.. معظم هؤلاء الشباب هم شركاء معه بالأسهم بنسبة أو بأخرى في الشركات التي أنشأها (حكيم).. بعض من أكبر قيادات نقابة العاملين في الطباعة والصحافة كانوا شركاء معه في الشركات بنسب تكاد تصل إلى (٣٠٪) أو (٤٠٪).. صحيح أن (حكيم) ما زال له النسبة الغالبة من الأسهم في الشركات وبالتالي ما زال له السيطرة الفعلية على كل شركاته.. ولكن هذا لا ينفي أن معه شركاء..

ورغم كل هذا الثراء وكل هذا الجاه وكل هذا النفوذ.. هل تشبع البطون؟ هل تهدأ النفوس؟ هل يمكن أن تنتهي أطماع بني البشر؟.. الجواب قولًا واحدًا.. بالطبع لا.. وهذا ما طبَّقه حرفيًا صاحبنا أبو شومة).. وضع عينه على أحد مصانع

القطاع العام الموجودة على ساحل رملة بولاق إلى جوار (حكر أبو شومة).. كان في الحقيقة يريد أن يستولي على أرض المصنع ليبني عليها برجًا فندقيًا إداريًا ضخمًا على النيل ينقله بعد بيعه من خانة (المليونيرات) إلى خانة (المليارديرات).. سمع أن هناك مشاكل ضخمة للغاية بين عمال المصنع من جهة ورئيس مجلس إدارة المصنع من الجهة الأخرى.. فتدخل لتعيين أحد محاسبيه ليصبح نقيبًا للنقابة الفرعية التابعين لها عمال المصنع.. كان يستعد لخلع رئيس مجلس إدارة المصنع من منصبه.. كان يريد للنقيب الجديد (المسخ) الذي يحركه (حكيم) من وراء الستار أن يقنع العمال بخصخصة المصنع.. وأن المشتري الجديد للمصنع وهو المستثمر (عبد الحكيم البرلسي) رجل الخير والتقوى سوف يحقق للعاملين كل مطالبهم.. ولكن هيهات.. (اللقمة المرة دي كانت أكبر من الحنك اللي عاوز يأكلها).. فذات المصنع كان يضع عينه عليه أحد كبار المستثمرين (الحيتان) الذين لا يستطيع (حكيم) مجاراتهم أو الوقوف بوجوههم.. وكان يعاون هذا المستثمر رئيس مجلس الإدارة الحالي للمصنع اللي هيكون له نصيب من الهبرة.

وفجأة.. انفتحت أبواب الجحيم..

فقد جاء استدعاء صغير للسيد (عبد الحكيم البرلسي) طالبًا التحقيق معه أمام جهاز الكسب غير المشروع في سؤالين محيرين:

أولًا: أيـن ذهبـت أو اختفـت أمـوال النقابـة الفرعيـة للعاملـين بالطباعـة والصحافـة.. وهـي أمـوال عامـة بالمناسـبة؟

ثانيًـا: كيـف يمكـن لموظـف صغـير الراتـب (حتـى لـو كان نقيـب نقابـة فرعيـة) أن يمتلـك حصـة الإدارة في ٧ أو ٨ شركات مسـاهمة وأن تكـون أموالـه وحسـاباته بالبنـوك تربـو عـلى مبلـغ ثمانـين مليـون جنيـه – مـن أيـن لـه هـذا؟

لم يوافـق (عبـد الحكيـم البرلـسي) أبـدًا عـلى المثـول في تحقيـق أمـام جهـاز المدعـي الكسـب غـير المـشروع للإجابـة عـن السـؤالين بعاليـه.. فصـدر ضـده أمـر (ضبـط وإحضـار).. وتحركـت قـوة مـن الشرطـة لإحضـاره بالقـوة مـن مقـر النقابـة الفرعيـة.. كانـت هـذه آخـر مـرة شـاهد فيهـا أهـالي المنطقـة المحسـن الكبـير (عبـد الحكيـم البرلـسي)؛ فقـد رأوا سـيارته (المرسـيدس) السـوداء الفارهـة تنطلـق بـه بسرعـة الـبرق وهـي تحمـل حقيبتـين سـفر بهـما مبلـغ حـوالي أربعة ملايـين جنيـه مـن خزانـة النقابـة الفرعيـة.. وكذلـك لمحـوا إلى جـوار (حكيـم) في الأريكـة الخلفيـة مـن السـيارة (المرسـيدس) الفارهـة خزانـة حديديـة وضعهـا (حكيـم) عـلى عجـل إلى جـواره في السـيارة غالبًـا كانـت تحتـوي عـلى مجموعـة ضخمـة مـن الوثائـق تحتـوي عـلى إجابـة مفصلـة للسـؤال الثـاني الـذي وجهـه (جهـاز الكسـب غـير المـشروع) إلى السـيد/ عبـد الحكيـم البرلـسي.

ثم مرت ثماني سنوات كاملة..

لم يسمع أحد من أهالي المنطقة شيئًا عن أخبار (حكيم البرلسي) لمدة ثماني سنوات.. لم يعد أحدٌ من أهالي المنطقة يشاهده على الإطلاق يوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين الجالسين حول مسجد (السلطان أبو العلا) بعد صلاة الجمعة.. كما أنه تغيَّب عن (مولد سيدي أبو العلا) لمدة ثماني سنوات كاملة لم يشاهده أحد يتراقص على أنغام الذِّكر ليلة المولد كما لم يشاهده أحدٌ يوزع لحوم الصدقات على فقراء وأهالي المنطقة في الليلة التالية للمولد لمدة ثماني سنوات كاملة.. وهو الذي لم يغِب عن (مولد سيدي أبو العلا) أبدًا.

وفى ليلة من ذات الليالي.. على أحد المقاهي الشعبية الصغيرة للغاية في أحد حواري منطقة (السبتية).. كان مجموعة من عمال البناء (الفواعلية) يتجمعون حول (الطاولة) اللعبة الشعبية الأولى في قهاوي مصر ويحتسون الشاي الذي يدفء صدورهم من برد (يناير) القاسي.. وكانت نشرة الساعة السادسة مساء شغالة في التليفزيون على القناة الأولى.. وإذا بالقهوجي تسقط من يده صينية الشاي وتتكسر من عليها كل بيالات الشاي الصغيرة.. شاي الخمسين.. ويصرخ بكل قوته: (حكيم يا جماعة.. الحاج حكيم البرلسي.. أهو والله قدامي في الشاشة).. توقف الشاي في حلوق جميع الجالسين على القهوة وأخذوا ينظرون إلى التليفزيون مدهوشين مبهوتين.. كان الخبر اللي شغال في التليفزيون في نشرة

السادسة مساء من القناة الأولى (نشرة الأخبار المحلية) هو عن افتتاح محافظ (كفر الشيخ) للمرحلة الأولى من المساكن الشعبية لصيادين وأهالي بلدة (برج البرلس).. وكان يظهر في الخبر السيد محافظ كفر الشيخ.. ويقف خلفه العديد من رجال وقيادات المحافظة.. ويظهر بينهم رجل عجوز أشيب الشعر.. سقط معظم شعره أي أنه (أصلع).. يلبس جلابية بلدي بصف زراير طويل لونها لبني وفوقها عباية موشاة مقصبة بخيوط الذهب (شبيهة جدًّا بعباية عبد الحكيم فواز البرلسي القديمة التي كان يحضر بها مولد سيدي أبو العلا).. ويلبس نضارة شمسية غامقة.. كل من كان جالسًا على القهوة عرفه على الفور.. إنه الحاج (عبد الحكيم فواز البرلسي).. صحيح أن ملامحه تغيرت نسبيًا.. عن آخر مرة شاهده فيها أهالي المنطقة.. كما أنه فقدَ كثيرًا من ملامح العز والجاه القديم الذي كان يتمتع بهما.. ولكن كل أهالي المنطقة عرفوه على الفور بمجرد أن شاهدوه.. (الحاج عبد الحكيم فواز البرلسي)..

انتشر الخبر بسرعة البرق في اليوم التالي بين كل أهالي المنطقة.. وأصبحت العبارة الواحدة المتداولة على جميع الألسن: (حكيم عايش.. حكيم عايش).. (الله حي.. حكيم جاي).. وانطلق فورًا وفدٌ من قيادات نقابة العاملين في الطباعة والنشر إلى بلدة (برج البرلس).. وأول ما وصلوا سألوا عن المساكن الشعبية المخفضة لصيادين وأهالي (برج البرلس).. ولما وصلوا

ليان للنشر ولتوزيع

لقـوا غفـير قاعـد عـلى كـرسي خشـبي قديـم.. سـألوه مـين المقـاول الـلي بينفـذ المـشروع يـا عـم؟.. قـال لهـم: ده الحـاج سـعد حـلاوة.. قالـوا لـه: ونلاقـي الحـاج سـعد حـلاوة ده فـين؟.. فالغفـير وصـف لهـم بيتـه.. طلعـوا عـلى البيـت.. قامـوا لقـوا راجـل عجـوز جـدًّا لابـس جلابيـة فلاحـي لونهـا أزرق فاتـح مطابقـة للجلابيـة التـي كان يلبسـها أثنـاء افتتـاح (محافـظ كفـر الشـيخ) للمـشروع.. وكان هـذا الرجـل العجـوز يجلـس إلى طاولـة يـزدرد الشـاي الفلاحـي الرائـع سـاعة عصـاري ويجلـس يدخـن الشيشـة (القـص) أمامـه ويبـدو عليـه الانسـجام العظيـم.. فتجمعـوا أمامـه وقالـوا:

الوفد: السلام عليكم يا حاج..

العجوز: سلام ورحمة الله.. اتفضلوا

الوفد: إنت مين يا حاج؟

العجـوز: إن كنتـم جايـين تسـألوا عـن حجـز في المرحلـة الأولى مـن مسـاكن الصياديـن الشـعبية فالمرحلـة الأولى محجـوزة بالكامـل خـلاص.. الأسـبوع الجـاي المرحلـة الثانيـة هتفتـح بـإذن الله.. وسـاعتها تقـدروا تيجـوا وتحجـزوا الشـقق الـلي إنتـوا عاوزينهـا.

الوفد: لا للأسف ياحاج إحنا مش عاوزين شقق.

العجـوز: مـا أنـا قُلـت برضـو.. شـكلكوا كـده بهـوات تُقـال مـن بتـوع مـصر.. لا مظهركـم ولا شـكلكم يـدل عـلى إنكـم عاوزيـن شـقق في الإسـكان الشـعبي المخفَّـض.

الوفد: نفس السؤال تاني ياحاج.. حضرتك مين؟

العجوز (بغضب): إيه اللي إنت مين؟ إنت مين؟.. أنا الحاج سعد حلاوة.. أشهر مقاول في (برج البرلس)!!

الوفد: يا سلاااااام !!

العجوز: إيه يا سلام دي كمان!!.. تحب أطلع لك البطاقة يا بيك!!

الوفد: آه.. طلعها لو سمحت..

العجوز: أهي اتفضلوا البطاقة أهي..

نظر فيها أعضاء الوفد وتفحصوها بدقة وجدوا فيها البيانات الآتية: (الاسم: سعد عبد الله حلاوة.. السن: ٧١ سنة.. من مواليد: برج البرلس.. متزوج ويعول).. رجعوله البطاقة وهم يصيحون بغضب (البطاقة دي مزورة)!!

العجوز (محتدًا): مزورة إزاي يعني.. إنتم مين يا أفندية؟!!

الوفد: بقى بذمتك مش عارفنا يا حاج.. إحنا شركائك في الـ ٧ شركات اللي إنت تملكها يا حاج.. وانت الحاج (عبد الحكيم فواز البرلسى) نقيب النقابة الفرعية للعاملين في الصحافة والطباعة.. ده انت طلعت عين أهالينا ٨ سنين وإحنا بندور عليك.. دورنا في كل خرم في مصر وفي إسكندرية.. بحثنا في كشوف المغادرين والقادمين في المطارات والموانئ.. الحكومة حاطة اسمك على قوائم ترقُّب الوصول.. كل ده وما حدِّش عارف يوصلك ٨ سنين..

العجـوز: ليـه كل ده؟!! وعشـان إيـه ده كلـه؟!!.. ومـين عبـد الحكيـم البرلـسي ده الـلي انتـوا بتتكلمـوا عليـه؟!!

الوفـد: ليـه كل ده؟!!.. يعنـي مـش عـارف ولا انت بسـتعبط؟!!.. شركاتـك كلهـا تحـت إدارة جهـاز (الكسـب غـير المـشروع) بقـى لهـا أكثـر مـن ٨ سـنين.. بيصرفـوا لنـا نصيبنـا في الأربـاح بالقطـارة طـول الـ ٨ سـنين دول.. كل مـا نقـدم طلـب برفـع التحفـظ عـن الـشركات يقولـوا لنـا لمـا يظهـر عبـد الحكيـم البرلـسي ونحقـق معـاه.. أرصدتك في البنـوك حاليًـا وصلـت تقريبًـا ١٢٠ مليـون جنيـه.. كلهـا تحـت تحفـظ وإدارة الكسـب غـير المـشروع.. ثـم تعـالى هنـا مـين مراتـك دي.. انـت عشـت في وسـطنا أكـتر مـن ٣٥ سـنة لا عمرنـا سـمعنا عـن إن ليـك زوجـة أو أولاد.. مـين المـدام دي؟

العجـوز: دي الحاجـة (منـى).. بتشـتغل ممرضـة في مستشـفى (بـرج البرلـس) العمومـي..

الوفد: عرفتها إزاي وإمتى يعني؟

العجـوز: الـلي أعرفـه إني كانـت حصلـت لي حادثـة عربيـة كبـيرة قـوي.. العربيـة بتاعتـي ولعـت بالكامـل.. وأنـا وصلـت المستشـفى عنـدي حـروق في كل حتـة في جسـمي.. حـروق مـن الدرجـة الأولى.. مرضتنـي (منـى) وداوتنـي.. قعـدت في مستشـفى (بـرج البرلـس) العمومـي ٩ شـهور لغايـة مـا كل جروحـي خفـت.

الوفـد: آه الحادثـة الـلي حصلـت لـك.. يبقـى المرسـيدس السـوداء بتاعتـك ولعـت بالكامـل!!

العجـوز: مرسـيدس سـودا.. أنا عمـري مـا كان عندي مرسـيدس سـودا.. المحـضر في الحادثـة بيقـول إن العربيـة الـلي ولعـت هـي عربيتـى البيجـو البنـي القديمـة (٦٠٤) ودي كانـت عربيـة قديمـة عنـدي مـن ٣١ سـنة.. وبعديـن إيـه حكايـة ال (٣٥) سـنة الـلي أنـا عشـتها في وسـطيكم دي؟!!.. أنـا عمـرى في حيـاتي مـا سِبْت (بـرج البرلـس) ولا عمـري نزلـت مـصر.

الوفـد: يـا حـلاوة.. طـب سـيبك دلوقتـي مـن حكايـة ال (٣٥) سـنة الـلي عشـتها معانـا دي.. كمـل إيـه الـلي حصـل بينـك وبـين الحاجـة (منـى)؟

العجـوز: أبـدًا.. بعـد مـا خرجـت مـن المستشـفى اتجوزتهـا عـلى سُـنّة الله ورسـوله وخلفـت منهـا ولـد وبنـت.. الولـد (فـواز) والبنت (سـت الـدار) وبندلعهـا ونقولهـا (أمينـة).

الوفـد: يـا صـلاة النبـي!!.. ويطلـع مـين (فـواز) الـلي إنـت سـميت ابنـك عـلى اسـمه ده؟.. مـا هـو ده أبـوك المرحـوم الحـاج (فـواز البرلـسي).. و (سـت الـدار) مـا هـو ده اسـم جدتـك رحمـة الله عليهـا الـلي عملـت عشـة الفـراخ المشـهورة في العدويـة القديمـة مـن أربعـين سـنة.. ولا انـت هتجيـب الاسـم ده منـين أصـلًا؟!!

العجـوز: يابيـك.. أنـا ابويـا اسـمه المرحـوم (الحـاج عبـد الله حـلاوة).. البطاقـة الـلي في إيـدك بتقـول كـده !!

الوفـد: وفـين الأربعـة مليـون جنيـه الـلي اختفـوا مـن النقابـة ليلـة

الحــادث.. آه طبعًــا مــش عــاوزة شرح.. اشــتريت بيهــم حتــة الأرض وبنيــت عليهــا الفيلــلا الــلي انــت عايــش فيهــا دي..

العجــوز: وكتــاب الله مــا حصــل.. الفيلــلا دي زوجتــي (الحاجــة منــى) اتولــدت فيهــا.. وهــي مملوكــة ليهــا وبتقــول إنهــا كانــت مملوكة لوالدتهــا (الحاجــة وســيلة) قبــل كــده.. ووالدتهــا (الحاجــة وســيلة) مــا خلفتــش غيرهــا.. وبالتــالي هــي الوريثــة الشرعيــة الوحيــدة لهــا وهــي الــلي بتملــك الفيلــلا دي..

الوفــد: وانــت لحقــت الحاجــة (وســيلة) أو شُــفتها بعــد مــا عملت الحادثة !!

العجــوز: لا.. الحاجــة (وســيلة) ماتــت مــن ١٥ ســنة.. كانــت أيامهــا الحاجــة (منــى) مــراتي عمرهــا ١٩ ســنة وكانــت يــادوب أيامهــا فاضلّهــا ســنة وتتخــرج مــن معهــد التمريــض.

الوفــد: وطبعًــا هــي مدفونــة جــوه هنــا جنــب جدتــك (ســت الــدار).

العجــوز: ســلامة الشــوف يابيــك.. الحاجــة (وســيلة) مدفونــة في المدافــن البعيــدة دايــر الناحيــة.. الحكومــة مانعــة مــن ســنين طويلــة أمــوات تندفــن جــوه البيــوت!!

الوفــد: ســيبك مــن القــرع يــا عــم بطــوط انــت.. إحنــا لا يفــرق معانــا (الحاجــة منــى) مراتــك ولا المرحومــة (الحاجــة وســيلة) ولا أولادك (فــواز وســت الــدار) ولا المواويــل دي كلهــا.. إحنــا عاوزيــن حاجتــين اتنــين بــس!!

العجوز: اتفضل!!

الوفد: فين الخزنة اللي كان فيها الأوراق كلها واللي الناس شافوها آخر مرة وهي في عربيتك المرسيدس ليلة الحادث؟

العجوز: وكتاب الله يا بيك أنا عمرى ما كان عندي مرسيدس سودا.. ولما دخلت المستشفى الميري ليلة الحريق كل المتعلقات اللي كانت معايا محفظة جلد فيها (١٦٠٠) جنيه وساعة دهب وموبايل نوكيا.

الوفد: حلو قوي.. زي الفل.. فين الحاجات دي بقى؟.. ما هو الموبايل أكيد فيه الخط بتاع الحاج (حكيم البرلسي) والمحفظة الجلد فيها البطاقة الأصلية بتاعة (حكيم البرلسى) مش البطاقة المزورة اللي انت وريتها لنا دي؟

العجوز: المحفظة والموبايل اتسرقوا.. طمع فيهم واد ممرض في المستشفى.. كل اللي رجع لي كان الساعة الدهب.. والواد ابني كان بيلعب بيها في يوم وقعت منه في بحيرة البرلس.. غير كده لا كان معايا خزنة ورق ولا شنط فلوس فيها (٤) مليون جنيه.. ده اللي عندي.. أي خدمات تاني يا بهوات!!

الوفد: آه.. الخدمات التانية إنك تقوم معانا دلوقتي.. تسافر معانا مصر.. ترجع بيتك وشغلك.. وتواجه القضايا المتلتلة اللي عليك.. ونستخرج لك بطاقة بدل فاقد بدل البطاقة اللعبة اللي انت حاططها في جيبك دي.. وإن شاء الله ربنا ينصرك وينصرنا وتخلص القضايا كلها على خير.

العجـوز: طيـب.. وبيتـي ومـراتي وولادي.. أسـيب كل دول لمـين؟!!

الوفـد: يـا عـم.. مراتـك وأولادك إيـه بـس!!.. إنت (عبـد الحكيم فـواز البرلسـى).. الـلي جـوه دول لا مراتـك ولا أولادك.. دول عائلـة (سـعد عبـد الله حـلاوة).. وانـت مـش سـعد حـلاوة.. افهـم بقـى!!

العجـوز: يعنـي انتـم عاوزينـي أقـوم معاكـم أرجـع ل ٧ شركات ونقابـة و١٢٠ مليـون جنيـه في البنـوك، أنـا عمـري مـا سـمعت عنهـم حاجـة ولا أعـرف عنهـم حاجـة ولا عـاوز منهـم حاجـة.. وأسـيب بيتـي ومـراتي وولادي وبلـدي الـلي أنـا عشـت فيهـا سـبعين سـنة مـن عمـرى وهامـوت وأندفـن فيهـا بـإذن الله.. والله ده مـا يحصـل ولا يكـون أبـدًا!!

الوفـد (يضحكـون ويقهقـون بسـخرية): بقـى ياراجـل يـا اهبـل.. انـت عـاوز تضحـى بمائـة وعشريـن مليـون جنيـه في البنـوك و٧ شركات.. قصـاد حتـة ممرضـة فلاحـة انـت متجوزهـا وعيلـين وفيلـلا خمسـمية مـتر عـلى فـدان أرض في آخـر بـلاد المسـلمين (بـرج البرلـس)!!

العجـوز: نصيبـي وقسـمتي في الحيـاة الدنيـا، ومـش عـاوز غيرهـم!

تعالت الضحكات والقهقهة أكثر وأكثر..

العجوز: طيب ما أنا عندي الحل!!

الوفد: إيه هو يا فالح؟!!

العجـوز: مـش انتـم بتدعـوا إن أنـا عنـدى نقابـة و ٧ شركات و ١٢٠ مليـون جنيـه في البنـوك؟!!.. طيـب مـا أنـا مسـتعد أبيـع لكـم الحاجـات دي كلهـا.. بيـع وشراء.. وأبصـم لكـم بالعـشرة عليهـا كـمان.. وحـلال عليكـم وخـلاص حبايـب واصحـاب!!

الوفد: آآآآآه.. ده انت عاوز تتصالح يعني؟

العجوز: أتصالح يعني إيه؟!!

الوفـد: يعنـي تعمـل تصالـح يـا حـاج.. إيـه عمـرك مـا سـمعت عـن واحـد بيعمـل تصالـح؟!!.. هـو كل واحـد عـاوز ينهـب نهيبـة قـد دماغـه ييجـي يجـري بعـد كـده ويقـول أعمـل (تصالـح) علشـان يفلـت مـن جرائمـه!!.. لا يـا حـاج مافيـش تصالـح.. إحنـا منـك وانـت مننـا ورجلـك عـلى رجلنـا.. وزي مـا المثـل بيقـول يـا نعيـش عيشـة فـل يـا نمـوت إحنـا الـكل.. وإحنـا إيـش يضمنَّـا مـش جايـز الـورق الـلي فيـه كل جرايمـك وجرايمنـا لسـه معـاك جـوه الفيـلا وجايـز البوليـس يلاقـي الـورق ده في يـوم مـن الأيـام ونـروح كلنـا في داهيـة؟!! ولا جايـز بعـد مـا نمشـي مـن هنـا ترجع لـك الذاكـرة فجأة لا مؤاخـذة وتـروح تبلَّـغ عننـا كلنـا تودينـا كلنـا في داهيـة ويعتـبروك بعـد كـده شـاهد ملـك وتودينـا كلنـا في حديـد وبعـد كـده تسـترد حاجتـك كلهـا بالهنـا والشـفا!!.. شـوف ياحـاج إحنـا كـده عاملـين زي الجبنـة والخيـار أو العسـل والطحينـة أو الفـول والفلافـل أو عـلي بابـا والأربعـين حرامـي.. مـادام تلاقـي حـد فينـا يبقـى لازم تلاقـي

التاني جنبه.. مانفترقش أبدًا عن بعضينا.. دخلناها سوا ولازم هنخرج منها سوا!!.. فلازم تقوم معانا ياحاج.. ونستخرج لك بطاقة بدل فاقد باسم (عبد الحكيم فواز البرلسي).. وتواجه مصيرك.. ياللبراءة ياللإدانة!

مع علو الصوت.. خرجت الحاجة (منى) من البيت وصرخت فيهم بأعلى الصوت: (شرفتوا يا أفندية.. أنا ما كنتش ناوية أخرج ولا أتكلم احترامًا لوجود ومقام الحاج سعد.. لكن وجودكم هنا أصبح غير مرغوب فيه.. والحاج سعد مش هفية هنا.. ده شيخ الصيادين.. غير شركة المقاولات اللي عنده.. انتوا كده تاخدوا واجبكم ومالكوش واجب عندنا إلا الشاي.. بعد كده كلمة زيادة مش عاوزة أسمع.. الحاج تعبان وعنده السكر والضغط عالي ومش هيستحمل نقاش أكتر من كده).. على صوت زعيق الحاجة (منى) تجمع عدد من الصيادين من القهوة القريبة من بيت الحاج (سعد حلاوة).. وحصلت عركة شديدة بين بهوات مصر وصيادين برج البرلس.. بعدها خرج البهوات من بلدة (برج البرلس) وقرروا إنهم سيقدمون بلاغًا للنائب العام عن ظهور المدعو (عبد اللطيف فواز البرلسي) في بلدة (برج البرلس) على أن تتولى النيابة التحقيق في هذا!!

أما الحاج (سعد حلاوة) فلم يرَه أحدٌ بعد هذا اليوم.. أثناء العركة ركبَ أكبر مركب صيد لديه واتجه إلى البحر ولم يعد أبدًا.. والغريب أنه بعد ٤ سنوات من هذا الحادث لم يتغير شيء في

القصـة.. الزوجـة (الحاجـة منـى) اسـتخرجت شـهادة وفـاة وإعـلام وراثــة وأصبحــت تديــر شركــة المقــاولات ومراكــب الصياديــن المملوكـة لزوجهـا المرحـوم (سـعد حـلاوة) باعتبارهـا وصيـة عـلى أولادهـا.. أمـا النقابـة الفرعيـة للعاملـين بالطباعـة والصحافـة.. فقـد اسـتقالت اللجنـة المعينـة مـن قِبَـل الحكومـة وتـم إجـراء انتخابـات جديـدة وظهـر نقيـب جديـد للنقابـة.. أمـا ال ٨ شركات وال (١٢٠) مليـون جنيـه فـما زالـت تحـت إدارة (جهـاز الكسـب غـير المشروع).. لم يعـرف أحـد أبـدًا أيـن اختفـت خزنـة الأوراق كـما لم يعـرف أحـد أيـن اختفـت الملايـين الأربعـة التـي كانـت موجـودة في مكتـب الحـاج (حكيـم البرلـسي) ليلـة اختفائـه.. أمـا الحـاج (سـعد حـلاوة) فقـد كانـت آخـر مـرة شـوهد فيهـا هـي المـرة التـي كان متجهًـا فيهـا إلى عـرض البحـر يسـتقل أكـبر مراكـب الصيـد الخاصـة بـه واسـمها (سـيدي أبـو العـلا).. لقـد أنقـذه (السـلطان أبـو العـلا) ..

***

ألوان

بقلم: آلاء مصطفى

كان منهمكًا في ورقته العريضة، ممسكًا بألوانه الخلابة، في غرفته الكبيرة المليئة بالألعاب ذات الأشكال والألوان والأصوات الغريبة، يرسم بأنامله لوحته البسيطة.

لم يشغله صراخهم بأصواتٍ رنانة ينتشر صداها في أرجاء الفيلا الواسعة فيرتجفُ لها قلبه البريء، ولم يلتفت إلى صوت تحطيم كوب زجاجيّ ألقاه والده من فرط غضبه الشديد؛ فتناثرت قِطعُها كتناثر حبات البلور على أرضيةٍ ملساء تعكسُ ضوءًا لامعًا صادرًا من نجفة كريستالية معلَّقة شاهدة على ما يحدث أسفلها، فقد اعتاد الصغير على سماع تلك السيمفونية الحزينة مع غروب شمس كل يومٍ واختفائها في الأفق البعيد.

عندها يهرولُ إلى أقلامه، وألوانه، وأوراقه؛ فارًّا من الواقع الأليم.

رسم الصغير وغاص في عالمهِ سارحًا في خيالٍ بعيد، صانعًا كياناتٍ يعيشُ معها في انسجام، عالم مليء بالأمان، جميع من

فيـه يحبـون بعضهـم، لا صراخ، لا بـكاء، لا آلام ؛ فقـط هـدوء، أمـان وانسـجام.

أنهـى لوحتـه المتواضعـة والتـي كانـت في عينيـه البريئتـين مـن أجمـل اللوحـات وأروعهـا.

نهض وبكفيـه الناعمتـين أمسـك بها وركـض إلى الخـارج بعـد أن هـدأت السـيمفونية المزعجـة وحـلَّ مكانهـا الهـدوء القاتـل، فخـرج لعلَّـه يقطـع هـذا الهـدوء المميـت ويُريهـم فنـه البديـع.

ركـض إليهـم متشـوقًا لسـماع كلمـة مـدحٍ وتشـجيع، وليرمُـق في أعينهـم نظـرات الاعتـزاز والتقديـر، وليحظـى بقبـلاتٍ وعنـاقٍ دافـئ يهـدئ مـن روعِ قلبـه الحائـر.

وبحـماسٍ ذهـب إلى أمـه التـي وجدهـا تجلسُ عـلى الأريكـة الجلديـة الحمـراء المفضلـة لديهـا، واضعـة يدهـا عـلى رأسـها، تتأفـف وتنفـخ في غضـب مـن لا حيلـة لـه.

مـدَ يـده بلوحتـه وبابتسـامته الواسـعة قـال: (أمـي أمـي انظـري مـاذا رسـمت؟).

التفتـت إليـه؛ فاتسـعت ابتسـامته، أمسـكت بلوحتـه؛ فـزاد بريـق عينيـه مـن فـرطِ التشـويق.

ومـا لبثـت أن اختفـت تلـك الابتسـامة وحـلَّ مكانهـا ارتفـاع حاجبيـه الرقيقـين في دهشـة، فاغـرًا فـاهُ مـن هـولِ مـا يصـير؛ فقـد مُزقـت لوحتـه الرائعـة إلى قطـعٍ صغـيرة!!

راقـب تمزقهـا بعينيـه التـي اغرورِقـت بالدمـوع، وتناثـرت وريقاتهـا كتناثُـرِ أوراق الشـجرِ الذابلـة في فصـل الخريـف، تبعهـا صـوت أمـه تقـول بصرخـة مدوَيـة: (اذهـب إلى غرفتـك فقـد حـان موعِـد النـوم).

جرَّ الصغـير أذيـالَ خيبتـه وبيـأسٍ ذهـب إلى السريـر؛ علَـه يجـدُ في أحلامـه مـا يُربِّـتُ عـلى كتفيـه ويُسـلِّيه عـن واقعـهِ المريـر.

نَـم يـا صغـيري.. فبعـد ظـلام الليـلِ؛ ستُشرق شـمسُ يـومٍ جديـد.

***

عين حورس

بقلم: سهى سعود

إيزيس الزوجة المخلصة المحبة لزوجها. كانت بين أمرين؛ كيف تحمي زوجها العزيز إيزيس وأن تحمي وليدها حورس.

لكن العناية الإلهية أرسلت حتحور[1] ربة الأمومة والموسيقى والجمال والتي تمثل أحيانًا كبقرة أو امرأة جميلة بأذني البقرة..

تخيل معي هذا الصغير الرضيع المسكين يُترَك في أحراش الدلتا بين الوحوش المفترسة والتي تحاول أن تقتنصه، فرس النهر تارة والخنزير البري والتمساح تارة أخرى.

فقامت الربة حتحور رمز الأمومة برعايته وحمايته من هذه البيئة الموحشة.

ولكن هذه البيئة سيكون لها أثر كبير في تكوين شخصية حورس فقد اكتسب منها القوة والشدة والصلابة؛ فهناك تعلَّم كيف يدافع عن نفسه، وكيف يمسك الحَرْبة ويطعن بها أعداءه من الحيوانات المفترسة وكأن قوانين الطبيعة تتحالف لتعليم

١) حتحور أو حت حر ومعناها بيت حورس.

حـورس ولمَ لا فهـو المقـدَّر لـه بإعـادة التـوازن وإحـلال الفـوضى وإقامـة العـدل.

هـو المُقـدَّر لـه أخـذ ثـأر أبيـه مـن عمـه سـت الـذي امتلـك الحسـد قلبـه مـن شـدة حـب البـشر لأخيـه أوزوريـس. ولم يكتـفِ بحبسـه في التابـوت وإلقائـه في النهـر بـل سـوَّلَت لـه نفسـه أن يعثـر عـلى جثتـه ويقطعهـا إربـا إربًـا إلى ١٦ قطعـة ويلقـي بجسـده في ربـوع مـصر.

مـا كل هـذا الهـول يـا حورس يـا صغـيري؟ كيـف لـك أن تتحمل الألم والوحـدة والوحشـة. لكـن هـذا هـو قـدر الأبطـال وقـدر القـادة ومحارَبـة الـشر؛ فلـولا هـذه البيئـة الموحشـة مـا كنـت أنـت حـورس. مـا كنـت قاهـر الـشر.

إيزيـس المسكينة التـي انفطـر قلبهـا حزنًـا عـلى زوجهـا المحبـوب وعـلى رضيعهـا المسـكين الـذي تركتـه، لكنهـا لم تكـن تعلـم بـل علمـت بداخلهـا أن حـورس سـوف يشـتد عـوده ويقـوى ويخمـد الفـوضى التـي أحدثهـا عمـه سـت.

فتجـد حـورس شـامخًا في معبـده في أدفـون لـه نظـرة حـادة وكأنـه ينـذر كل مـن تخـول لـه فكـرة عـن الاقـتراب .وقـد نقشـت أسـطورته عـلى جـدران معبـد إدفـو لتخلـد ذكـرى انتصـاره. ولم يكتـفِ بمعبـد إدفـو، وإنـما صـوَّر كذلـك عـلى جـدران معبـد كومبـو ولـه خاصيـة الشـافي. وأيضًـا في معبـد جزيـرة فيلـة، ولكنـه صـور كطفـل صغـير مـع والديـه إيزيـس وأزوريـس.

وما أشبه اليوم بالبارحة وما نستلهمه من أسطورة حورس الكثير والكثير.

حورس

وُلدَ حورس في ظروف قاسية وسط أحراش الدلتا ووسط حيوانات النيل المتوحشة؛ فرس النهر والتماسيح، وكأن الكون يعده للمصير المقدَّر له وهو أن يهزم قوى الشر، يهزم عمه الذي قتل والده أوزوريس الذي كانت تعشقه البشر. فكان اوزوريس مُحِبًّا لمساعده البشر؛ فقد قرر ست قتل هذا الخير.

كبر حورس واشتد عوده واكتمل نضجه ونموه داخليًّا وخارجيًّا، وكان على استعداد تام للقاء الشر.

وكانت معركة أسطورية صورت الحائط الداخلي للسور المحيط بالمعبد الكائن في مدينة إدفو. وحسب الأسطورة هي أرض المعركة. كان الصراع مريرًا وقد صور الفنان المصري القديم ست رمز الشر كفرس النهر وهو نفس الحيوان الذي كان يصارعه حورس وهو صغير؛ فنجد حورس يقف على قاربه ويوجه الرمح إلى فرس النهر. والقصة مصوَّرة على طول الجدار. وكأنها كتابٌ يحكي عن قصة أسطورية؛ فنجد فرس النهر بحجم صغير عندما يتغلب عليه حورس ويغرقه في النهر. ونجده أيضًا بحجم كبير كمحاولة للفنان المصري القديم أن يوضح أن عندما يقترب ست من سطح النهر ليهرب فيكبر حجمه.

يعرف هذا المنظر الشهير بدراما معبد ادفو. وانتهى الصراع في نهاية السور بمنظر الانتصار حيث يقف حورس منتصرًا على ظهر ست. وهذا عند المصري القديم يدل على الخضوع والسيطرة.

أول شيء تقع عليه عيناك عندما تدخل حرم المعبد هو تمثالان لحورس بشكل صقر واقف متأهب بشموخ ونظرات ثاقبة يرهب بها أعداءه.

حورس

محروس من العين

الحارس الله

***

عينـــــــــان

بقلم: عمرو عبد الفتاح مصطفى

كيف يمكن أن تعيش بدون عينيه اللتين دائمًا كانتا كنورِ المنارة تنير لها الطريق وسط بحر الحياة، منذ أن التقت به في عامها الأول بكلية الطب التي دخلتها تحت إلحاح أبويها حتى لا تضيع مجموعها الكبير بالثانوية العامة هباء بكلية الفنون التي تمنت الالتحاق بها لتشبع نهمها للرسم وهي تشعر بنشوة كلما نظر إليها، نظرة تحمل ألف معنى ومعنى وبريق يحمل لقلبها نشوة.

لم يستطع أحد أن يفهمها مثله منذ أول جلسة جمعت بينهما علم بموهبتها ومعاناتها دون أن تتكلم، أخبرها أنه لديه حس فني يجعله يحس بالفنان فهو يعمل مساعد مهندس صوت في أوقات فراغه ليشبع حبه للموسيقى وذلك بعد أن أتقن العزف على معظم الآلات الموسيقية منذ أن كان في المدرسة، وجدت نفسها منجذبة إليه تدريجيًّا حتى أصبحت تحس أنها بالفعل جزءٌ منه لذلك لم يكد ينتهي العام الدراسي بنجاحه بتفوق وتعينه

معيـدًا بقسـم النسـاء ورسـوبها المتوقـع حتـى تقـدَّم لخطبتهـا، عائلتـه ميسـورة الحـال التـي لم تكـن تعلـم عنهـا شـيئًا هـي مـا جعـل عائلتهـا توافـق وترحـب بالقـران السـعيد.

أقنـع والدهـا قبـل بدايـة العـام الجامعـي أن تـترك كليـة الطـب وتلتحـق بكليـة الفنـون، عامـان مـن السـعادة مـرا كيومـين انتهيـا باحتفـال الزفـاف وحصولـه عـلى الماجسـتير في وقـت قيـاسي.

تأخـر الإنجـاب لعامـين آخريـن، كان حلمهـا أن تحمـل منـه بداخلهـا جـزءًا كـما يحملهـا هـو بداخلـه جـزءًا منـه يعذبهـا، لكنـه كان يبـث فيهـا بروحـه المرحـة الأمـل وبرزانتـه وعقلـه يلهمهـا الصـبر حتـى مَـر العـام الأول.

تـلاه عـام آخـر يمتلـئ بكلـمات كالقنابـل تنفجـر في عقلهـا والخناجـر تطعـن قلبهـا وكرامتهـا عـن فـلان صديقـه الـذي لديـه ثلاثـة أبنـاء وعـن فلانـة قريبتهـا الحامـل للمـرة الثالثـة عـلى التـوالي و...

أخبرهـا ألا تهتـم وكأن الأمـر بيدهـا؛ فهـي روحـه التـي بدونهـا يمـوت وكثـير مـن الـكلام الجميـل التـي تعـرف أنـه بالفعـل صـادق فيـه، ولكنهـا فريسـة بـين غريـزة كالجمـرة المشـتعلة وكلام متناثـر مـن أشـخاص لا يرحمـون كقطـرات البنزيـن تزيـد توهـج النـار بداخلهـا. عـدم اسـتجابته لطلبهـا بعمـل فحـوص لهـما أشـعل نـار الشـك في داخلهـا أن يكـون العيـب منـه أو انـه اسـتجاب لإلحـاح أهلـه بالـزواج مـن أخـرى خاصـة بعدمـا لاحظتـه عليـه في الفـترة الأخـيرة مـن شرود

وهـزال، دموعهـا التـي تلهـب خديهـا وسـياط النـدم التـي تقطـع قلبهـا وهـي تـراه ممـددًا أمامهـا وقـد فقـدت عينـاه بريقهـا بعـد أن تمكَّـن مـن مخـه هـذا المـرض اللعيـن الـذي لم تعـرف عنـه شـيئًا حتـى بـدأت نوبـات الإغـماء المسـبوقة بصـداع مـؤلم تنتابـه وهـي في شـهرها الخامـس لـن يعيـداه مـرة أخـرى بعـد أن ذهـب بـلا رجعـة تـاركًا في أحشـائها قطعـة منـه، مكثـت وحدهـا طـوال الأربعـة أشـهر الماضيـة في منـزل والدهـا لا رفيـق لهـا سـوى مقطوعـة موسـيقية مـن عزفـه وتأليفـه كان قـد أهداهـا لهـا في أول عيـد زواج لهـما اختـارت لهـا اسـم الصـورة التـي تسـترجعها كل يـوم منـذ أن فارقهـا الأصـل «عينـان»، هـا هـو الألم يعـود مـرة أخـرى مطـارق كالـبرق تطـرق ظهرهـا بقـوة لتزلـزل أحشـائها فتكتـم الصرخـة مطلقـة قوتهـا للداخـل وموجهـة إياهـا لأسـفل كـما علمهـا. ازداد الألم فصرخـت بقـوة وجـرت عـلى خديهـا دمـوع الألم والنـدم عـلى أمـل لم يتحقـق بوجـوده بجانبهـا.

رأت طبيبًـا يرتـدي معطـف الأطبـاء وكمامـة طبيـة عـلى وجـهٍ لا يظهـر منهـما إلا عينـين يدخـل الغرفـة منفـردًا وصوتـه يشـجعها عـلى الاسـتمرار وعـدم الاستسـلام فقـد اقـترب نـزول الطفـل، أحسـت بالراحـة والأمـان عندمـا قـال لهـا إنـه زميـل زوجهـا وإنـه أوصـاه بهـا ولذلـك لـن يتركهـا. ثـوانٍ مـن العـذاب مـرت كدهـر كامـل قبـل أن يرتخـي جسـدها ويختفـي الألم فجـأة مـع صـوت بـكاء انتظـرت سـماعه بشـوق الكفيـف لخيـطٍ مـن نـور لعامـين كاملـين، هـا هـي قطعـة منـه يضعهـا الطبيـب بـين يديهـا، نفـس العينـين التـي تشـتاق

لهما الآن بين يديها صورة حية منها لا خيال، انتزعت عيناها من عينيه كقطعة معدن تنتزع من مغناطيس قوي لتشكر الطبيب الذي لم يخبرها عن اسمه وغادر مسرعًا بعد أن وقع على بيان حالتها المعلق على مقدمة سريرها، هل تتوهم أم أن الفرحة التي تنتظرها بعد أربعة أشهر من الحزن عجاف أثرت على عقلها؟؟

انتزعها من أفكارها دخول أختها وبصحبتها طبيب آخر لا يضع كمامة طبية.

هرعت أختها إليها مهنِّئة وسألها الطبيب عن اسم الطبيب الذي قام بعمليه الولادة، نفت معرفتها به وقالت إنه قد وقع على بيان حالتها فانتزع اللوح الذي يحمل التقرير وقرأ الاسم ببطء في سره أولًا كأنما لا يصدِّق، وعندما أعاده مرة أخرى بصيغة سؤال لها علمت أنها لم تكن تتوهم، لم يخلف وعده كعهده دائمًا، كان بجانبها ليرى ابنه بـعـينين ترك منها نسخة بين يديها وفي قلبها.

***

معشوقتي المحرق

بقلم: رباب حاجي

في الأول من نوفمبر تلقيت خطابًا مفاده حصولي على بعثة لدراسة الدكتوراه خارج البلاد، تهللت وجنتاي فرحًا وكان لي ذلك فخر أن أنال ما أصبو إليه، ما كان مني إلا أن أتوجه إلى جدتي ووالدي لأزف لهم الحلم الذي شمل دعاءهم في باكورة صباحهم.

وصلت باب البيت الخشبي الكبير الذي شهد على عتباته خطواتي الأولى، ما إن فتح والدي ذاك الباب على مصراعيه وإذا بي أزف له الخبر والذي به علت أصوات التبريكات من أهل البيت إلا أن جدتي وفي وسط فرحتنا اغرورقت عيناها لتسألني الجدة: كيف لك أن تترك معشوقتك؟

أطبقت الدهشة على وجهي قائلًا: ما عزمت على ذلك إلا حبًا فيها ولرفعتها.

لكن كلامها جثم على صدري كما الهمّ العظيم ولذت بالصمت أحدق في فضاء البيت الفسيح، عقدت عزمًا ألا أفارقها

حتى أوصي بها من يقابلني في الطريق فقد اجتمع الحراس في أطرافها تسبقهم فيها عين الإله وتحميها.

فاتجهت لشرقها مهرولًا وقد اخضوضرت معانيها واستقبلتني بعبير رياحينها حتى وصلت لقلعة يحرسها عرادها[1].

توجهت لحارس القلعة أوصيه بالله ألا يغمض جفنه ويحميها.

حارس القلعة أجابني والرضا يرتسم في عينيه: شيدها الآباء كحصن منيع على هذه الأرض العريقة منذ القرن الخامس عشر فكانت شاهدًا على حضارات الأمم وحمتها أكف رجالها إلى هذا اليوم.

حينها شعرت بطمأنينة لحظية حتى أبلغ شمالها وأقصد راهبًا يسكن في ديرها معتزلا في عبادته، فحييته وأخبرته بمقصدي فوجدته مرحّبًا قد شاب على آثارها قائلًا: يسوع الرب يحميك، إن الرب حماها بإيمان أهلها وقد شيد هذا الدير قبل دخول الإسلام لأراضيها وتسامحت كل الأديان السماوية في ظلها، فلا تخشى فهي بحماية من بسط أرضها ورفع سماها.

ودعته وصوته يعلو بصلواته يدعو لي في كل خطوة أخطوها.

حل المساء فتوجهت لساحلها الجنوبي والذي أشرفت عليه قلعة أخرى كما الحصن المنيع تحيطه أبراج في كل زواياها يحميها (أبو ماهر) وقد سميت تيمنًا به وقد جلس في رحابها برفقة

---

١) (عرادها): أهل قرية عراد مسار اللؤلؤ: مشروع يشمل سلسلة من المباني التراثية والتاريخية ومصائد اللؤلؤ في جزيرة المحرق.

شيخ كبير يتبادلان الحديث فيما بينهما فحييتهما بتحية وردا عليَّ بأحسن منها ليسألني عن مبتغاي بعدما استضافني بفنجان قهوة عربية قد تصبغت بلون الذهب البحريني الأصيل، فخضت في حديث مطول معه إلا أنني أدهشني الشيخ الذي كان يتابع النجوم ويخط سيرها في رمال الساحل فصمتّ قليلًا وتابعت حركاته لأوجه له سؤالي عمّا يفعله فأجابني مندهشًا: ألا تعلم أنني أراقب النجوم لأكشف طالعك وأفيدك عما يجول بخاطرك.

قطبت جبيني متسائلًا: «وما قد يفيدني ذلك؟»

رفع صوته مقهقهًا كالواثق من إجابته: إن كل منجمي العرب في شرق هذه المعمورة وغربها قد أقسموا ألا تطال يد اللئام أراضيها وألا يمسها سوء حتى قيام الساعة.

فأجبته والفرحة في قلبي: وبما أنهم قد أقسموا فلا ضير أن المنجمين قد صدقوا.

شارف الليل على منتصفه فعدت لمنزلي على أن أعود في اليوم التالي لأتم ما أرنو إليه.

أشرق الصبح مستبشرًا يرمي وشاحه على معشوقتي، فقفزت من سريري مسرعًا لأقصد مسار اللؤلؤ من أوله.

قصدت غربًا وقد بان لي شعاع المنامة، مدت لها ذراعها فلم

تكتـفِ بـذارع واحـد بـل ثـلاث أذرع[1] لتشـد أزرهـا وتبنـي لحمتهـا وتربـت عـلى كتفيهـا بـين الحـين والآخـر.

تقدمـت بخطـواتي متجهًـا لسـوقها الـذي شـدني بطيبهـا الفـواح فقـد عطـر شـواطرها[2] كل طرقاتهـا بأطيـاب الزعفـران وحـب الهيـل مبتهجـين بحلـوى خمريـة اللـون حتـى وصـل صيتهـا لمشـارق الأرض ومغربهـا، أمـا صاغتهـا فقـد انتـشروا في أطـراف السـوق لصياغـة حـلي مـن ذهبهـا الخالـص والـذي أدهـش عينـي ممـا رأيـت مـن حسـن الصنعـة ودقتهـا، اسـتقبلني فيهـا شـيخ السـوق ببيـاض ثوبـه الناصـع والـذي وقـف شـامخًا بشـموخها مرحبًـا باسـطًا ذراعيـه لضيـوف السـوق العريـق، فرفعـت عينـيَّ إلى رب السـماء راجيًـا أن يطيـل الله في عمـره ليحمـي بهـا قلبهـا ووسـطها.

ثـم مضيـت أمـشي بـين أحيائهـا ورائحـة البخـور وخشـب العـود قـد فاحـت في أزقتهـا، أمـا البيـوت المتراصـة فقـد فتحـت جميـع أبوابهـا تسـتقبل فيـه نفـوس أبـت مفارقتهـا وعشـقت ثـرى الأرض المباركـة.

سـجدت لله شـاكرًا ممتنًـا لعطائـه وعـدت أدراجـي لأطمئـن جدتي وأعدهـا أننـي لم أفـارق هـذه الأرض إلا وقـد أوصيـت كل حراسـها بحمياتهـا تسـبقهم رعايـة ملائكـة الرحمـن وصفـوت الجبـار. ....

***

---

١) (الأذرع): الجسور الرابطة بين المحرق والمنامة

٢) (شواطرها): عائلة شويطر المشهورين بباعة الحلوى البحرين

نداء قطة

د. رانيه مصطفى محمود

« لا ليس مجددًا، ليتني لم أقم بالخروج اليوم ومكثت في بيتي»

تمتمت « رحمة» بيأس ممزوج برغبة في البكاء وهي تستمع إلى مواء قطة صغيرة تقف بجانب الطريق ويبدو عليها علامات المرض.

«لماذا اختارتني من بين كل البشر لتصدر لي أمرًا بالتوقف، لقد قطعت على نفسي عهدًا أمام أمي ألا أفعل ذلك مجددًا..»

يكفي ما حدث لي في المرة السابقة، ما زلت حتى الآن أعاني من آثار المرض الذي التقطته من القطط، كما أنني لم أعد أمتلك قرشًا واحدًا بسبب العملية الأخيرة التي تكفلت بإجرائها للقطة الشهر الماضي؛ لعلاج قدمها التي دهستها سيارة، هذه القطة تبدو بخير، هي فقط تريد بعض الطعام، سأقدم لها إفطاري وسأرحل على الفور.

«ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟»

صرخت «أم رحمة» مفزوعة وقد استيقظت على بكاء ابنتها وهي نائمة وكأنها تتعارك مع أحد ما وتهذي بكلمات غير مفهومة.

«أنا بخير يا أمي لا تقلقي، إنه الكابوس القديم عينه، لا أعلم لماذا عاد لمراودتي من جديد، ظننت أنني تخلصت منه لكنه يأبى أن يتركني كي أنام في سلام.»

تساءلت الأم بلهفة:

هل رأيتِ «رضوى؟ هل قالت لك شيئًا؟ هل أعطتك شيئًا؟ هل سألت عني؟ هل...»

قاطعتها «رحمة» بحدة: توقفي أرجوكِ لم يحدث شيء سوى المعتاد، رضوى تبكي ووجهها مضرج بالدماء، تطلب مني المساعدة وما زلت أقف أمامها كالمشلولة أريد أن أحرك قدميَّ وأتوجه إليها لكنهما تأبيان أن تطاوعاني فأبكي وأشعر بالاختناق.

تدفن «رحمة» وجهها في صدر والدتها التي تقرأ لها بعض آيات القرآن الكريم لتطمئنها بأن كل شيء سيصبح على ما يرام.

توجهت رحمة إلى طبيبها النفسي الذي توقفت عن زيارته منذ أمدٍ طويلٍ، فلم ترَ أيَّ داعٍ للاستمرار في الزيارة بعدما توقفت الأحلام المزعجة التي كانت تطاردها يوميًّا متجاهلة تحذير طبيبها بأنها لا زالت تحتاج لمزيد من الجلسات العلاجية.

رجل في العقد السادس من العمر وقد تسلل الشعر الأبيض إلى رأسه فجعله يبدو كأحد حكماء الأساطير اليونانية، صوته الهادئ لطالما أشعرها بالأمان، فصوتُه يشبه صوت أبيها الذي توفي منذ سنوات قليلة.

«هل حدث شيء ما أثار استياءك في ذلك اليوم؟»

تساءل الطبيب وهو ينظر إليها مباشرة في فضول.

«لا، كل شيء جرى كالمعتاد ولكني قمت بإطعام قطة صغيرة رأيتها على الطريق وقد توسلت إليَّ بعينيها الصغيرتين أن آخذها معي إلى البيت لكني مضيت وتركتها.»

لا أعلم لماذا ظلَّ صوت موائها عالقًا في رأسي طوال اليوم

أتعلم؟ أنا حقًا لا أريد الخروج من المنزل، يبدو وكأن كل قطط العالم لا تجد غيري في الكون لتناديه.

« أما زلتِ تلومين نفسك على موت أختك؟»

تساءل بنبرة حنونة وملامح صادقة

«لا، لقد أخبرتك من قبل أنني تعافيت تمامًا، ولم أعد أفكر في واقعة موتها على الإطلاق، فقد كان قضاء وقدرًا، من الطبيعي أن أشعر بالغضب لأنها أخذت قطعة الحلوى الخاصة بي دون استئذان فقد كنت طفلة صغيرة وقطعة الحلوى تعني لي الكثير، كيف لي أن أتنبأ بأن سيارة ستصدمها وهي في الطريق لشراء واحدة أخرى، ليس خطئي بالمرة.»

ردت رحمة وهي تتجنب النظر إلى عينيه، وتخرج الكلام من شفتيها وكأنها آلة وليس إنسانًا.

«نعم يا رحمة، عقلك الواعي يعلم ذلك جيدًا، لكن هناك عقلًا آخر بداخلك يعي عكس ذلك.»

نظرت إليه بدهشة ثم ردت بغضب: «لا، هذا غير صحيح، والدليل أني لم أعد أرى ذلك الكابوس المفزع منذ ستة أشهر..

«نعم ،هذا صحيح، ولكن هل تعلمين السبب الحقيقي لعدم رؤيتك له؟»

أومأت برأسها وعيناها تتطلعان بلهفة فاستطرد قائلًا:

لقد سعيتِ لتخدير عقلك اللاواعي بقيامك بدور المنقذ،

لقد حرصتِ على إنقاذ القطط لدرجة أن لم تعد لديك حياة،

«لقد حكم عليكِ عقلك بأنكِ مذنبة وعقابك هو إعادة أختك إلى الحياة»

«أختي!!!!»

هتفت بفزع

«نعم أختك. مع كل قطة تقومين بإنقاذها فإنكِ تعيدين أختك إلى الحياة»

ترتاحين من جلد الذات، إلى أن يتجدد لديك الشعور ثانية وتأتيكِ الرغبة القهرية في القيام بعملية الإنقاذ التالية.

ليست القطط من تناديكِ، إن عقلك هو من يطلق إشارات البحث عنهم ليأخذ هدنة من الشقاء.

صار صوت بكاء أختك لا يتوقف ليلًا في أحلامك إلا عندما يتوقف نداء القطط لكِ

انفجرت رحمة باكيةً وكأن كلام الطبيب نكأ جرحها العميق بمشرط حاد.

صرخت في غضب:

«لكني لا أريد إهدار عمري، لم يعد لي حياة لأعيشها، تدهورت صحتي، فقدت عملي عدة مرات؛ بسبب الغياب المتكرر، ولن يقبل أحد توظيفي لأني أسارع بترك عملي ما إن أسمع هذا الصوت.

لم يعد لدي ما يكفي من النقود، لأنني أشتري بكل ما معي طعامًا للقطط.»

ردَّ بثقة وقد بدا كمن وجد مفتاحًا لكنز مجهول:

عقلك الواعي يريد أن يحظى بفرصة عادلة للحياة،

لكن عقلك اللا واعي قرر أنه من العدل أن يحكم عليكِ بالمعاناة، وألا يكون لك حياة، فكيف يكون لكِ حياة وقد كنتِ السبب في القضاء على حياة أخرى- من وجهة نظره-؟

إنه يقودك للتدمير الذاتي؛ لأنه أصدر حكمه عليكِ كمذنبة في انتظار تطبيق الإعدام عليها.

حدقت في ذهول وقد اختلط شعور الحزن مع لمعة عينيها من منطقية التفسير.

حدثت نفسها:

الآن فهمت سبب اقتحام هذا الكابوس لنومي في هذه الليلة

أظهر لي عقلي الباطن أختي في الحلم؛ لكي يتجدد عندي شعور جلد الذات؛ فأقبل الاستمرار في معاقبة نفسي وأرجع إلى حالي القديمة وكأنه يأبى أن يرحمني ويصرف عني العذاب..

ألم أكفر عن ذنبي بعد كل تلك المعاناة!!!!!!

بكت في حرارة قائلة:

«لماذا يفعل بنا ذلك، هل تتآمر عقولنا علينا؟»

ردَّ الطبيب وقد أصبح أكثر هدوءًا واعتدالًا:

«إنه لا يفعل.. إنه يتآمر لنا لا علينا؛ ظهور ذلك السلوك القهري هو مؤشِّر لطريقة تفكيرك، التي قد تختلف عما تقولين بلسانك، طريقة تفكيرك تعكس قناعاتك عن جلد الذات ورغبة الانتقام، أما ما يقوله لسانك فهو أنك تثقين في رحمة الله وحكمته وكأنك تضعين ضمادة على جرح ملوث، وتظنين أنكِ ستكونين بخير طالما أنك لا ترينه بعينيك. ظهور الألم هو وسيلة الجسد لإخبارنا بأن هناك خللًا ما داخل أفكارنا بحاجة للإصلاح العميق، وإلا سيستشري الخلل ليفسد كل النواحي الأخرى في حياتنا.

مواجهـة الألم بشـجاعة، واعتبـاره نعمـة لتنبيهنـا بـضرورة معالجـة السـبب الرئيـس فيـه، وليـس مجـرد إنـكاره، أو تخديـره بالمسـكنات.. الألم يقـوم بحمايتنـا مـن الأفـكار الملوثـة، مثـل هـذه الأفـكار تعكـس عـدم اسـتطاعتك التمييـز بـين النفـس اللوامـة التـي ذكرهـا الله في كتابـه الكريـم، وبـين جلـد الـذات؛ فالنفـس اللوامـة ترجـع دائـمًا للغفـار الرحيـم، وكلهـا ثقـة أنـه سـيقبلها ويغفـر لهـا، وأن هنـاك حكمـة خفيـة وراء كل ابتـلاء، لكننـا نعجـز عـن إدراكهـا وقـت حدوثهـا، ولكـن يجـب أن نـرضى بهـا ونقبلهـا، ونحـن عـلى يقـين بـأن وراءهـا رحمـة ولطفًـا؛ لأننـا نثـق فيـه أكثـر ممـا نثـق في إدراكنـا ومشـاعرنا، وذلـك هـو التسـليم.

أمـا جَلْـد الـذات، والسـقوط في دوامـة النـدم والتأنيـب و- لـو حـدث كـذا لـكان كـذا- فهـو رفضٌ للتسـليم، وشـكٌّ بـأن الله لـن يقبلـك لأنـه يسـعى للانتقـام منـك.

ذلـك التفكـير سـيكون سـببًا في إدخالـك لمنعطـف تدمـيرك لذاتـك وعندهـا سـتظنين أن الله هـو مـن يفعـل بـكِ ذلـك.

وبعـد فـترة مـن الألم، وتدمـير الـذات، سـتفقدين الثقـة في عدلـه، وتقنطـين مـن رحمتـه، ويمـلأ الغضـب وإحسـاس الظلـم قلبـك؛ فيغلقـه بقفـل ليـس لـه مفتـاح، كيـف سـأطرق يومـا بابًـا وأنـا أعلـم أنـه لـن يُفتَـح لي أبـدًا؟

أمـا لـو أيقنـتُ أنـه سـيقبلني دومًـا، وأن رحمتـه وسـعت كل شيء؛ فلـن أتمـادى في ظلـم نفـسي وسـأكون دائـم الرجـوع إليـه عـز وجل.»

انسابت الدموع من مقلتي «رحمة» في خشوع وتسليم مردِّدة:

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

الحمد لله رب العالمين الذي أظهر لي ما كنت أجهله وأراني الحق.

ثم ابتسمت متسائلة:

أأنت شيخي أم أنت طبيبي؟

ردَّ بيقين:

إنما أنا استجابة لدعاء قلبك لله بالهداية والرشد؛ فهو قريب يسمع نداء القلوب ويلبيه

من يدرس طبيعة النفس البشرية لا بُدَّ أن يصل إلى قناعة بأن من خلقها قد جَبَلها على أن تحيا بالحب، والرحمة، والسلام، وأي اختلاف عن ذلك يتم العمل على لفظه للخارج عن طريق أعراض، تجذب النظر لوجود خلل؛ فيتم التخلص منه.

هتفت رحمة في سعادة:

«أشعر بأني خفيفة، وحرة وأن حملا ثقيلا أزيح عن كاهلي»

خرجت رحمة من عيادة الطبيب وهي تمشي كطفلة صغيرة، لا تحمل همّ الغد، ولا تلقي له بالًا، إذا بها ترى قطة صغيرة تنظر إليها في استعطاف.

ضحكت لها رحمة في سعادة، وألقت لها قطعة صغيرة من الطعام، ثم قالت لنفسها:

«لن أتوقف عن حب القطط، لكني لن أعاقب نفسي بها بعد الآن..

أحبك قطتي الصغيرة، لكن يحق لي أن أحظى بحياة.»

أكملت طريقها، ومواء القطة يستجديها، لكنها هذه المرة لم تشعر بانقباض صدرها، بل على العكس فقد شعرت براحة ليس لها مثيل، وكأنها طائر يحلق بين طيات السحاب؛ لأن له ربًا يتوكل عليه.

***

أنا اسمي...

بقلم: منذر كريم

أخذ يسير بين الناس وهم يولون وجوههم إليه متعجبًا من نظراتهم. اعتاد دومًا حضوره بينهم دون أن يتطلعوا إليه، ما زاد من عجبه عندما وصل إلى حانوت الزجاج الذي يتنصف السوق ليطالع نفسه في إحدى المرايا الكبيرة التي وضعها التاجر أمام الباب. ازدادت دهشته من ذاك التحوُّل الذي طرأ عليه، ربما تمنَّى في نفسه ذلك مرات عدة في أن يظهر للعيان، لكنه كان يدرك بأنه لن يكسر ناموسًا من نواميس الكون في شأنه. أما وقد حقق القدَرُ له أمنية كانت ضربًا من المستحيل فعليه أن يغتنمها. يوقن أن دوامها محال حتى يأتي الميعاد الذي تعود فيها الأمور لسابق عهدها، هنا لمعت له فكرة أن يصاحب أول شخص يلج الحانوت كي يخبره عن قيمته في حياته. لم تمض إلا لحظات حتى لاح أمامه شابٌّ في منتصف العقد الثاني من عمره، تبدو على قسماته سنوات فوق عمره. شيب غزا خصلة من شعره منتصف رأسه، وهموم قد حفرت تجاعيد في وجهه.

بـدالي هرمًـا قبـل الأوان، وجدتـه فرصـة كـي أعقـد معـه مـا عزمـت. دنـوت منـه ثـم قلـت لـه:

«صباح الخير.. أقدر أساعدك؟»

فابتسـم ابتسـامة خفيفـة باهتـة تخفـي علامـات التعجـب التـي بـدت عـلى محيـاه:

«إنت شغال هنا جديد؟!»

«لأ خالص»

ردَّ سريعًا.

- بس أول مرة أشوفك.

- أنا صاحب صاحب المحل.

عقد حاجبيه ثم قال:

- غريبة.

سارعته بالسؤال:

- بتدور على حاجة؟

- آه.. كنت عاوز مراية تتحط في الصالة.

أشرت إليه بإصبعي:

زي اللي بره دي

نظر إليها بتمعن، وبعد وقتٍ قال:

- آه حلوة أوي.

عرضت عليه أني سأحمل له ما ابتاعه حتى أوصله إلى بيته، وفي بالي أن ألازمه. وضعت له المرآة وتوقع منِّي أن أهم بالانصراف، تفاجَأ بجلوسي على أقرب كرسي وجدته ليبادرني متسائلًا:

-إنت قاعد كده ليه؟! مش خلاص وصلت الحاجة؟

ابتسمت له بهدوء وقبل أن أتحدث بشيء، كانت ابتسامتي قد أثارت حفيظته فاحتدَّ عليَّ قائلًا:

- يلا امشي.

اعتدلت في جلستي، ثم تحدثت إليه:

أنا حلازمك في كل مكان سواء عاوز ده أو مش عاوزه.

استشاط الشاب منِّي غضبًا، وانتفخت أوداجه واحمرَّ وجهه وأخذ يصب عليَّ اللعنات. أمطرَني بوابل من السباب وأنا على حالي من الصمت، تركته يطلق العنان لثورته عليَّ دون أن ألجمه. لما انتهى من جلدي بسياط لسانه قلت له:

- أنا مقدر غضبك ده، وعارف سببه إيه. سببه المشروع اللي كنت عارضه على صاحب الشغل ورفضه، مع إنك تعبت فيه بقالك ست شهور.

ظهرت على الشاب علامات الاستعجاب والدهشة مما قلته. بدا لي وكأنه يحدث نفسه: كيف بهذا الشخص الذي يراه لأول مرة أن يحيط علمًا بأمر كهذا وهو لم يكن حاضرًا وقت عرض المشروع، وقررت أن أزيل عنه تلك العلامات. قلت له:

- أنا حاضر معاك كل مشهد في حياتك من يوم ما اتولدت لحد ما أنا قُدَّامك، وبعد كده كمان

نظرت إلى محياه. وجدت عينيه قد شخصت نحوى دون أن تغمضا وبدا مرتعبًا مني وقد عقد حاجبيه، وقبل أن ينبس ببنت شفة سبقته بالحديث:

- ممكن تخليني أكمل للآخر؟

أومأ برأسه موافقًا وقد شل لسانه عن الحديث، لكن عينيه كانتا تقولان ألف كلمة وكلمة. فأكملت:

- أنا بأثر فيك وفي كل حد موجود في الدنيا دي. حتى الأماكن ليها أثر أو قيمة بسببي، ليا بصمة عليهاماينفعش تتمحي.

استوقفني قائلًا:

- يا عم أنا اللي فيا مكفيني. مش حتيجي وتكمل عليا. أنا كل اللي كنت عاوز أحققه من المشروع ضاع خلاص. ومعرفتش أقنع بيه المدير.

- لأ تعرف ... إنت بس ما اشتغلتش كويس في الست شهور اللي فاتوا، جيت في الآخر كروتّ المشروع.

- ماحصلش.

- حصل، ويا ريت تسمع كلامي وحُط إيدك في إيدي. إوعك تسيبني أو ماتهتمش بيا.

- أهتم بيك إزاي يعني؟!!

- إنك ماتضيعنيش. كتير أوى نجحوا في حياتهم بس عشان حسن صحبتهم ليا، إنهم اغتنموا وجودي معاهم.

- وانت حتقعد معايا هنا فين؟!

- أنا لعلمك مش بحتاج لزاد، ولا عندي شنط ولا حاكون حمل عليك عشان تشيلني. عشرتي حلوة لابزعل ولا بفرح.

عاد الشاب يتفحصني بنظرات الاستغراب وقد أنزل حاجبيه، ثم رفعهما فجأة ليسألني:

- طب مادام حنقعد مع بعض ممكن أعرف أنا حاقعد مع مين؟!

- لازم يعني؟

- على الأقل إسمك إيه؟

- أنا اسمي...

اختفيت فجأة قبل أن أنطق باسمي. نسيت أن أخبركم بأنه ليس مسموحًا لي بالتكلم أو الوقوف أمام الناس، دائمًا أنا في حالة بين غير ثابتة ومتقدم للأمام، وما دار بيني وبين هذا الشاب من نسج الخيال وضرب من الأماني؛ لكن الناس يستوقفونني في لقطات صورهم وما يسطرونه في مذكراتهم اليومية. وماتناقلته الناس عن ألسنة الحكماء ووثَّقه العلماء في الكتب عني، أنا معروف للجميع؛ لأنني البُعد الرابع في حياتهم.

***

طيارة ورق

بقلم: حنان أبو الخير

«أخيرًا.. استطعت أن أمسك بك»

قالتها سلمى محدثة طائرتها الورقية، وقد لاحقتها لتمسك طرف خيطها، كانت قد اعتادت في مثل هذا الوقت الذهاب إلى شاطئ البحر كل يوم، ذلك الوقت الذي تحاول فيه الشمس الفرار من مصيرها المحتوم في أعماق البحر ذلك هو وقتها المفضل.

«سلمى».. فتاة شابة، أجمل ما يميزها عيناها، فهما بحر من العسل، تعتلي وجنتين حمراوين، تنفرج شفتاها عن غمازتين تزيدان من جمال ابتسامتها، شعرها ينسدل على كتفيها برِقَّة، تتمتع بقوام ممشوق، ورغم تخطيها الثلاثين ببضع أعوام فهي لم تتزوج بعد، أو كما تقول والدتها: «عايزة أفرح بيكي يا لوما قبل ما أقابل رب كريم، نِفسي أشوف عيالك بقى.»

- ادعيلي يا ماما.

كادت تسترسل في تفاصيل ذلك الحوار اليومي للحظات،

لولا سماعها صوت طفل أقرب للصراخ: «لو سمحتي يا «طنط» ممكن طيارتي؟ أهي هناك وشبكت في طيارة حضرتك!»

«طنط»...؟ استدارت سلمى بسرعة باحثة عن ذلك الصوت الذي ناداها بـ «طنط».

متمتمة: «أنا طنط؟».. إمتى حصل الكلام ده؟ فوجدت نفسها غارقة مرة أخرى في خيالاتها متسائلة: هل حقًّا أصبحت «طنط»؟ هل مضى بي العمر إلى هذه الدرجة!!

قطع خيالاتها للمرة الثانية نفس الصوت «طنط».. «طنط» من فضلك؟ بابا مش هنا دلوقت ومش حاعرف أفكها لوحدي»

التفتت إليه سلمى قائلة: «طيب طيب حاضر حاساعدك لكن ماتقوليش يا طنط دي!»

- أومال أقول لحضرتك ايه؟ بابا علمني إني أحترم الكبير!

احتارت سلمى للحظات وسرعان ما تخلصت من حيرتها وقالت له: «قل لي يا سلمى، ده اسمي، وانت بقى اسمك ايه؟»

- يحيى اسمي يحيى، -قالها بنبرة من نفد صبره-.. ممكن آخد طيارتي بقى؟

- يحيى! الله ده اسم جميل أوي! -وأكملت مبتسمة متناسية غضبه- عارف يا يحيى، كان نفسي طول عمري يبقى عندي ولد حلو زيك كده وكمان أسميه «يحيى»!

- شكرًا ياط...قصدي يا سلمى.

- أهـا.. انـت كـده شـاطر، يـلا بينـا نشـوف فـين طيارتـك العظيمـة.

تتبعـت سـلمى ومعهـا يحيـى خيـوط طائرتـه الورقيـة، وحـاولا معًـا فـض اشـتباك خيـوط الطائرتـين.

- «أهـي يـا عـم يحيـى أخـيرًا فكيتهـا» ثـم رفعـت رأسـها بفرحـة منتـصر متابعـة حركـة طائرتـه إذا بهـا تصطـدم بوجـه رجـل ذي ملامـح جذابـة، عينـان خـضراوان تاهـت في عمقهـما، كان الشـيب قـد خـط فوديـه تكلـم بصـوت هـادئ قائـلًا: «يحيـى انـت كنـت فـين، يـالا بينـا عشـان نـروح.»

- «محمـود».. انـت محمـود حمـدي؟ ده ابنـك يحيـى؟ هكـذا سـألته سـلمى بعـد أن دققـت قليـلًا في ملامحـه، فأجابهـا وهـو يمسـك بيـد يحيـى بقـوة: أيـوه يـا افنـدم.. حضرتـك تعرفينـي؟ مـين؟ سـلمى؟؟ يـاه سـلمى؟ زي مـا انتـي مـا اتغيرتيـش؟

- أيـوه يـا محمـود أنـا سـلمى، بعـد السـنين دي كلهـا نتقابـل هنـا؟ وعـادت بذاكرتهـا لسـنين مضـت لا تذكـر عددهـا الآن، ولكـن أحداثهـا لم تغـب عـن بالهـا لحظـة، كان محمـود فتاهـا الأول، قصـة العشـق الأولى، لحظـات الشـوق، كـم عاشـت كل تفاصيـل الحـب البكـر، تذكرهـا وكأن السـنين لم تمـر، حديثهـما الهامـس، ضحكاتهـما نظراتـه التـي كانـت تحتويهـا بحنـان.

«شـكرًا يـا طنـط أوي، يـلا يـا بابـا نصلـح الطيـارة الـلي اتقطعت» قاطـع صـوت يحيـى سـيل ذكرياتهـا بقـوة أكـبر هـذه المـرة هـو يشـد

يـدي والـده بعيـدًا، الـذي أشـار لهـا: أشـوف وشـك بخـير.

تركهـا تتسـاءل: يـا تـرى لمـاذا الآن؟ لمـاذا بعـد أن ظنـت أنهـا تعافـت مـن حبهـا لـه للأبـد؟ وهـل حقًّـا سـيجمعهما القـدر مـرة أخـرى؟ هـل سـيأتي يـوم تكـون فيـه أمًّـا لـ «يحيـى» كـما حلمـت دومًـا؟

أم أنه كان مجرد تشابُك خيوط «طيارة ورق».

***

قومي يا بت

بقلم: دينا المنصوري

دخـل إلى مكتبـه ناويـا مراجعـة بعـض الأعـمال التـي يريـد أن يضمهـا إلى الكتـاب الجديـد الـذي هـو بصـدد نـشره قبـل بدايـة العام ليشـارك في معـرض القاهـرة الـدولي للكتـاب، وكان قـد خصـص لتلـك المهمـة سـاعتين مـن الوقـت لا أكثـر لأن لديـه موعـدًا هـام بعـد ذلـك.

جلـس عـلى الكـرسي وأخـذ ينظـر يمينًـا ويسـارًا ويقلـب في بعـض الكتـب وإذ بهاتفـه الجـوال يصـدر صـوت.

نظـر في جوالـه ليتفقـد الرسـالة القادمـة مـن جـروب المشـاركين في مجموعتـه التدريبيـة، ثـم قفـزت في رأسـه فكـرة مـا...

قالـت إحـدى المشـاركات بالأمـس أن المصـادر التاريخيـة غـير متوفـرة وأنهـا تجـد صعوبـة في العثـور عليهـا. ردَّت مشـاركة أخـرى بـكل ثقـة موضحـة أن موقـع مكتبـة الإسـكندرية عـلى الإنترنـت يشـتمل عـلى العديـد مـن المصـادر التـي سـوف توفـر لهـا معلومـات ثريـة عـن أي حقبـة زمنيـة تريـد الكتابـة عنهـا.

«ما تيجي نفتح موقعة مكتبة الإسكندرية ده وناخد فكرة» هكذا دارت الفكرة في رأس عادل الناشر المعروف والذي يرعى أصحاب الأعمال الأدبية الأولى.

فتح عادل جهاز اللابتوب الخاص به وكتب على المتصفح «مكتبة الإسكندرية» وأخذ يقلب بين نتائج البحث التي ظهرت له. فمنها ما وجهه إلى تاريخ مكتبة الإسكندرية وكيف حُرِقَت ثم أعيد بناؤها في العصر الحديث، ووجهه موقع آخر إلى مواعيد فتح وإغلاق المكتبة وموقعها.

وظل عادل يدور ويدور بين المواقع حتى وصل إلى مراده وهو موقع الكتب التاريخية المجاني الذي تحدثت عنه المشاركة بالأمس.

فتحه وبدأ يجول بنظره متلهفًا لما قد يجده من كنوز تراثية عظيمة.

وبينما هو غارق في بحثه إذا به يسمع صوت أذان المغرب فيفزع ليقول لنفسه: «الساعة كم؟» أنا بعمل إيه؟»

«ده خلاص فاضل أقل من ساعة على ميعادي، مفيش أمل أخلص اللي كنت عايزه.»

تدافعت الأفكار البائسة في عقل عادل ساحبة إياه في بحرٍ من الشعور بالإحباط والارتباك.

فهكذا يفعل بنا الدماغ.. ذلك العضو المعقد الذي لا يتراجع أن يتلاعب بنا لمصلحته.

فهو دائمًا يدفعنا لراحته متخذًا الصراع الدائم بين الدماغ الحوفي. (Limbic brain)

وهو من أقدم وأقوى أجزائه والمسؤول عن البقاء وأسلحة الهروب أو الحرب.

والقشرة المخية الأمامية (Prefrontal cortex)

ذلك الجزء الحديث الراقي المسؤول عن التفكير والمنطق، وسيلة أبدية لإرضائه.

فالدماغ يرفض المهام المملة والطويلة والمعقدة التي تسلبه راحته فييسر لك سبل الهرب لأجل راحته الفورية فذلل لعادل اللف والدوران في مواقع مختلفة وجعله يهرب من مهمة قد تبدو ثقيلة على قلبه.

ولم يتيقظ إلا عندما سمع صوت الأذان لينبهه بانقضاء الوقت وأعاد العمل للقشرة الدماغية الأمامية التي تجد نفسها ضعيفة أمام أسلحة الهروب.

بدأ عادل في الضحك الهستيري عندما تذكر قريبته ريم وهي تقول له الفكاهة المتكررة على مواقع السوشيال ميديا المرتبطة بمشهد لممثلة مشهورة: «قومي يا بت».

تستخدم ريم هذه النكتة لتحفز التفكير المنطقي عن طريق إدراك ما تفعله في الوقت الحالي فتوقظ القشرة الدماغية الأمامية فلا تقع في التسويف.

خـاف عـادل أن تلازمـه لعنـة «قومـي يـا بـت» فتظـل تـتردد في أذنـه. ويـرى وجـه الممثلـة وهـي تنظـر لـه شـزرًا.

فقـرر القيـام بقـوة لإحضـار كوب جيـلي مـن الثلاجة والاسـتمتاع بـه قبـل الذهـاب لموعده.

قلنا وقالوا وقال

بقلم: ندى نبيل

قالت باكية: «ده مجنون حاول يمد إيده عليا الحيوان»

قالوا مستنكرين: «ده جوزك، أكيد انتي نرفزتيه»

قالت حاسمة: «عايزة أطلق مش عايزة أشوف وشه تاني.»

قالوا متوجسين: «مين هيصرف عليكي وعلى عيالك؟»

قالت بنبرة يملؤها التفاؤل: «هشتغل!»

قالوا مستنكرين: «بكام؟ وإيه؟ وفين؟ وعند مين؟»

قالت بيقين: «ربنا يسهل»

قالوا مهددين: «لمي الدور إحنا معرفناش نربي ولّا إيه؟!»

قال باستهزاء: «خافوا من مصاريفك ورجعوكي تحت رجلي»

قالت بثقة مصطنعة: «لا يا حبيبي أنا عندي نفس مستحيل تقدر عليها لا انت ولا هما»

قال بتكبر زائف: «ما أسمعش صوتك تاني خلاص.»

قالت بمرارة وكيد: «هتسمعه إزاي وانت هتتقبر بالحياة.»

قال مجهد: «أنا آسف تعالي نرجع زى زمان»

قالت باستنكار: «لو رجعت هرجع وكلنا هنرجع، لكن الوقت مبيرجعش بيمشي بس لقدام.»

قال يرجوها: «خلاص تعالي نعمل حياة جديدة حلوة على مزاجنا.»

قالت ممتعضة: «كله في إيدك تسعدنا أو تتعسنا.»

قال بطفولة بلهاء: «طيب سمعيني بحبك.»

قالت بوجع: «أحبك! إزاي وانت اللي مديت إيدك عليّا.»

سكت لم يقل شيئًا.

قالت ناصحة: «حِب نفسك فتحبني فأحبك كما تحبها.»

قال كعادته لا يفقه شيئًا: «مَن هي؟»

ردت شاخطة ساخطة: «نَفسك، انت بتضرب نفسك يا عبيط.»

***

البعث بعد الموت

بقلم: سهى سعود

في قديم الزمان، كانت الحضارات تتصارع من أجل البقاء، بحثا عن سبل أفضل للعيش. ومصر كانت تتمتع بالعديد من المقومات والخيرات والهبات كما قال هيرودت الملقب بأبو التاريخ «مصر هبة النيل» وهذا ما جعلها مطمعًا على مَر العصور فتارة اليونان ثم الرومان والمغول والتتار والمماليك. ويأتي الفن ويعبر عن جزء جميل وممتع الا وهو بالرغم من الحروب وما يصاحبها من أهوال.. إلا أن روح الفن لا تعرف حروبًا وصراعات. فنجد نتيجة لوجود الفنانين المصريين مع اليونان والرومان نحتوا ومزجوا ذلك على جدران إحدى المقابر اليونانية الرومانية الواقعة في منطقة كوم الشقافة بالإسكندرية وتعرف باسم الأنتيكا. فالمقبرة نفسها ليس لها مثيل، تأخذ العقول وتعود بك إلى القرون السحيقة، تتساءل كيف حفروا ثلاثة أدوار تحت الأرض في الصخر الرملي بدقة متفاوتة؛ فعندما تصل تشعر أنك تركت العالم الخارجي وارتديت ملابس

الخيتـون والهيماتيـون فهـو الـزي المعتـاد ارتـداؤه؛ فهـو مكـوَّن مـن جزئـين رداء فوقـه عبـاءة؛ فتتخيـل نفسـك وأنـت تحمـل مشـكاة قـد أضيئـت بواسـطة زيـت وتخـرج منهـا فتيلـه بشـعلة خافتـة. وتـرى بعـين المـاضي الكهنـة وهـم يحملـون جثـث الموتـى المكفنـة يربطونهـا بحبـلٍ وتتـدلى مـن فتحـات قـد حفـرت في البئـر الصخـري لكـي تـضيء المقـبرة وينتظـر كاهـن آخـر في الـدور السـفلي ليسـتقبل المتـوفي ليضعـه في مثـواه الأخـير. يـدور حـول البئـر سـلم حلـزوني وكلـما نزلـت واقتربـت مـن الـدور الأول يتضـاءل حجـم السـلم فيصبـح مثـل ممـر منحـدر لتجـد صالـة كاراكلا وهـو اسـم لإحـدى الأباطـرة الرومـان وإن كانـت مسـماه تسـمية خاطئـة لكـن هـذا مـا سـوف تجـده؛ لوحـة عتيقـة قـد وضعتهـا الهيئـة العامـة للآثـار ومكتوبـة باللغـة العربيـة واللـون الأزرق لكـي تشـير إلى هـذا المـكان المجهـول؛ فلـولا اقتحـام لصـوص المقابـر وحفـر هـذا المدخـل بحثًـا عـن كنـوز لمـا اسـتطعنا العثـور عليهـا. تحنـي ظهـرك لتعـبر مـن خـلال ممـر ضيـق تمـت إضاءتـه بضـوء خافـت. لتصـل إلى صالـة كبـيرة بسـقف عـالٍ ومرتفـع. عـلى يمـين المدخـل تابـوت متهـدم أعـلاه لوحـة بديعـة ليـس لهـا مثيـل. لوحـة تعـبِّر عـن تأثـر الحضـارات بعضهـا البعـض وامتزاجهـا رغـم الحـروب والنزاعـات.

فتجـد لوحـة مقسـمة إلى جزئـين؛ جـزء علـوي وجـزء سـفلي. الجـزء العلـوي تظهـر فيـه الأسـطورة المصريـة القديمـة إعـادة إحيـاء أوزيـر؛ فهـو مسـتلقٍ عـلى سريـر جنائـزي وتحيـط بـه مـن عـلى يمـين

وشـمال السريـر إيزيـس ونفتيـس أختهـا. كل منهـما تفـرد أجنحتهـما لكـي تعيـد إحيـاء جسـد أوزوريـس.

في جـزء مهـم مـن الأسـطورة قـام سـت رمـز الـشر بقطـع جسـد لوزيـر إلى ١٦ قطعـة. وألقـى بهـما في أنحـاء مـصر. وأخـذت إيزيـس شـكل طائـر بحثًـا عـن أجـزاء زوجهـا المتناثـرة في ربـوع مـصر لتسـتطيع جمعهـا.

أمـا اللوحـة السـفلية فهـي تمثـل أسـطورة شـهيرة لديميـتر ربـة الأرض في العقيـدة اليونانيـة واختطـاف ابنتهـا برسـيفوني مـن هاديس إلـه العـالم السـفلي فيظهـر هاديـس عـلى عربتـه المذهبـة التـي انطلقـت مـن باطـن الأرض تجرهـا الخيـول وقـد اختطـف بيرسـوفني التـي كانـت تلعـب مـع قريناتهـا وسـط الظهـور وأعجـب بجمالهـا الأخّـاذ.

وهنـا يبـدأ الربـط بـين الأسـطورتين المصريـة وشـبيهتها اليونانيـة لأن ديميـتر تتشـابه مـع إيزيـس في عمليـه البحـث عـن ابنتهـا المختطفـة، وأيضًـا أنهـا حصلـت عـلى جناحـين وبـدأت تطـوف في أنحـاء الأرض للبحـث عـن ابنتهـا المحبوبـة.

ونجحـت محـاولات ديميـتر وإيزيـس ونجـا كل مـن أوزوريـس وبرسـيفوني مـن ظلـمات العـالم السـفلي. وإن اضطـرت برسـيفوني للعـودة إلى هاديـس في فصـل الخريـف لأنهـا أكلـت مـن طعـام العـالم السـفلي الرمـان وهـو الوقـت الـلي بتمتنـع فيـه ديميـتر عـن أزهـار وإخضـار الأرض فتصبـح جدبـاء مـن حزنهـا إلا أنهـا تجتمـع بوالدتهـا

في الربيـع فمـن فرحتهـا تـشرق الشـمس ويعـود الخضـار وتغـرد العصافـير وتنضـج الثـمار.

فهـو البعـث بعـد المـوت. فوجـد الفنانـون تشـابهًا بـين كِلا الأسـطورتين في محاربـة الظـلام الممثَّـل في سـت وهاديـس وانتصـار الخـير والـبراءة ممثَّلَـيْن في أوزوريـس وبرسـيفوني. فكلاهمـا ارتبـط بالبعـث بعـد المـوت، وخصوبـة الأرض ونـماء المحاصيـل...

أنا برتاح لا شفت شمسان[1]

بقلم: كوثر عبد الواحد الشريفي

الحر لا يطاق! الكهرباء منقطعة منذ ساعات، والهواء فاسد وراكد، قد أصابه الكثير من الخمول الذي أصاب كل أهل هذه المدينة المتعبة. «ما الغداء اليوم؟» سمعت سؤال أخي وهو يقرب رأسه من المطبخ الذي تحول إلى حمام تركي لطالما سمعت عنه من الفتيات الباحثات عن عريس المستقبل. توجهت صامتة نحو الفرن وأنا أغالب خفقان قلبي، فقد داهمني الوقت مبكرًا اليوم. أو لأكون أكثر دقة، تأخرت في الاستيقاظ وما زال هذا الصداع يشج رأسي كمطرقة.

أمسكت بالكبريت ويدي ترتجف، وحاولت إشعال عين الغاز. لا شيء! حاولت مرة أخرى، فأدركت بأن الإناء الذي حشدت فيه معظم المكونات لن يتجسد كطعام صالح للاستخدام البشري كما تخيلت. سمعت أخي وقد احتدت نبرة صوته: «لَم تطبخي الغداء حتى الآن؟! فتاة لا تصلح لشيء حقًا!».

---

١) مقطع من أغنية لمحمد سعد عبد الله؛ وشمسان هو جبل يحيط بمدينة عدن في اليمن، حيث يعتبر رمزًا هامًا بالنسبة للكثير من العدنيين.

- ليس لدينا غاز!

- عـن أي غـاز تتحدثـين؟ ألم أقـل لـكِ بـأن الأسـطوانة قـد أصبحـت بثمانيـة ألـف ريـال؟

- يا ربي، ماذا أفعل الآن طيب؟!

- اطبخي بالحطب، هناك الكثير منه في حديقتك.

- أطبخ بالحطب؟! هل عدنا إلى القرية حتى أطبخ بالحطب؟!

تصبـب العـرق مـن جبهتـي، فشـعرت بالقـرف مـن نفـسي. متـى تمـضي السـاعات حتـى أتخلـص مـن هـذا المنـزل ولـو لسـاعة؟ سـمعت أخـي يقـول بعدهـا وهـو يبتعـد عـن المطبـخ: «فتـاة غبيـة!». استشـطت غضبًـا، فتعليقاتـه زادت مـن ضيـق هـذا الهجـير، ولكنني أعلـم بـأن قسـوته ستتلاشـى مسـاءً حـين يشـعر بالذنـب عـلى كل مـا قالـه لي. هـذه عادتـه اليوميـة السـخيفة.

منـذ أن توفيـت والـدتي قبـل عامـين، أخـذتُ مكانهـا في هـذا المنـزل الـذي لم أعـد أطيقـه. أعـود مـن الجامعـة لأطهـو الطعـام، ثـم أنظفـه شـبرًا شـبرًا. أتأكـد بـأن جميـع إخـوتي بخـير، وبـأن أبي وأخـي قـد أحبـا مـا قمـت بطبخـه اليـوم. أمـر مضحـك لأنهـم لا يتلـذذون بـها آكلـه، يأكلـون كالمفاجيـع فحسـب، فأشـعر بـأني أتفنـن لهـم عبثًـا. سـيأكلون كل شيء عـلى نفـس الوتـيرة وسـيعلقون بنفـس التعليقـات، فعـلامَ كل هـذا التعـب؟

أكملـتُ عمـلي بسرعـة، وتجاهلـتُ كل شيء. كانـت رائحتـي مقرفـة للغايـة، ولكـن غسـلة بـاردة تامـة تخلصـت مـن آثـار هـذا

اليوم الأسود. عطلة قالوا عنه! حشدت هاتفي المحمول – الذي كان ينازع– والكتاب الذي ينام على فراشي كل ليلة من هذا الأسبوع في حقيبتي الصغيرة، ثم ذهبت إلى البقعة الوحيدة التي تحتويني في هذا الكون: شاطئ كود النمر، حيث تلتقي السماء بالماء، بالبحر الذي يرمي نحونا نسمات ترحمنا من انطفاء الكهرباء المتكرر. هناك يصبح الهواء الراكد متحركًا من جديد، فأغفر لهذه المدينة أساها وأنينها، وأبكي مع كل موجة تأتي نحوي لتثبت جبروتها وحضورها رغم كل هذا الوجع. أراقب الجبال المتفرقة البعيدة وأتمنى لو أني استطعت السباحة إليها هربًا من هذا العالم، فأصطدم باستحالة أمنيتي جسديًا.

أخرجت الكتاب الذي كنت أقرأه وشغلت الموسيقى على هاتفي شبه الميت، ثم غرقت في عالمي. كانت الرواية تتحدث عن جزيرة في اليونان. عن بساطة وتواضع كل شيء فيها، عن العفوية والجنون اللذين جعلاني أستغرب بأن اليونانيين يمتون لأوروبا بأية صلة! هل تتحدث هذه البطلة عن اليونان أم عن عدن؟! كنت ألتهم الأوراق التهامًا، وأشعر بصدري يثقل. هل هذه البطلة معتوهة لتترك حياتها في أمريكا وتعود إلى جزيرتها النائية؟ كيف تعود إلى واقع تعيس كهذا؟! ليتني مكانها... كان دمي يغلي بالغضب، وأنفاسي تتسارع في إيقاعها غير المنتظم. هدأت بعض من الثورة في داخلي حين سمعت من هاتفي صوتًا حانيًا قبل أن ينطفئ: «أنا برتاح لا شفت شمسان» .

***

نهار

بقلم: دينا البرجي

في فجر يومه الأول لعمله الجديد تُوقظه عدة مشاعر متداخلة لا يستطيع التمييز بينهم، ولكن أشد ما شعر به اهتزاز برأسه وتسارُع ضربات قلبه، نهض ببطءٍ من سريره تتحسس يده كل شيء حوله ليفتح نافذة الغرفة الوحيدة بالمنزل كعادته ليستنشق ما يكفيه من رحيق الصباح بتمهلٍ مغمض العينين تارة، متأملًا ألوان السماء الغامضة تارة حتى هدأة رأسه واستقر قلبه قليلًا.

يستدير استعدادًا لوضوء صلاة الفجر، يجد في المرآة رجل يكسو القلق انطباعات وجهه، وحتى في تصلب حركات جسده.

فيحاول أن يحاوره مندهشًا ممَ أنت قلق؟! أبسبب التغيير الذي أنت مُقدم عليه برغم خبرتك المهنية التي قربُت على العشرين عامًا أم بسبب أنها مسؤولية مختلفة لم تعداها؟ يتنفس قليلًا ويمسح وجهه بالماء البارد، ويعود ليستفهمه بصوت تشوبه مشاعر الإحباط والغضب قليلًا - كيف؟! لِم أنت بهذا الحال؟!

وكأن نسيج بساط الأمان ينسحب من تحت قدميك كالمُضحي بنفسه للغرق في متاهات تلاطم الأمواج.

يهمهم بالاستغفار طويلًا ويشرع في الوضوء إلا أن إلحاح الاستفهام يهاجمه ليستوقفه مرة أخرى يشعر في المرآة بنظراتٍ منكسرة حائرة طالبة للجوء إلى مرفق احتواءٍ وحب.

فردَّ عليه اطمئن يا أخي لعله خيرٌ.. لا بأس بقليل من القلق فهذا حال التغيير، أولست بشرًا فلا تستنكر حقك أن تشعر مثل تلك المشاعر.

أخذ نفسًا عميقًا ورأى عتمة الفجر تبدأ بالزوال من أعلى زجاج النافذة.

همّ يتوضأ بالاستغفار والشكر لله ليتذكر نعمته عليه فيما حققه من استثمارات ناجحة على نواحٍ مختلفة في حياته.

خطفته ذاكرته ممتنًا لعلاقاته الاجتماعية، والعملية، وسعيه الدراسي في مجالات مختلفة - آآهٍ الحمدلله على كل حالٍ أنا فيه بفضل الله ولكنه يبدو إرهاق الركض يؤرقني أحيانًا من فرط شعوري بالمسؤولية تجاه كل ما أفعله حتى في تأخري في مواعيد لقائي برب العباد، فقط هذا القرب هو تعويضي الأكبر في الحياة.

فرغ من صلاته.. الحمد لله نعم قد هدأتُ واهتديتُ، ينظر إلى سريره ومحتويات غرفته المفردة متسائلًا رجل ناضج يعي المسؤولية.. إلى متى؟! أتدري أن هذا ما ينقصك؟ لن ينفعك الهروب من تلك الحقيقة هذه المرة.

***

لمرة واحدة

بقلم: دينا البرجي

بدأ افتتاح الحفل مساءً والموسيقى الكلاسيكية تكسو سماع الحاضرين بنغمات من حرير، وصل متأخرًا لكنه استطاع أن يأخذ مكانه وبدأ بجولته يتحسس ما يجب أن يفعل، فلم يعتَد زيارة مثل تلك المناسبات، أخذته الحيرة سعيًا في استنكارٍ رغم لم يمضِ سوى ربع ساعة على مجيئه..

- ماذا أتى بي إلى هنا؟ يا إلهي ماذا أنا بفاعل؟ لِمَ الموسيقى تصرخ في المكان وكأنها تنصب في إلحاحٍ في أذنيَّ رغم أنفي؟ إممم أراها غير منطقية كل تلك المساحات الواسعة وفارغة بين الحوائط!! يبدو أن الفراغ يقتلهم!

أشعل سيجارته ليُلهي الملل المنتقد الذي ينتابه بدلًا من ملاحظة الآخرين لتعابير السخرية على وجهه مما يُشاهد حوله خلال جولاته.

- عليَّ أن أُقدر هذه الدعوة المخصوصة.

حتى صُدمت عيناه برؤيتها منفردة، متفردة الطلة في إحدى

الحجرات الواسعة المُطلة على الحديقة الخلفية للفيلا. طال النظر إليها يتأملها - أهي موجودة حقًّا؟! معها نسي كأسه، حتى أفاق على لسعةٍ من سيجارته التي لم يشرع بتدخينها. متناسيًا ذاكرته التي آلفها سابقًا. قدمٌ تقترب والأخرى تتراجع ويُشتت الفضول أنفاسه.

تمالك شجاعته وأدنى إليها متفحصًا تفاصيلها

- ما هذا؟ كيف فعلها؟ يا لها من عبقرية! قال لها - أيعقل ساطعة باهرة!.. يسمعها توشوش روحه كحبيب - استرح في قربك معي، أنت بخير..

تسترخي تعابيره ويبدو وجهه وجد تجاعيد جديدة ترتسم من إطالة ابتسامته. نجد المارين حوله من الحاضرين ينجذبون لهذه اللوحة أيضًا. تفقد المكان حوله إذ به يرى الموسيقى، وكأن أنفاسه تتناغم بالرقص معها.

- لست وحدي معكِ، كأنك سهام نارية تتخطفينهم ليحلقوا معك حيثما يريد كلٌّ منهم حسب أفلاكه الخاصة، عجبًا لكِ! ولكني أشعر بأمان خصوصيتي معك...شعر بهزة ثقيلة في ذراعه

- كيف حالك يا صديقي سعيدٌ حقًّا بقدومك افتتاح معرضي التشكيلي.. يا له من زمنٍ!!.. عزيزي ماذا بك؟!!! أتشكو من شيء؟!!!

- حقًّا أشكرك على دعوتي رغم دوام سخافات تعليقاتي لك.. حيَّاه بحضن ثابت يربت على ظهره بدقات تريحه من عناء يومه

الشاق فيطمئن قلبي.. قل لي كيف أتممتها هكذا؟!.. لا أرى غير رغبتي في الجلوس أأنس بالتحاور معها طوال الليل، أتحسّر كثيرًا لافتقادي هذا الحال.

- أتعلم؟ أتنهد في كل مرة لمثل هذه الأسئلة.. فهذه بالذات حصيلة عشرتي مع نفسي وروحي طوال بحثي عنهما في العشر سنوات السابقة، حتى سكنّا سويًّا في ودٍّ وتآلف وحُبٍّ مع الآخرين.

- أتفهّم الآن لِمَ هي مميزة المساحة على الحائط بلا منافسين لها في أفخم حجرة، صَدقت فهي لن تُشترى بأي مالٍ.. مدينٌ لك بمشاركتك لنا هذا الإبداع السخي الذي استرديت معه تجميل أفكاري ومشاعري.

قَرُب وقت الاحتفال على الانتهاء، مُستقبلًا معه تهنئة الجميع كسابق عهدهما.

حديث تائه

بقلم: دينا البرجي

يأتي غريبٌ ذات يوم.. لتراه ظنون العين.. ويتحدث بقلب تائه..

من داخل كافيه، أمام زجاج سميك مواجهٌ للبحر، يوجد منضدة مربعة الشكل صغيرة من الفرفروچيه لفرد حيث يوجد كرسي مُطلّ على ما يكفي لإمتاع المشاهدة والمجالسة أمام البحر الهائج في انفعالاته في أيام الشتاء السكندرية بنوّاتها المجنونة. لنجد على هذا الكرسي تجلس فتاة في أواخر العشرينيات من عمرها، ذات الملامح الشرقية الدسمة بوجهٍ مستدير، والعينين الواسعتين اليقظتين البنيتيّ اللون، والشعر القصير كثيف التموُّج، وبشرة قمحيه تجف سريعًا من البرد، يبدو من قصر طول ظهرها وضيق عرض كتفها أنها ليست بفتاة ممشوقة القامة، جالسة تتفقد الطبيعة من هذا البعد خلف الزجاج، لتدع مساحة لعينيها تسرح هاربة في خيال حركات الأمواج ما بين ألوانها الأزرق والأبيض، بينما تحاول قراءة ملفات خاصة بعملها وإنهاء

بعض التقارير فإنه يوم السبت وهو من أيام العطلة الأسبوعية في عملها.

تريح ظهرها ببعض الإيماءات والنهوض والجلوس سارحة في المدد أمامها - إني أجتهد كثيرًا وترهقني التفاصيل التي لا تنتهي، فلا أدري أدقيقة أنا أحنبل المسائل أم هي ذمة وأمانة، أسعى فقط لشيء يزيد شأني علوًا فقسم المالية يتحقق في كل صغيرٍ ليرى اكتمال هدفه الأكبر، وهذا ما أمارسه بالتبعية حتى في مختلف حياتي ككابوس يطاردني، أشعر أني سئمت إمكانياتي لبطئي في الإنجاز، فلا بُدَّ أن أجتهد في الدراسات ومتابعة الجديد لحصولي على الترقية...حينها لن تسعني الدنيا فخرًا بشهاداتي في كل مكان.

ينكب رأسها على الطاولة لبضع دقائق تكمل حديثها - حذاري أن تخدعي نفسك.. أتعلمين حقًّا ما تريدين؟! أم هذا تعويضًا لنفسك؟!

فالمكان يملؤه البرد بالهدوء، وكأن الجالسين ينصتون بترقب لإحساس أشعة الشمس الصفراء، المناضلة لظهورها من خلف تزاحم السحاب الرماديّ من أمام بحرٍ تتصارع أمواجه بعضها البعض في سرعةٍ واستفزاز حتى تتلاقى السحب الرمادية مع سطح البحر الغامض في بُعده بلونٍ نيليٍّ باهت وقد تسمع

خفـق الأقـدام وصلصلـة الفرفروچيـه عـلى الأرض مـع صـوت خافـت لأغـاني فـيروز «رجعـت الشـتوية» وكأنهـا مـن تقاليـد الشـتاء السـكندرية.

الفتـاة عـلى المنضـده تتكـئ رأسـها عـلى ظهـر يدهـا اليـسرى، وتتصفـح أوراقهـا بعـينٍ ليسـت حـاضرة في عملهـا فتبـدو أعـين تائهـة بـين رغبـات الطمـوح وبـين الاحتيـاج، غافلـة عـن صِـدق حالهـا. ومـن آنٍ لآخـر تخطـف النظـرات لأفـق التقـاء السـماء بالبحـر.

وبعـد مـرور بضـع سـاعات مـن محاولاتهـا النشـطة في اكتـمال مـا تعمـل، يهـب جوفهـا بصدمهـا وينهـار جوعًـا، تتحسـس يدهـا جسـدها لتطمئـن عليـه. فـترى عينيهـا تُطـلان عـلى مَـن حولهـا بشـغفٍ؛ كشـوق اللقـاء لحبيـبٍ غائـب؛ فهـي باحثـةٌ عـلى مـن يدلهـا عـلى قائمـة الطعـام السـاخن الشـهي ليُـدفء دمهـا ويزيـد مـن بهجـة حضورهـا.

فـإذ هـي تتنـاول طعامهـا في سرعـة ولهفـة كأنهـا تلاحـق قطـارًا سـبق محطتهـا. تتلـذذ سـخونته في فمهـا، لإرجاعـه حيويـة حمـرة خدودهـا.

تلمـح بنظـرة خاطفـة غـير مقصـودة بطـرف عينيهـا؛ أسـفل الكافيـه شـاب أوقَـفَ قطـارًا مضـغ طعامهـا لثـوانٍ معـدودة، حيـث يُعَـد هـذا زمنًـا طويـلًا أمـام وصـول القطـار لمحطتـه الهضميـة. تتناسـى فيهـم سـخونة فمهـا لحضـور دفءٍ آخـر يكسـو أفكارهـا

ويسترخي جسدها رغم حضور برد الرماديات المحيط بما هو حولها، في لحظةٍ ارتبك ريقُها عن فهم آلية تعامله مع طعامها.

فأخذتها ابتسامة خفيَّة خلف شفتيها، لنرى يقظة نظراتها، وكأنها رأت حلمًا سعيدًا في خيالها.

- قائلةٌ: مَن هذا الغريب!!!

هامسة نفسها ببطء، بصوت خافت غير مسموع، رافعة أحد الحاجبين، وكأنها وجدت خريطة طريق لمتاهتها وخططت عليها مسار أقدامها.

تكاد هي أن تنتهي من إتمام طعامها بإتقان، فلم يلهِ قطارها شيء عن إتمام المهمة بنجاح لتظهر الصحون بلونها الأبيض، ناصعة لامعة كما كانت من قبل.

- الآن عليَّ الاجتهاد بنهم، سُنحت لي فرصة لتحقيق هدفٍ، كالفوز في مباريات كرة القدم.

ولكن تُرى لِمَ هذا الدفء الغريب الذي تسللها.. وماذا يجول بخاطرها لإرضاء ابتسامتها الخفيّة؟..!!

تضع من عطرها قليلًا وتترك أشياءها كما هي، وتنزل تتفقد المكان أسفل الكافيه، وفي جرأة داخلها ولكن بلا ظهورٍ يلمحه

أحـدٌ، فيكفيهـا انتشـار عطرهـا فهـذا منطقـيٌّ لوجـود أنثـى دون أي مبالغـة.

تجـد ذاك الغريـب محدثًـا آخـر ويبـدو أنهـما ينويـان الصعـود، فتمـر هـي بجانبهـم تديـر ظهرهـا أمامهـما، وتصعـد ثانيـةً لتجلـس مكانهـا، والحـماس أخـذ مرتبـة عندهـا! - هكـذا ربـما نلتقـي، دعينـا نأمـل في الحيـاة ونشـعر بالفـرح قليـلًا!! فهـذه الرغبـة تُشـعرني بحيويـة بـذاتي.

يصعـد الغريـب ومعـه مـن كان يرافقـه بالأسـفل، ويجلسـان عـلى منضـدة في أقـصى اليمـين حيـث هـدوؤه نسـبيًّا في المـكان ليسـاعدهما عـلى التركيـز فيـما أرادا أن يفعـلا.

وقبـل صعودهمـا بعـدة ثـوانٍ، لملمـت الفتـاة أشـياءها، وتركتهـا عـلى نفـس المنضـدة، لتذهـب إلى الحـمام كضيـاعٍ للوقـت حتـى صعـود ذاك الغريـب. فتخـرج لتجـده جالسًـا في مـكانٍ محايـدٍ مـن وجهـة نظرهـا. مـكان قـد تسـتطيع مـن خلالـه مراقبتـه ولفـت انتباهـه.

فتختـار منضدتهـا الجديـدة بعنايـة، ليسـت بمواجتـه مبـاشرةً وإنـما تسـتطيع توجيـه كرسـيها كـما تريـد. فتنـادي عـلى الجارسـون ليحـضر لهـا أشـياءها مـع فنجـان الكابيتشـينو الحجـم الكبـير. يؤكـد عقلهـا – تفرغـتُ الآن سـأمكث طويـلًا..!

تنظـر هاتفهـا لتتابـع رسـائلها الفارغـة الأهـداف والمحتـوى لتسـد فراغهـا، بينـما حقيقـةً تنظـره هـو، تتفحصـه عـن قـرب وتمعُّـن لامـع في ذهنهـا.

جلس الوسيم المزعوم، يرتدي قميصًا قطنيًّا قيّم الخامة، نيليًّا فاتح اللون وچاكيت أسود جلدًا شتويًّا وبنطالًا چينز وحذاؤه كأحذية تسلُّق الجبال.. هكذا تنظره هي وكأنها تتلقى تلقين للعلم.

جالسان ويبدو على وجهيهما الجدية وأمامهما الحاسوب، يتناول هو فنجان الإسبرسو، بينما يدخن صديقه.

- إذًا ماذا يتطلب مني أن أفعل؟ وكأن الحيرة تمتلك مفاتيح قدراتي!

ويمر من الوقت ما يكفي ليُشعِل الملل قلق ينتابها تجاه إحباطٍ أصابها - أفشلتُ أن يلاحظني؟!

تتناول هاتفها المحمول مع رشفة أخيرة من مشروبها الساخن لعلها تُلهي ما هطل عليها من إحباط ويأس. ولكن نرى الإصرار لا يغادر عينيها.

إذ بأغنية إنجليزية مشهورة بالعموم ويُعجب بها غالبية الجمهور، بصوت مرتفع تملأ المكان فجأة لعدة ثوانٍ بلا سابق إنذار.. فيتوجه جميع الحاضرين بالنظر نحو اتجاه مصدره، وأخيرًا تجد الفتاة ذاك الغريب وهو ينظر لها، فهي مستعدة بتشوُّق لهذا اللقاء الذي لن يتعدى الدقيقة. هكذا أفادتها لياقة خططها

وأفاقت من خيبتها. وهي لا تبالي لأيٍ من الحاضرين ولا تنظرهم، فقط هذا الغريب وحده هو مَن تريد.

ينظرا لها بنظرة تعجب - لِمِ هذا الصوت الذي قطع علينا تركيزنا فيما نفعله!!

تلتقي عيونهما صدفة، ولكنها تحدق بقصدٍ موجهة إليه طاقتها للتعرف عليه. تفعم عيناها بلمعان هذه الطاقة التي تضيء وجهها قليلًا، مما يرسم على وجهها تعبيرات وكأن كلامًا غير منطوق لا يجوز البوح به.

تهز كتفيها لأعلى قليلاً محركة شفتيها بابتسامة خفيفة قائلة بلغة صامتة: آآآسفة.. وتلغي صوت الأغنية المرتفع.

يستشعر الغريب بلا وعيٍ منه رغبتها بالتعرف عليه، فهذه هي الطاقة المنبعثة من عينيها وكأنها أصابت هدفها الأول بلفت انتباهه فعلًا. نجده أعطاها مساحة من الوقت لتُطيل التعبير له، لكنه في حقيقة الأمر يعطي المساحة لنفسه ليتذوق فضول خفيف أصابه تجاهها. هكذا تجاوب معها في لقاء لا يتعدى الدقيقة.

هكذا حدث اللقاء الأَوَّلِي التي تتمناه تلك الفتاة بعد أن أرهقها عددٌ من المحاولات الحائرة.

- أسيكتفي بهذا اللقاء فقط؟!، ماذا بك هذه النظرات لا تكفيني؟! لقد جلست في الكافيه لوقتٍ طويلٍ ويكاد ينتهي يومي أو انتهى بالفعل. أووووف نفد صبري!!! أتعلم ربما لا تروقني كفاية؟! ولِمِ كان العناء من البداية؟ ظننتها فرصة فيما يبدو قد تكون ملائمة.. أو ربما أردت تسجيل نصرٍ ما أستحقه.

تتنهد طويلًا - لسنا في بلاد الغرب لأنسخ رقم هاتفي المحمول في ورقة، وأنشر عطري عليها، كي أضمن اتصالًا منه. أو أطوِّح ورقة مع كتابة كلمة رشيقة ناعمة لك.. لا أجرؤ أن أفعل ما يحلو لي وأعبِّر عما أشعر بلباقة وشجاعة أدبية، فمثل هذه الحرية والتعبير مشنوقان عندنا حتى وإن التزمت بقيمي.. لا لا لا.. حقًّا لا أشعر بأريحية مع تلك الحريات، إن أراد هو، همَّ بالقول والفعل، هذا دوره ليست مهمتي مطلقًا.. فالأمر بسيط ولا يحتاج لكل هذه التعقيدات، فقط أريد السعادة ما العيب في ذلك؟! سعادة في عملي وكسب مال يريح معيشتي، سعادة مع مجتمعي الكبير والصغير والعائلة، مع شريك أحبه ونسعد سويًّا.. لِمَ قصص الحب من حولي تحيطها المراوغة والمماطلة إذًا!!

يأخذها التفكير.. تُلهي نفسها في هاتفها تتصفح الإنترنت وصفحات الميديا. تائهة، فهي لا تدري ما يُخبئ لها الغريب من ردود فعل - ماذا إذا حدثني فعلًا؟! لست جميلة كثيرًا ولست

ذات جاذبية أنثوية قوية فِلمَ أتوقع مبادرته بالحديث معي بشكل سريع وسهل.

ولكن يزداد البرد والسقيع عليها فنوَّات الشتاء السكندرية قاسية أحيانًا على أهلها. تستشعر الفتاة الفتور والبرودة تصادق مشاعرها المترقبة الممزوجة بأسى الخسارة والإرهاق المُلم بها من طول نهارها.

تنظره مرة أخيرة بشكل مباشر وصريح. يبدو عليها أنها تنوي المغادرة ولكنها تعطيه الفرصة الأخيرة، فهي لا تستطيع الجلوس منتظرة أكثر من ذلك في ضجر تائه. بينما هو غارقٌ في العمل على الحاسوب مع صديقه، غير مبالٍ بها ولا ينظرها مرة ثانية.

تنظره وكأنها تحاول التعرف عليه في خيالها: أهو شخص لا يبالي فعلًا برغم ما أصابه من فضول ولو بسيط؟.. ألهذه الدرجة هو شخص أمين في سلوكياته وقويٌّ يحترم مبادئه؟!.. برغم ما هو شائع في مجتمعنا بين الفتيات أن أولاد آدم نهَّازون للفرص. ربما مَن معه هو ليس بصديق ولا يريد إحراج نفسه أمامه.

تسقط حقيبة الحاسوب الفارغة الخاصة بها عن عمدٍ منها فصارت كعلامة بأنها راحلة ولكن يتدحرج منها كرتها

الإسـفنجية مصادفـة لتكـون عـلى مسـافةٍ قريبـة منـه، فتمـشي خطوتـين نحـوه، أي نحـو الكـرة لتأخذهـا مـن عـلى الأرض ببسـاطة في التعامـل ورزانـة في الحركـة، محدِّثـة نفسـها: يـا للعجـب.. تشـاء مشيئة الـرب عنـد توقيـت ذهـابي.. برغـم طـول وقـت جلـوسي.. مـع أن نفـدَ كل مـا أملـك مـن صبر وطاقـة ومـع ذلـك مَـن يـدري!!

يبصرهـا هـذه المرة بدقـة أكثر، إذًا يبـدو أنـه ليـس بالشـاب مهمل للفـرص.. لكنهـا لم تلاحظـه إلا أثنـاء نهوضهـا وتـدرك تركيـزه معهـا.

تنـادي الجارسـون لتطلـب الحسـاب بينـما تجمـع أشـياءها فيكفيهـا مـا انقـضى مـن الوقـت ومـا حـدث.

هكـذا تقـرر أن تمـشي في بسـاطة، فلديهـا مـن المسـؤوليات والأنشـطة الأخـرى مـا ينتظرهـا، ولا تنـوي بـأن تنتظـر جمـالًا فارغًـا أضـاء الإبهـار في نفسـها لقليـلٍ مـن الوقـت.. فهـي تعلـم أن سـتتكرر الفُـرَص وتتنـوع المظاهـر أيضًـا وهكـذا يتجـدد الإبهـار.

تأتيهـا الفاتـورة وتضـع المـال المطلـوب، تهـمّ بلـمّ أشـيائها وترتـدي معطفهـا البيـج الكاروهـات مـن الخطـوط الرفيعـة مـن الأحمـر والأخـضر، ترتديـه عـلى بنطـال الجينـز وقبعـة بنيـه تحميهـا مـن تلاطـم الهـواء الطائـش برأسـها الصغـيرة، وحـذاء البـووت البنـي، فكلهـا ألـوان دافئـة تحميهـا شـعوريًا مـن صقيـع الشـتاء.

تمضي في هدوءٍ أبهتَ من حيرتها وأخمد غضبها، ولكنه أربكَ أرباب حيلها. فبات الصراع بين تنهيدة الإرهاق في صدرها وبين عِند عقل يرفض الانهزام. فلم يعبأ جسدها لصراع كليهما وأصر على اللجوء لمسكنه، فهو فقط جسد أرهقه البرد وفرط الحركة، وانتباه العضلات، وشتات الذهن والأفكار وتقلُّب المشاعر، مصارعًا ما مرَّ به بصبرٍ لينال الاسترخاء في أحضان سريره.

تنسدل ستائر انتهاء عمله مع شريكه بالعمل فيُسرع بتوديعه. ينظرها هذا الغريب بتردد بينما تمضي هي.. - أستمضي حقًا؟! لم يتسنَّ لي الوقت لأتفهم الفضول الذي أصابني تجاهها، جذبتني حقًّا.. أووووف دومًا عندي أولويات تطيح بفُرَص أخرى... ألم تلحظ هي أني شارد الفكر في لقاء عملي فتنتظرني قليلًا قد أوشكت على الانتهاء... يا إلهي أبدو بتفكيري أنانيًّا متغطرسًا، هذا شأني لقد جذبتني وتكاسلت مقابل ذلك.. كعادتي.

- أخشى المبادرة من حينٍ لآخر وأختفي خلف المظهر الأنيق القيم الذي أرتديه كدرع حماية فيهبني الهيبة والثقة.. هكذا أرسم حدود الآخرين معي لعدم تساهُل اختلاطهم بمشاعري.. أتخاف القرب من قلوبٍ مشاعرها حيَّة نابضة من الجنس الناعم؟!! أووووف يا خيبتي!! أعني يا الله...

- والنتيجة تظن حسناوات مجتمعي ومعارفي بأنني شخصٌ

جامـد القلـب دون مشـاعر، لا أبـالي جمالهـن، وعذوبـة أنوثتهـن.. صحيـح فهـن محقـات، فـلا ينقصنـي شيء ليكـون لي مبـادرة تعـارف حقيقيـة وجـادة تجـاه إحداهـن.. فقـط ينقصنـي رؤيتـي لـذاتي الحقيقيـة التـي أخشـى مواجهتهـا وتتعـرى معهـا مخـاوفي وآلامـي.

- مـاذا إذًا؟!!! لقـد رحلـت، تركتهـا ترحـل وأنـا مُعلَّـق، غـرق بـين قـدرة لم أسـتطع عـلى تفعيلهـا كرجـل في منتصـف الثلاثينيـات، يحرسـني ربي، ممشـوق في طلتـي متوسـط القامـة، كتفـي ليـس بعـرض العمالقـة، ذو شـعرٍ مهـذَّب المظهـر، أعمـل بـدأب وجديـة، أتمنـى أن أرتـاح مـن حفـر مسـارات في جبينـي وعقـدة حاجبـي المنفرتـين ذواتا الانطبـاع الشـديد، ولكنـي أحمـد الله كثـيرًا كثـيرًا عـلى قـدرتي في البـدء في مشروعـي الخـاص والعمـل فيـه، بالنسـبة لي تحقيـق كيـاني الخـاص، لعـلي أهتـدي لمسـتقبل مسـتقر يُسـعدني، فـلا أجـرؤ عـلى التعامـل مـع تفاصيـل عمـلي الـذي بمثابـة طفـلي برفاهيـة سـواء الصغـيرة منهـا أو الكبـيرة، فجهـدي وسـعيي منصبَّـان في تخطيـط مشروعـي وتطويـره.

وبالرغـم مـن جديتـه الظاهـرة في العمـل وبـصره الـذي لا يبـالي بـما هـو حولـه، نسـمع ضحكاتـه العفويـة البريئـة تجلـل المـكان، كـما يدغـدغ الأب طفلـه الرضيـع.. - ورغـم كل ذلـك أتذكـر أن لم يمنعنـي انتباهـي بالعمـل مـن الضحـك مـن آنٍ لآخـر مـع شريكـي لكـسر الروتـين وبتحريـك جسـدي وفـرد أرجـلي مـن ملـل طـول الجلـوس.. فحـين قالـت «آآآآسـفة» وانتبهـت أكثـر لهـا أحببـت الاسـتمتاع بسـماع صوتهـا، كنـت مـن حـينٍ لآخـر لمّـا أراد عقـلي

الاسترخاء لثوانٍ هروبًا من همٍّ ما أشغل ألتفت لأنظرها، مرة تلو الأخرى اعتادت عيني بالتوجه للنظر إليها، مع تحفظ عدم المبالغة، ورغم ذلك فإن ليس ما اعتاد هذا، هو ما يغويني. هي مجرد لفتات لشيء مختلف عما أفعله ترخي امتداد بصري وذهني، كما يؤثر مشهد البحر والأفق فيّ.. فهل لاحظت الفتاة ذلك؟! آآآآخ لست نزيها أيها الخبيث.. أود أن أعترف لنفسي أنها أنثى ذكية وواضحة صريحة، أرادت أن تجذبني ونجحت، العيب على كسلي أو غروري الذي أخفي وراءه أشياء ترهبني.. أتمنى لو كنت بادرت بالحديث معها كنا نستحق هذا اللقاء، لعلني تعلمت الدرس هذه المرة.

***

إلى أن

بقلم: هيام رضا

استيقظت ليلى في السادسة صباحا على غير المعتاد، نظرت إلى هاتفها لتجد رسالة من ابنتها تقول «أمي الحبيبة أعرف أنك تحبينني بشدة، وأنا أيضًا أحبك ولكني لم أعد أستطيع العيش هنا بعد أن فقدت أبي، لم يعد للبيت طعم بدونه» اغرورقت عيناها وقد تذكرت مكالمة ابنتها الهاتفية بالأمس والتي قد سمعت نهايتها، حيث قالت الفتاة «أجل فهمت، طائرة الثامنة والنصف المتجهة إلى الشارقة» لم تهتم بسؤال ابنتها حيث كانت تعمل بإحدى شركات السياحة» ثم عادت سريعًا لتكمل رسالتها «لذلك فقد قبلت عرض العمل في فرع الشركة بالشارقة ولم أرِد أن أخبرك لأني علمت أنك حتمًا سترفضين، ولكنني قد أخذت قراري، سامحيني يا أمي كل ركن في المنزل يذكرني بأبي، وأنا أفتقده بشدة.»

لمعت أمام عينيها الشارقة، الثامنة والنصف، لا زال لدي بعض الوقت أستطيع الإلحاق بها. لم تدرِ كيف غيرت ملابسها

ولا ماذا ارتدت، فقد شعرت أنها تسابق الزمن، تسابق أنفاسها لترى ابنتها، لتشبع من النظر في عينيها لتحتضنها ولو لمرة أخيرة، أخذت سيارتها وانطلقت مسرعة فلحُسن حظها أن الوقت ما زال مبكرًا ولم تبدأ بعد ساعات الزروة، كانت بالكاد ترى الطريق حيث انهالت الدموع من عينيها كالشلال المندفع، وأخذت الذكريات تقفز إلى ذهنها فتذكرت أول يوم لابنتها بالدراسة عندما تشبثت في عنقها ولم ترد أن تتركها تذهب ثم قفزت بذاكرتها إلى يوم وفاة والديها إثر حاث سيارة أليم، ثم عادت لتتذكر أول يوم لابنتها بالجامعة حيث أقلتها بسيارتها.

قد حانت اللحظة ووصلت إلى المطار، ترى هل ستلحق بابنتها، أم أنه فات الأوان، هل ستستطيع إقناعها بالمكوث معها؟؟ هل ستضطر بأن تبوح لها؟؟

أخذت تتلفت في كل أرجاء المكان بعينين مذعورتين، حتى وجدتها تحتسي قهوتها المفضلة في انتظار رحلتها، جرت إليها.

- شيرين، لا أصدق أني رأيتك ثانية.

- أمي! ماذا جاء بكِ إلى هنا؟ خلتك ستستيقظين في التاسعة كعادتك.

- شيء ما أيقظني مبكرًا، لماذا يا حبيبتي، لماذا تتركينني وحدي وتذهبين؟

- أمي، أنا أحبك ولكَمْ تمنيت أن أستطيع البقاء معك، ولكنني لا أستطيع.

طأطأت وجهها وكأنها تحاول أن تداري ألمها.

- لماذا؟؟

- أنتِ تعلمين ماذا كان أبي بالنسبة لي لقد فقدته وفقدت معه حياتي.

- يا حبيبتي لازلتِ شابة، ولا زال العمر أمامك طويلًا والمستقبل بأكمله بين راحتيك.

- أمي، أنتِ لا تفهمين، لا أحد يشعر بمقدار ألمي، أنا وحدي من أعانيه.

ملات الدموع عينيها وبدأت تجهش في البكاء وكأنها فقدَتْ والدها منذ سويعات قليلة، احتضنتها أمها قائلة:

- حبيبتي الحياة مليئة بالتحديات والألم، ولو كان الهروب هو الحل لما بقي أحد.

مسحت الفتاة دموعها بملابسها ثم انتفضت وكأنها استفاقت فجأة مدافعة عن نفسها.

- قلت لك لا أحد يشعر.

- نعم يا حبيبتي كلنا يظن كذلك، إلى أن...

صمتت ليلى وتجهم وجهها، في حين رمقتها شيرين بنظرة يملؤها اللوم.

- إلى أن ماذا يا أمي؟

يظل إنسانًا يرى أن معاناته في فقدان أبيه هي الأكبر وأنا لا

أقلل من ذلك على الإطلاق، فلست وحدك من انكوى قلبك بفراق أبيك، إلى أن... إلى أن يرى معاناة أكبر، فمثلًا يرى معاناة شخص فقدَ أعز أصدقائه ثم سافر ابنه وانقطعت أخباره ثم فقد شريك حياته ثم طلب منه أن يودع ابنته لآخر مرة لأنه يعلم أن مرضًا خبيثًا ينهش خلايا جسده وسيقتله خلال أسابيع قليلة، ولن تكون ابنته هي آخر ما ستراه عيناه.

جحظت عينا شيرين فجأة وامتلأت بالدموع.

***

باقة الورود

بقلم: هيام رضا

كانت يداي ترتعشان بقوة فبرغم ملابسي الكثيرة، إلا أن برد شاطئ الإسكندرية القارص لم يعبأ بها ولا بشالي الأحمر الطويل، لا أعلم ما الذي جاء بي إلى هنا، وهل أنا حقًّا نويت على ما أنتوي «كفّي عن تلك الثرثرة أيتها الغبية لقد تحدثنا كثيرًا في هذا الأمر وقد انتهينا» قالت طفلتي الداخلية الغاضبة. وافقتها وأنا أهرول مسرعة لأجد مكانا مختبئًا بين الصخور يمكنني أن أفعلها دون أن أثير انتباه المارة القلائل، نظرت على مقربة مني لأجد صخرتين تظلل إحداهما الأخرى وتعلوهما صخرة أخرى صانعة ساترًا لمن يقف تحتها. ابتسمت ابتسامة يشوبها الحزن والأسي، وقفزت بين الصخور لأصل إلى الساتر الحجري، أخيرًا سأصل إلى مبتغاي سأريحهم وسأرتاح أنا، وداعًا أيها العالم القميء، وداعًا يا من خنتموني وأهنتوني وخزلتموني أو بلا وداعٍ فأنتم لا تستحقون حتى الوداع. هممت بخلع حذائي ووضعته فوق شالي الأحمر مقبِّلة إياه، فهو آخر ما أهدته إليّ أمي قبل

موتها، أغمضت عيني استعدادًا لأقفز وأنهي حياتي، فسمعت فجأة صوت رجل يتحدث بسرعة:

- أهلًا عزيزتي كنت أنتظرك وقد أحضرت لكِ هذا.

فتحت عيني لأنظر فوجدته رجلًا ممسكًا بباقة من الورود عطرة الرائحة فرددت مستفهمة:

- مرحبًا، يبدو أنك تقصد شخصًا آخر.

أجابني والابتسامة تعلو وجهه، والسعادة تغمره كمَنْ قابل حبيبته بعد طول غياب لا بل أنتِ المقصودة.

يا إلهي، آخر ما كنت أتمناه مقابلة هذا المخبول، ولكني حاولت أكون لطيفة للمرة الأخيرة في حياتي

- سيدي صدقني نحن لا نعرف بعضنا، أعتقد أن من تبحث عنها قد عبرت منذ لحظات إلى الجانب الآخر من الطريق.

ابتسم ساخرًا وكأنه فهم كذبتي.

- لا بل أنتِ هي.

- قلت غاضبة: صبرًا يا إلهي، حسنًا أنا هي، ماذا تريد مني الآن؟

- أريد أن أعطيكِ هذه الباقة.

- شكرًا جزيلًا، إنها تناسب المناسبة حقًّا، يمكنك الانصراف الآن.

رمقني بنظرة يملؤها العطف والحنان بعد أن اختفت ابتسامته تدريجيًّا:

- تُعطى باقات الورود لمن يستحقون الحياة، لمن يستحقون الحب والفرح، فلا تعبأ القبور بورودها إن كانت تخبئ في باطنها موتًا، وكما القبور كذلك البحار.

نظرت إليه باستغراب متسائلة مَن هذا الرجل ومَن جاء به إليَّ، وكيف عرف أنني عزمت على الانتحار، لم تعطني طفلتي الغاضبة فرصة لأستطرد في التفكير فهتفت بغضب:

- إذًا خُذ ورودك وارحل من هنا واتركني وشأني.

- ولكنك تستحقين الحياة والحب والفرح.

شعرت فجأة أن نظرات عينيه الحانية وكلماته الجادة تخترق عمقًا ما بقلبي ولكن طفلتي الغاضبة صرخت هل ستسمعين لذلك المخبول هيَّا بنا من هنا لنجد مكانًا آخر، ولكنني جلست على الأرض وسألته بهدوء من أنت ومَن أرسلك إليّ؟ جلس بجواري وبدا التأثر في عينيه.

- هي من أرسلتني.

- مَن هي؟

- حبيبتي، لقد ألقت بنفسها هنا، بعد وقت طويل من الألم المضني.

- هل كانت مريضة؟

- بل كنتُ أنا مرضها، أحبتني وأحببتها، كانت امرأة استثنائية، وكنت رجلًا أنانيًّا، في الحقيقة أنا كنت خائفًا، خفت

أن تتركنـي فحاولـت بشـتى الطـرق أن أقنعهـا بأنهـا لا تسـتحقني، لا تسـتحق الحـب والفـرح ولا الحيـاة بجملتهـا ولكنـي مَـن أشـفقت عليهـا بحبـي لهـا.

- وهل صدقت كذبتك؟

- للأسف فعلت، وقد فقت بعد فوات الأوان.

- إذا كنت أنت الدبة التي أحبت صاحبها فقتلته.

- أردت أن أمتلكهـا ولم أعلـم أنهـا مِلـكُ الحيـاة، فقـررت أن أحمـل باقـات الـورود التـي أحبَّتهـا هـي، لمـن قاربـوا عـلى المـوت لأخبرهـم أنهـم يسـتحقون الحيـاة.

ابتسـمت مفكـرة، يبـدو أنهـا لم تكـن اسـتثنائية فقـط في حياتهـا بـل في موتهـا أيضًـا.

***

دَعك منهم

بقلم: نيفين الحسن

في تلك الليلة لم أنم وأخذت أفكار كتابي تدور برأسي وتتوالى الحوارات والأحداث

وكتبت تلك الكلمات حتى إني وصلت للملخص ولكن بعقلي

فلم أكتب حرف على ورقة واستغرقت بالنوم وفي اليوم التالي

رأيت أن ألخص ما دار بيني وبين نفسي

فقررت أن أكتب سابق خبرتي في الرد على هؤلاء الذين دسوا رؤوسهم في حياتي سواء بخاطري أم بالإكراه أم بحكم القرابة.

لقد تسبب العديد منهم بأذيتي النفسية والسهر في التفكير.

لماذا قالوا ما قالوه؟ وما الهدف؟ وما الداعي؟ وكيف لهم التدخل في حياتي بتلك الوقاحة والجبروت؟

ألا توجد حُرمة لحياتي الشخصية؟ ألا يوجد رادع لتلك الفئة التي دومًا ما تعتقد أنها على صواب ومن حولها لا يفهم ومخطؤون؟؟؟

لقد لجأت إلى القراءة ودراسة العديد من الكورسات حتى أُخرج نفسي من محيط الآخرين، وأن يصبح لي محيط خاص بي وغير مسموح لهم باجتيازه.

أخذت أكتب لعلّي أنقذ أحدًا من وسواس قهري أو تدخُّلات آخرين.

قد يجد شخصًا ما حلًّا بناء على تجارب حقيقية تعلمتها من الحياة.

قد يواجهك عزيزي القارئ

أولًا: شخصية الأنا

لقد أراد الله أن أتعثر بهم ولقد ساءني مدى تكرار كلمة أنا... أنا... أنا

أنا أعرف كل شيء..

أنا مرَّ عليَّ ذلك الموقف وعملت... وكذا وكذا...

أنا أحسن طبعًا... أنا طبعًا صح... أنا أرى... أنا أخذت....

أنا أهلي أنا ابني أنا والدي

حتى إنك تكره كلمة أنا ولو كان بجانبك شيء حادًّا لأنزلته على رأسه حتى يصمت.. لا تفعل

فيصبح الحوار مملًا فالحديث عن الإنجازات لا بل وإنجاز الجنين في رحمها كما أن أولادهم لا يوجد مثلهم بالعائلة لا بل بالعالم.

فلـو صـادف بالخطـأ وتحدثـت عـن موهبـة لنفسـك أو ابنـك يـا إلهـي سـتكره نفسـك، كيـف لإنجـازات ابنـك أن تفوقهـم في مجـالٍ مـا وكيـف أنـك تلـم بحيثيـات موضـوع مـا؟!

عزيزي القارئ، لا تيأس، الحل

أن تبدِّل الحديث بموضوع آخر

عدم السماح له بإكمال ما يقول كأن تذهب لقضاء حاجتك

أو للصلاة أو تنصرف لبيتك لأن الوقت تأخر

أو تذهب لعمل شاي أو تجد رسالة هامة يجب أن ترد عليها

فهـم لـن يتوقفـوا فسـوف يسـتمرون بسَـحْب طاقتـك وشـحن غرورهـم، لا تختلـط بهـم كثـيرًا، تجنبهـم إلا في مجموعـات لعـلَّ أحـد الجالسـين ينقـذك، أو أن تصمـت وتومـئ برأسـك والاسـتئذان بالرحيـل وهـذا أفضـل..

وبالتـالي سـوف تكتـم رغبتهـم الداخليـة في التباهـي وسـوف يشـعرون بالصدمـة لعـدم اهتمامـك وهـذا عـلاج لهـم

فإدراكـي لشـخصياتهم وتكـرار لهـذا الموقـف في كل جلسـة أعطاني المقـدرة عـليّ أن اختـار كيـف سـوف أنهـي الحوار.

ثانيا: شخصية الضحية الدائمة

يا إلهي كم أشعر بالخنقة والضيق في النَّفَس وارتباك الامعاء

عنـد السـماع لهـم فشـعورهم الدائـم بـأن مـا حـدث لهـم لَم يحـدث لغيرهـم وأن المصائـب لا تبحـث إلا عليهـم..

فهـم ينتزعـون روحـك المرحـة منـك انتزاعًـا حتـى إننـي عندمـا كنـت أراهـم كنـت أهـرب إلى مـكان آخـر لعلَّهـم لا يجدوننـي.

فكـم الهمـوم والبـؤس والظلـم الـذي يعانونـه لم يطـل أحـدًا قَـط، وخاصـة عندمـا تحكـي هـي عـن زوجهـا الـذي تـزوج عليهـا أو يحكـي هـو عـن إهمـال زوجتـه لـه

وبالاسترسـال في الحـوار تجـد أنهـا أحـد الأسـباب في تـرك زوجهـا لهـا؛ فقـد سـمعت العديـد مـن القصـص وأخـذت أبحـث أيهـما أفضـل أن تظـل الزوجـة مـع زوجهـا بعـد زواجـه عليهـا أم تطلـق؟

فوجـدت أن الموضـوع حسـب العمـر والاحتيـاج سـواء مـادي أو معنـوي

فمـن تسـتطيع أن تهـرب بجلدهـا وتكـون حيـاة مسـتقلة وكريمـة وجديـدة وتكتفـي بنفسـها فلتفعـل.

ومَـن استسـلمت للأمـر الواقـع ولم تأمـل في المزيـد أو أنهـا لا تملـك المقـدرة النفسـية والمعنويـة والماديـة فلتبـقَ ولتمـلي شروطهـا.. فـكل امـرأة أدرى باحتياجاتهـا وأولوياتهـا.

فقـد تخشـى فقـد الأب بالنسـبة لأولادهـا أو السـند لهـا فمـن حقهـا الاختيـار.. نعـم ولا يعيبهـا أي حـل...

ولكـن صديقتـي هنـا ظلـت معـه، ولكـن بقاءهـا عنـد الطبيـب النفسـي كان أكثـر مـن وجودهـا بـين أولادهـا لتربيتهـم فمجـرد إحسـاس المـرأة بأنهـا غـير مرغـوب بهـا واسـتبدالها بأخـرى يقتلهـا حتـى ولـو كانـت مقصـرة.

ورأيـي الشـخصي أن يقـوم الـزوج بإنذارهـا أولا وألا يفـرط بهـا فهـي مـن عاشرتـه وتحملـت الأيـام القاحلـة قبـل الجميلـة المثمـرة؛ فهـي تسـتحق أن يسـاندها لكـي ترتقـي بنفسـها وعقلهـا وأسـلوبها وأن يجتـازا المِحَـن بأولادهمـا حتـى يكونـوا أسـوياء في المجتمـع.

فليـس لي أن أتحـدث عـن الحـلال والحـرام فأنـا غـير متخصصـة، أنـا أحكـي مـن تجـارب وممـا رأيـت.

فإيـاك أن تحكـم مـن طـرف واحـد عنـد سـماع مشـكلة، كلٌّ لـه وجهـة نظـر يعتبرهـا سـليمة إيـاك أن تنخـرط داخـل المشـكلة لأنهـا سـتؤثر عليـك شـخصيًّا وعـلى حياتـك.

لقـد كنـت أتعلـم مـن تلـك الأحـداث وأحـاول تجنُّبهـا أحـاول تـداركُ مشـاكلي العائليـة وأهتـم أكثـر بهـا وأطـور نفـسي أعـلي مهـارتي وقـراءاتي وأهتـم بنفـسي أمـارس هواياـتي أن يكـون لي حـق عنـد نفـسي أراعيـه، أحـب نفـسي حتـى يحبنـي الآخـرون، أشـارك أولادي هواياتهـم، أنخـرط معهـم في مشـاكلهم نقـوم بحلهـا سـويًّا.

فلا أخفي عنكم أنني قرأت في التربية وقبل أن أرزق بأولادي

وحتى إن أكون عونًا لهم لا عبئًا عليهم.

أفي بوعـودي لهـم لا أكـذب عليهـم ولا أخيـب ظنهـم بي هكـذا ننشـئ جيـلًا سـليمًا بـإذن الله.

وعندما نعود للشخصية الضحية الدائمة هنا، أتركها تتحدث

وأسـاعدها في إيجـاد حلـول وممارسـة الهوايـات وجعـل مسـاحة

للنفس وإخراج الطاقات الكامنة التي بداخلها أوجهها لحب نفسها.

ثالثًا: شخصية الواهمون.

ماذا أرى يا هل ترى؟

ما هذا الشحوب الذي بوجهك؟

لماذا لون عينيك حمراء؟

يا إلهي وجهك منتفخ؟

ظهرك مائل؟ لماذا تعرج؟ لماذا أصبحت سمينًا؟ أو نحيفًا؟؟؟ ولماذا كثير؟؟؟

هم يحاولون إمراضك؛ فضحكتك بالنسبة لهم أمر سيئ

فأنت تبدو بصحة وطاقة عالية وهم يفتقدون ذلك من جمال الحياة والبهجة فيوهمونك بما ليس بك حتى تمرض أو تنكسر..

أو يساندك أحدهم

الحل

اقطع ذلك الحوار سريعًا وقل بل أنا بخير وصحة الحمد لله بل أنت الذي تبدو لست على ما يرام فلتستعن بطبيبك.

صدقًا: هذا الشخص يستحق أن تثير حفيظة قلقه على نفسه فينشغل بها ويتركك في حال سبيلك تعيش بسلام وتمارس حياتك الجميلة.

رابعًا: صاحب شخصية الإسقاطات.

هـذا الشـخص لا يعـترف بأخطائـه فهـو يحـول كل شـكة دبـوس تعـرض لهـا أنهـا حدثـت بسـبب الآخريـن فـلان أو فـلان

فـلا يربـط الأحـداث بشـكل طبيعـي حتـي يتعـرف علي الاسـباب لكـي يعالجها.

أو أن الخلل الذي حدث بسبب تصرفه هو... لا..

هـو دائـم الشـكوى حتـى مـن نعمـة الأبنـاء مـن نعمـة الـزوج دائـمًا يحولـون مـا يحـدث لألم لا يسـتفيد مـن التجـارب ولا ينظـر إلا لنصـف الكـوب الفـارغ.

نصيحتـي ذكـره بنعـم الله، ومـاذا يحـدث لـو زالـت وأن كل حـدث هـو درس يجـب أن نتعلـم منـه ونضعـه كحجـر نقـف عليـه لكـي نصعـد لأعـلى وأن نتعلـم الامتنـان وشـكر النعـم وأن نتحمـل مسـؤولية أخطائنـا ونتعلـم منهـا.

خامسًا: أنت حاسدهم.

نعـم قـد يواجهونـك بعيـنٍ زرقـاء عنـد مدخـل شـقتهم يضعونهـا في وجهـك انظـر لقـد أتتنـي كهديـة أيـن أضعهـا؟

فشـعورهم الدائـم بأنهـم محسـودون مـن كلّ مَـن حولهـم لأنهـم الأفضـل ولديهـم مـا ليـس عنـد الآخريـن

فـإن قلـت لـك عزيـزي القـارئ أنـك للأسـف يجـب أن تتعامـل

معهم لظروف ماسواء صلة قرابة أو جيران أو غيرها.. فإنه لَشيء مؤسف.

فقد قرأت أن الشخص من كثرة خوفه وتفكيره بالمصائب فهي تحدث وذلك لأنه أحدث لها جذبًا وتسمى بـ «علم الجذب»..

أنت تجذب ما تفكر به سواء كان سلبيًّا أم إيجابيًّا

أنت ترسل للكون أفكارًا فتعود إليك محملة بما شغلت بالك به

لو أفكار جميلة إيجابية أتتك ولو سلبية ممرضة أتتك

الحل ذِكره بسنتنا وأذكار الصباح والمساء بالأدعية التي أوصانا بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

نصيحة:

لا تذهب عنده ولا تحاول معرفة أخباره، دعه للأيام لعله يتعظ ويدرك أن ذلك حصاد تفكيره.

فالأيام كفيلة أن تفهمه أنه آخر همك بماله بمشتملاته بحيثياته بكلاكيعه

ألا يرى ذلك المحسود أن من أقاربه من هم أقل منك شخصيًّا بظروفهم، على رأي المثل «ما يحسد المال إلا أصحابه»

سادسًا: الشخصية المتسلطة

الحمد لله لم أتعرض لهذا الموقف، ولكني رأيت إحدى صديقات العمل حيث أن صديقتها تحبها حبًا ممرضًا، بتدخل،

تصرف عليها، تشتري لها، تمنعها من مقابلة غيرها، تغضب عند ذلك حتى كاد أن يفسد علاقتها مع خطيبها.

والحل:

هو الحوار، أن تعلمها بأن يجب أن يكون لها مساحة، وأنها إن كانت تحبها فعلًا؛ فلا يجب أن تفسد حياتها الشخصية، وأن تحد من الحوارات الزائدة؛ فكلٌّ يجب أن يكون له مساحته والاحتفاظ بدخلياته وأن تنخرط بمشاركة المجموعات والصديقات.. وبصراحة تجد لها عريسًا أفضل الحلول..

سابعا: شخصية المانون

نعم مَن يمنّ عليك.. بمساعده بمال.. بموقف... بفعل

فأنت قد لا تستطيع في بعض الأحيان الوفاء بكل جميل صنعه أحدهم لك فأنت سوف ترده، ولكن حسب إمكانياتك وظروفك الحاكمة، لحظتها سواء المالية الصحية النفسية فحسب ما هو متاح آنذاك، فلو استطعت الاكتفاء بنفسك فذلك أفضل من سؤال أحدهم.

وهيهات أن تقع تحت طائلتهم وخاصة الأقارب؛ فقد

يضغطون عليك فهم يمتصون طاقتك ولكنهم لا يقصدون فهم يرون أن ذلك حق لهم عندك ولن تخذلهم.

وهنا أرى..

أن تفعل ما عليك حسب إمكانياتك فلو أنت صاحب المعروف وتعمله من باب الفضل فليكن بحدود حتى لا يكون فرضًا وواجبًا عليك فلا تحمل نفسك ما لا طاقة لك به.. خير الأمور الوسط.

ولو كنت أنت من احتاج للمساعده فحاول ردَّه في أقرب فرصة أو برِّر تأخُّرك لو ذلك حدث ولا تعلي سقف طموحك وتأمُّلك بالآخرين فقد يخيبون ظنك.

ثامنًا: المحبطون

تقول شمال يقولك يمين...

يا ربنا عليهم شخصيات محبطة حقًّا تقول مثلًا أريد تحقيق مستوى معين في التعلم يقولك يا عم لن يفيدك وفر مجهودك ....هل عندك وقت؟؟؟؟.........ولا مرتبك هيزيد ....

تقول أريد أن أدخر أموالًا للسفر يقولك البلد الـ... ليست آمنة، بها زلازل... سلفني أفضل ....

سوف أعلِّم أولادي لعبة معينة........يقولك ماذا سوف تجني.....؟؟؟؟؟؟

أرجوك

افعل ما تراه خيرًا لك دون الحديث للجهلاء، أنت أدرى بمصلحتك، قد تحتاج أن تعرف عن تجارب من سبقك إذًا اسأل مَن سبقك.

هم يريدونك معهم في المنطقة الآمنة الساكنة دون إحراز أي تقدُّم فلا تستمع إليهم، دَعهم في ثباتهم وانطلق للأمام ولا تنظر للخلف.

تاسعًا: أنت ملفت

أنت مش عادي أنت إنسان لك هدف وطموح عندك مزايا، عندك رؤية للمستقبل

وسوف تحقق ما تريد فقد تفاديهم وتميز عنهم، لا تدعهم يشغلون حياتك فما كان منهم إلا أن يكسروا قوتك.

فهم يضعون العراقيل ويختارون الألفاظ المحبطة حتى يصلوا لمبتغاهم ويندسوا في حياتك ويشعروك بالتقصير ويشككوا بأهدافك أو مواهبك وقدرتك ثم يقومون هم بأخذ الأفكار وينسبونها لأنفسهم.

ونصيحة

لا تخبر أحدًا بما يجول في داخلك من أحلام أو أفكار أو هدف؛ فهي تخصك أنت فقط لا تفصح.

استأثر بحياتك وبطريقة عيشك بما تحب وما تكره فأنت

لا تـدري مـا يكنّـون لـك؛ فقـد تـأتي الفرصـة لأحدهـم فيقتنصهـا لنفسـه وتظـل أنـت خـاوي اليديـن.

اهتم واستمتع بحياتك بهدوء

لا تبحث عمَّن يساندك، كن أنت العون لنفسك

إن تعثرت اجعل العثرات لبنة وحجر أساس لتقدمك

اليقـين بـالله هـو محقـق المعجـزات؛ فقـد قـال عـز وجـل بالحديـث الشريـف: أنـا عنـد ظـن عبـدي بي

فصلاتك وعبادتك واستعانتك بالله تغنيك عن الخلق

استخارتك هي المؤشر وبوصلتك

جـدِّد الهـواء وانطلـق، والأهـداف البعيـدة اكتبهـا وصحـح مسـارك، اختـار الأفضـل

انفـض عـن كاهلـك الهمـوم والمعوقـات فلقـد خلقـك الله وأكرمـك فـلا تهِـن نفسـك

لا تنخرط في مشاكل الآخرين وكن عابر سبيل

كل يوم جديد هو هدية وأمل من الله، استغلها

ولا أقصـد أن كل النـاس مؤذيـة بـل هنـاك مـن يرسـله الله لنـا رحمـة وعونًـا وخـير سـند، ولكـن يجـب أن نعـي كيـف نختـار؛

فنحن مَن نقرر.. نعم نحن مَن نقرر

اللهم إنّا نسألك الخير كله نعلمه أو لا نعلمه.. فيسّر لنا

***

العربة السوداء

بقلم: مرام الزعفراني

لم أتوقع يومًا ما حدث معي فكانت بمثابة العاصفة التي لم أكن أتوقع حدوثها يومًا ولم أكن مستعدة لها؛ فكان الزواج بالنسبة لي بمثابة الحلم الجميل الذي أتمنى أن يحدث، وبالفعل حدث: فتزوجت أحمد بعد قصة حب دامت لسنوات.

تزوجنا بعد التخرج مباشرة فكان أحمد مهندسًا معماريًّا في بداية مشواره في شركة كبيرة وأنا كنت أعمل مدرّسة بإحدى مدارس اللغات وهكذا بدأنا المشوار سويًّا حتى رزقنا الله بابنتي الأولى ثم الثانية ثم الثالثة. فكانوا هن أجمل هدايا من الله من بهم علينا وكنا سعداء بهن وكانت حياتنا لم يكن بها خلافات أو مشاكل كبيرة كما يقال، فكان بيتنا هادئًا سعيدًا مليئًا بالدفء والبهجة والرضا، وكنا نعمل سويًّا للحفاظ على تلك الحياة التي رزقنا الله بها، وكنا مثالًا للتفاهم والترابط حتى حدث ما حدث...

جاء أحمد إلى المنزل بخبر معه: «منى، جالي عرض مغري

في شركة كبيرة أحسن من اللي أنا فيها.» فقلت له: «إيه ده يا أحمد؟ عايز تسيب الشركة اللي بدأت فيها؟ لغاية ما وصلت للمنصب اللي إنت فيه ده؟» قال لي: «يا منى العرض مغري إزاي أرفضه!! خايف مايجيليش عرض زيه تاني وعلى العموم أنا قررت خلاص.» وبالفعل ترك الشركة القديمة وذهب إلى الشركة الجديدة وبدأت أحواله تتغير شيئًا فشيئًا. فبدأ بالانشغال المستمر لأوقات متأخرة حتى في الإجازات بحجة أنه عمل جديد ويجب أن أثبت نفسي فيه. فبدأ بالابتعاد والانشغال الدائم عني وعن بناتي حتى شعرت أنني وحيدة وأفعل كل شيء بمفردي حتى بناتي بدأن بالاعتراض الدائم عن بُعد أبيهن المستمر وكن دائمًا يرددن: «بابا بيوحشنا ومبقاش بيقعد معانا زي زمان.» وكنت أقول لهم دائمًا: «بابا في الشغل يا حبايبي علشان يجبلكم الحاجات اللي نفسكم فيها، متزعلوش منه.»

وكنت أقول هذا ولكن في قلبي حقيقة أخفيها؛ فكان دائمًا شيء يحزن قلبي ويشعرني بالفقد، وكنت أشعر أنه يتلاشى شيئًا فشيئًا من حياتنا ولم أستطع التعبير بشعوري مِن وحدةٍ وحزن وفقدان الاهتمام وقتها.

حتى تحوَّل الانشغال الدائم بالمبيت خارج المنزل فكنت عندما أواجهه، كان يقول لي: «مبعرفش أشتغل في وجود البنات.» حتى وصل أنه يأتي إلى المنزل يومين أو ثلاثة فقط في الأسبوع. فكنت أشعر بالخوف بسبب عدم وجوده في المنزل، فوجوده بمثابة

الأمـان لنـا؛ فكنـت أنـام وأنـا أحتضنـن بنـاتي وأنـام بجوارهـن حتـى أطمئـن.

وهكـذا كان حـالي وحالهـم لمـدة ثلاثـة شـهور فكلـما اعترضـت وأظهـرت غضبـي وعـدم ارتياحـي أنـا وبنـاتي كان يقـول لي: «اقفـي جنبـي، اصـبري عليـا، اسـتحملي، كلـه علشـانكم.» فتـارة أسـمع وأتقبـل وألقـي باللـوم عـلى نفـسي وتـارة أخـرى لا اسـتطع وكنـت أغضـب وأتشـاجر معـه وأقـول لـه: «مـش عارفـين نعيـش مـن غـيرك معانـا» ولكنـه لم يكـن يسـمع.

حتـى جـاء يـوم وقـال لي: «الشركـة عاملـة حافلـة ولازم تيجـي انتـي والبنـات معايـا.» فرحـت أنـا والبنـات كثـيرًا فكنـا منـذ وقـت طويـل لم نخـرج سـويًّا كعائلـة سـعيدة فقـد افتقدنـا هـذا الشـعور منـذ فـترة وذهبنـا معـه والجميـع كان يـأتي للتعـرف عـلى أسرتـه. وبالفعـل تعرفـت عـلى زملائـه بالعمـل جميعًـا وقضينـا اليـوم معـه وبعـد انتهـاء اليـوم وصلنـا إلى المنـزل ولكنـه لم يـأتِ معنـا وقـال لي: «عنـدي شـغل لازم يخلـص النهـارده ولـو خلَّصـت هاجـي.» هـذه الجملـة أوجعتنـي كثـيرًا فكنـت أتصـور أخـيرًا أننـا رجعنـا مـرة أخـرى كلنـا مـع بعـض فقلـت لـه: «أرجـوك حـاول، علشـان خاطـري تعـالى...» فقـال لي: «خـلاص يـا منـى ربنـا يسـهل.»

وفي هــذه الليلــة لم أســتطع النــوم مــع بنــاتي كالعــادة، وكنــت أنتظـره وكان الاشـتياق يمـلأ قلبـي وكنـت أحدثـه تقريبًـا كل سـاعة وكان يجاوبنـي في كل مـرة: «أهـو لسـه شـغالين، ربنـا يسـهل.» لكننـي

لاحظت شيئًا، فكلما تحدثت معه لم أسمع صوتًا غيره بالرغم أنه يقول لي إنه يعمل مع زملائه في العمل. ولم أستسلم في هذا اليوم فكنت ألح عليه وأقول له: «ها يا أحمد هاتيجي إمتى؟ يلا تعالى، أنا مستنياك.» حتى أصبح الوقت متأخرًا جدًّا فقد أوشك الفجر أن يؤذن. فتحدثت معه مرة أخرى فقال لي: «انتي عارفه إني مش معايا عربية والعربية في التوكيل بتتصلح، فأنا مستني أي حد من صحابي يوصلني.» فقلت له: «ماشي هستنى بس تعالى.» وقررت الاستمرار في الإلحاح حتى الخامسة صباحًا، ولكن حدث ما لم أكن أتوقعه...

فكان صوته نائمًا عندما تحدثت معه وقلت له: «إيه ده! هو انت نايم؟!» فقال لي في غضب: «نايم إيه، أنا بشتغل. في إيه؟ مالك النهارده؟» فقلت له: «انت واحشني وأنا عايزاك تيجي ممكن؟» رُد علي في غضب شديد: «جاي حاضر. هاركب تاكسي وجاي خلاص خلصنا.» في منتهى الغضب والعصبية ولم أكن أتوقع هذا الرد القاسي الذي لم يقدر فيه مشاعري ولا تحملي له كل هذه المدة. وأدركت في هذه اللحظة أن شيئًا خطأ يحدث فإنه يكذب عليّ. فكيف لم أعرفه وهو عِشرة عمري. وبدأت الشكوك والتساؤلات في داخلي.

وانتظرت في شُرفة البيت كالطفلة الصغيرة التي تنتظر أباها ليطمئنها. فكان بداخلي قلق وخوف ودعوت ربي أن يرزقني البصيره فإني لم أفهم لماذا يحدث كل هذا؟ لماذا يغضب عليّ هكذا؟

فأنـا لم أفعـل لـه شـيئًا سـوى أني أريـده. وانتظرتـه حتـى رأيـت عربـة سـوداء تقـترب مـن البيـت وتدخـل جـراج المنـزل وبعـد قليـل خـرج هـو فقلـت في نفسـي: «عربيـة مـين دي؟ مـش يمكـن تكـون عربيـة صاحبـه أو أوبـر؟» ولمـا صعـد، كان محمـلًا بالغضـب وقـال: «أنـا جيـت أهـو يـا منـى عايـزة مني إيـه؟ إيـه الدوشـة اللي انتـي عاملاهـا دي؟ أنـا زهقـت!» فقلـت لـه: «أنـا بـس كنـت عايـزاك جنبـي وكنـت واحشـني.» رد عليـا أحمـد: «أنـا جيـت أهـو خـلاص ارتحتـي؟»

فتجاهلـت مـا يقـول.. وقلـت لـه سـؤالًا هـو فقـط الـذي كان يـدور في خاطـري وقتهـا: «أحمـد؟ هـو أنـت جيـت إزاي؟ ركبـت إيـه؟» فقـال لي مـا لم أكـن أتوقعـه: «جيـت في تاكـسي أبيـض.» فكانـت الصدمـة الكـبرى لي فـإني أدركـت في هـذه اللحظـة أنـه لم يكـن عنـد أحـد زملائـه كـما كان يقـول لي وأنـه يكـذب عـليَّ طـوال هـذا الوقـت. فـكان يسـتطيع أن يقـول لي إنـه أخـذ سـيارة صديقـه ولكنـه لم يفعـل. أحسسـت هـذه اللحظـة أنـه يخونني وأن حـل اللغـز في هـذه العربـة السـوداء. ولِمَـن هـي؟ ولكنـي أقـول لنفسي: «لازم تتأكـدي، مـش يمكـن تكـوني ظالمـاه؟»

تمالكـت نفسي وغضبـي وتسـاؤلاتي التـي كانـت عـلى وشـك الانهيـار عليـه. وحاولـت أن أمتـص مـا بي مـن غضـب فقلـت لـه: «أنـا آسـفة إني زعلتـك، حقـك عليـا، ياريـت تسـامحني وتقبـل أسـفي.» فنظـر لي وقـال: «حصـل خـير يـلا نامـي بقـى. أنـا لازم أنـام، فاضـل سـاعتين وأصحـى أروح الشـغل.»

وبالفعـل أنتظـرت حتـى نـام وتأكـدت مـن أنـه اسـتغرق في النـوم

وذهبت أبحث في الغرفة في أشيائه عن مفتاح العربة التي رأيتها. حتى وجدته في أحد جيوبه. فلما وجدته كنت أرتجف وأنا أمسك بالمفتاح وكنت أسمع دقات قلبي، ولكن عليَّ تمالُك أعصابي وأنزل سريعًا لأبحث عن هذه العربة قبل أن يستيقظ.

وكاد قلبي أن ينتزع مني وقدماي ترتعش من الخوف حتى وصلت إلى الجراج، وشغلت الريموت فلم أعلم سوى أنها عربة سوداء. حتى أنارت وفتحتها ودخلت بها وبحثت في كل شيء على أمل أن أعثر على ورق أو أي معلومات عن صاحب العربة. وبالفعل وجدت رخصة، وكانت لسيدة تعمل معه في العمل الجديد وكنت تعرفت عليها في الحفلة.

في هذه اللحظة، رأيت أمام عيني شريط حياتنا سويًّا ولم أتمالك أنفاسي ولم أستطع حَبْسَ دموعي وأصبحت دموعي تتساقط بغزارة وشعرت وقتها أنني سوف أفقد الوعي وظللت أتساءل. لماذا يخونني؟ فلم أقصّر معه يومًا؟ فكنت نعم الزوجة والصديقة والحبيبة ولم أجد إجابة...

ولكنني قررت أن أذهب وأواجهه في غضب وأطلب منه الطلاق؛ فأنا لا أتحمل الخيانة بعد كل هذا الحب والعشرة وذهبت في غضب ومرارة لم أستطع تحملهما ودخلت المنزل في لهفة لأوقظه من النوم وأواجهه بخيانته وأطلب منه الطلاق، ولكن عندما دخلت وجدت بناتي الثلاث نائمات بين ذراعيه فوقفت متسمرة أنظر لهن من بعيد...

***

تشابه

بقلم: هلا عرفان السلكا

١- ميس

وقفت أمام شباك غرفة النوم ترتشف كوب السحلب الذي تحبه. كانت تستمع بمذاقه بعد يوم عمل طويل لكن صوت الأنين لا يفارقها آتٍ من مكان قريب، قريب جدًّا يقطع عليها تلذذها بكوب السحلب. تتنهد تنهيدة طويلة وتسترجع ما مرَّ بها من أحداث طوال النهار، الاستيقاظ باكرًا وإرسال الأولاد للمدرسة، تحضير الإفطار لزوجها ثم ذهابها للعمل، ثلاثة اجتماعات لا جدوى منها سوى إضاعة الوقت وتراكم الأعمال على مكتبها، تتنهد مرة أخرى وتتذكر مجادلتها مع زملائها في المكتب وكيف خرجت من المكتب بعصبية وحادث السيارة وتأخُّرها عن أبنائها بالمدرسة وقت عودتهم، وشرطي المرور، تتنهد مرة أخرى، الطعام لم يعجب زوجها فرماه على الأرض، رفعت الطعام من على الأرض وكانت دموعها تتساقط أثناء التنظيف لكن لم يعر أحدهم بالًا للأمر، لم ينتبه أحدهم

لدموعها كانوا منشغلين؛ فكل شيء أهم منها، تساقطت دموعها وهي تشرب السحلب. دموعها غزيرة تتساقط دائمًا بسرعة، صوت الأنين يعلو، التفتت لزوجها القابع في سريره تنهدت للمرة الأخيرة وذهبت لإعطائه جرعة الدواء الأخيرة لليوم ثم استلقت بجانبه، كانت لا تزال تتذكر ما حدث معها في ذلك اليوم، موعدها الساعة السادسة مساء مع طبيبها النفسي لم تنتظر أن يعطيها حلًّا، كانت تريد فقط أن تتحدث لأحدهم، كانت تريد أن تقضي يومًا واحدًا فقط دون أي عمل، تمنت لو أنها لم تحصل على الدكتوراه، لو أنها لم تتزوج، لو أنها لم تنجب أو تعمل، ماذا لو كانت تستطيع الجلوس أمام التلفاز للتقليب بين المحطات وقراءة كتابها المفضل، أو لشرب كوبها المفضل من السحلب أو حتى القهوة وحدها في مكانٍ ما.

- ليتني مثلها ليوم واحد فقط.

٢- مي

وقفت أمام المرآة تضبط شعرها، كانت تحب قصة شعر ميس أرادت أن تشبهها، تحاول أن تقلدها مهما كلفها الأمر، تلبس نفس لباسها وتضع نفس العطر، حتى لون أحمر الشفاه اشترته كلون أحمر شفاه ميس، من يراهما من بعيدٍ لا يستطيع التفريق بينهما، الطول واللباس وتسريحة الشعر ونظارة الشمس وحتى حقيبة اليد، نظرت للمرة الأخيرة لنفسها بالمرآة وتأكدت

أن كل شيء على ما يرام خرجت من المنزل وركبت سيارتها الفارهة واتجهت إلى موعدها، كان هناك الكثير من الأفكار التي تدور في بالها وتريد التحدث عنها، تداخلت القصص واختلطت وشعرت بأنها مشوشة، لم تستطع ترتيب أفكارها داخل رأسها، بدأت تتنفس ببطءٍ حتى تتمالك نفسها -كما تعلمت من صف اليوغا الذي كانت تذهب إليه - لا سيما أن قلبها بدأ يخفق بشدة، إنها تعرف هذه الحالة جيدًا، لا سيما عندما ينتابها القلق، وصلت لموعدها وجلست بالانتظار، أشار لها السكرتير أن الطبيب بانتظارها، دخلت وجلست، شعر الطبيب أن هذا المشهد يبدو مألوفًا لديه، باحت له بكل ما تريد قوله بالفراغ الذي تحياه، بالمطاعم التي ملتها من كثرة زيارتها من الأفلام التي حفظتها عن ظهر غيب من كثرة مشاهدتها، شكت له هذا الملل القاتل، عن شعورها بالوحدة دون زوج وأبناء عن عدم قدرتها على إكمال تعليمها وعن رفض والدها لها للعمل.

- ليتني مثلها ليوم واحد فقط.

***

جارتي

بقلم: سالي مصطفى الأنور

يكون الصبح أجمل عندما أذهب إليها لأرتشف معها قهوتي ونتحدث في صمتٍ مطوَّل أو لألقي عليها التحية سريعًا في الأيام المزدحمة بالأحداث.

فلطالما كانت متواجدة تتوق للحديث معي حيث أراها تهتز فرحًا محرِّكة أناملها الصغيرة الكثيرة في منظر يمحو أقوى ضغوط العالم في دقائق معدودة.

أتذكر حينما رأيتها لأول مرة كانت هزيلة قصيرة مقارنة بالأخريات، ولكنها صمدت وقطنت بجواري في صمت وثبات.. أتذكر حينما حمل أطفالي إليها سلحفاتهم التي ماتت فجأة وكيف واستهم واحتوت جسد السلحلفاة بكل رِقّة لديها ومِنْ ثَمَّ تكرَّر ذهاب أطفالي إليها ليودعوها كتاكيتهم الصغيرة التي نفقت بعدة حيوات قصيرة استمرت ليومين ليعودوا من عندها وقد طابت خواطرهم وجفت دموعهم واتسعت ابتساماتهم لتغطي وجوههم، ولم تكن توزرهم وحدهم، ولكنها كانت دومًا تمنح

العطف لكل من يلجأ إليها وتمد أذرعها لتربت في خفة لتذيب أقوى الهموم في لمسة طبيعية حانية.

كنت أسمع الحديث الذي يدور عنها وأنها ضعيفة مقارنة بغيرها، ولكنها كانت تعد المفاجأة الكبيرة حيث أنه في الربيع التالي فوجئنا بها تتحلى بأروع فستان أحمر حيث صادف أن تفتحت أولى زهوره، يوم ميلادي، الأمر الذي جعل دموعي تمتزج بالابتسامات وأنا أرى باقات الزهور تمتد نحوي في مشهد لم أكن أتخيل حدوثه في يوم من الأيام وقفت مزهوة شامخة تتألق وهي تسمع همسات الحسد بين مَن لاموا عليها قبل ذلك لتشع اخضرارًا وتمتد زهورها الكثيرة هنا وهناك، ظلت طوال الصيف تتمايل في دلال تروي بجمالها أعين القريب والبعيد وتنثر ورودها في كرم على القاصي والداني غير عابئة بنقصان جمالها فكما قال الشاعر العربي (لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغتر بطيب العيش إنسان) وها قد أتى الخريف وفي يوم من الأيام من لياليه المنعشة، وجدت بقربها خيالًا لم يكن خيالًا فحسب بل كائنًا مرعبًا سرعان ما طار في الهواء في دوائر ترتعد لها الأوصال ثم استقر على أحد أغصانها متخذًا الوضع المقلوب فأمعنت النظر أكثر ثم اتسعت عيناي رعبًا وهمست: يا ربي إنه خفاش.

وأسرعت بالهروب وأغلقت الأبواب وشددت الستائر وفي بالي ألف سؤال كيف سمحتِ له يا جارتي بالقرب منك!

أعرف طبيعتك الحنونة، ولكن لا تمنحيها للجميع دون تمييز

بين الطيب والخبيث، وتعالت الأصوات المحيطة لقطعها حيث أنها أصبحت وباء بما تحويه من ذلك المخلوق المثير للرعب، وصرت أدافع عنها وأقول: هل نسيتم ما كانت تقدمه من ظلال وورود؟

فلا أجد سوى صمت يموج بالجحود وظللت أبحث عن طريقة لإبعاد ذلك الصديق الخبيث، ووجدت أن الأضواء كثيرة الومضات تؤرقه وتذهب به، وبالفعل حدث ورحل بعد يومين من تعليقها على جنبات شرفتي أمام أغصانها المتناثرة وسكتت الأصوات المطالبة بقطعها، وعادت جارتي لعهدها مسكنًا للعصافير الصغيرة التي تشدو في الصباح وتتناغم مع فيروز في منظر يبهج الأعين والآذان.

فأحتسي قهوتي وأنظر إليها وأتنهد وأهمس: عديني يا جارتي ألا تحملي شيئًا يؤذيني بعد الآن.. ترى هل سمعتني شجرتي الممتدة حتى شرفتي أم هي رغبات دفينة في إيجاد صديقة ترتشف معي قهوتي وأعتبرها جارتي.

***

ليان للنشر ولتوزيع

ريكـــــا

بقلم: أحمد عبد اللطيف

الساعة ٢ صباحًا

صباحٌ قد يكون وقتًا عاديًّا بالنسبة لأي شخص أو للقارئ، ولكن بالنسبة لريكا يوم كان ينتظره وحلم لتحقيقه منذ سنين، حُلم الخروج من معترك الحياة الأليم هو ميلاد جديد لكل أخطائه، ولم أتخيل أن يكون هذا هو طريق تحقيقه.

١٤ يومًا قضيناها في عذاب الانتظار، لا نوم ولا راحة، وطعام رديء، كلٌّ منَّا يحكي قصته ومغامرته مع الحياة التي أوصلته لهذا المكان الذي هو مفترق الحياة وعنق زجاجة العبور إلى الحياة الأخرى الموت أو الحلم، حاولت أن أكسر هذه الأفكار التي غلبتني في قصاصات ورق ورسايل يومية أكتبها وأضعها في زجاجة قد تكون ذكرى جميلة أو عبرة لمن يجدها بعدي؟

وهنا تبدأ قصتنا

حان وقت الصعود كباقي رفقاء الموت كما يطلق علينا

مركب صيد متهالك من قطع خشبية ومحرك صغير نصارع

معـه للبقـاء، لم أكـن متيقنًـا لوهلـة أن أكـون في يـوم مـن الأيـام رفيـق رفقـاء المـوت.

دمـوع سـاكنة في لحظـات صمـت داخليـة وخارجيـة قاسـية كل منَّـا داخلـه صراع مـزدوج، صراع المـوت، وصراع الحيـاة التـي دفعتنـا لمـا نحـن فيـه، نتوجـه كسربٍ مـن النمـل مسـير تحـت ضـوء القمـر المتلألـئ بالنجـوم الـذي ينظـر إلينـا في اكتمالـه بحـزن شـديد، كل هـذا الإحسـاس الأليـم في ثـوانٍ معـدودة قبـل أن تطـأ الأقـدام تقدُّمًـا مصاحبًـا بـتردد تدفعـه الحيـاة بيدهـا ليـد المـوت.

عـم عـربي كـما يطلقـون عليـه هـو قائـد مركـب المـوت والحيـاة يسـلمنا سـترات النجـاة التـي لا تسـاعد عـلى النجـاة بتاتـا.

بالـكاد تكفـي لنـا يبلغنـا تعليـمات الأمـن والأمـان إذا حـدثَ وغرقنـا أو تـم كشـفنا مـن خفـر السـواحل الحدوديـة في أهـوال الليـل التـي لا يعلمهـا إلا مـن سـكنها لأكثـر مـن ١٤ يومًـا في انتظـار لحظـة الانطـلاق للبحـر والمصـير المجهـول.

في هـذه اللحظـات تذكـرت طفولتـي عندمـا كنـت ألهـو بميـاه النيـل في قريتنـا، وعلمنـي أخـي الأكـبر السـباحة، وكيـف أقـاوم قـوة الميـاه.

وبـدأ عـم عـربي في التحـرك والانطـلاق ومـا هـي إلي سـاعات قليلـة يسـودها الصمـت والسـكون والتفكـير اللامتناهـي في المجهـول الـذي سـتواجهه قلوبنـا تنبـض بالخـوف وأعيننـا إلى مـن خلقنـا أن يلطـف بنـا في مـا ألقتنـا بـه صعوبـات الحيـاة.

وحـان الوقـت؛ بداية النهاية، صـوت عـم عـربي: «يـلا يـا اخويـا انـت وهـو، كلـه ينـزل هنـا وينـط ويكمـل سـباحة. صمـت لبضـع ثـوانٍ ثـم أصـوات ذرات المياه المتفاعلـة مـع القفـزات المتتاليـة لـكلّ مَـن بالمركـب كل في اتجاهـه وبـدأت السـباحة، الخوف مسـيطر ويشـل كل تفكـيري وحركتـي، أحـاول أن أتمالـك هدوئـي لأنجـو وقلبـي يناجـي بأنـين يـا الله يـا الله يـا الله نجنـي مـن أهـوال البحـر ومـا زلـت أسـتمر في السـباحة وأتذكـر دروس أخـي في السـباحة، أسـمع أصواتًا عاليـة مـن حـولي، مَـن يسـتغيث الحقـوني همـوت، ومَـن يناجـي يـا الله يـارب يـا رحيـم. بـدأت الأصـوات تتلاشـى وتبعـد شـيئًا فشـيئًا وبدأ الإرهـاق والتعـب ينهكاننـي والخـوف المتزايـد بـأن يُقبَـض علـيَّ مـن خفـر سـواحل، كلٌّ ينجـو أو يهلـك بنفسـه بعـد عـدة سـاعات مـن سـباحة متقطعـة، أنهكنـي وتملكنـي الإجهـاد الشـديد مـن السـباحة، أكاد أستسـلم ويهزمنـي المـوت لا أعـرف وجهتنـي أو إلى أي شـاطئ سـيلقني المـوج وأنـا أصـارع مـن أجـل البقـاء ثـم جاءتنـي فكـرة ملء سـترة النجـاة وملئهـا نفخًـا بالهـواء وتـرك نفسـي للأمـواج لا أعـرف الوقـت أو المسـافة أو أيـن أنـا لكنـي أثـق بقـدرة الله واسـتغاثتي بـالله أني سـأنجو بفضلـه.

لحظـات بـين صراع المـوت والحيـاة تمـر بهـا حياتـك أمـام عينـك بـكل ذكرياتهـا المؤلمـة والسـعيدة لحظـات اللقـاء والـوداع أصـوات الفـرح وكل مَـن أحببـت وقلبـي يناجـي ويسـتغيث يـا الله.

بعد عدة ساعات من الصراع

وإذا بأشعة الشمس تدغدغ عينيّ لا أعرف ما هذا الشعاع لحظات من تجمد الزمن والمكان والفكر لا أعرف من وأين أنا وهل أنا أحاسب الآن أم هي رحمة الله وفضله بالنجاة وانتصاري في صراع مع الأمواج والموت لحظات يتخللها فرح وحزن بدأت أحرك يدي وأضعها علي عيني لأحجب أشعة الشمس وأتأكد أني ما زلت على قيد الحياة.

الحمد لله الحمد لله نجوت الآن وهذه رمال الشاطئ وإذا بي أنهض فرحًا بالحياة، أركض لا أعرف إلى أين؟

مشهد بثوانٍ معدودة، ولحظة تذكر فيها ريكا حياته قبل تحقيق خطوة في حلمه الجديد يمر وهو ينظر إلى زجاجته وقصاصاته الورقية التي نجت معه ووضعها في مقدمة وركن خاص في المقهى لكل من مرتادي الشاطئ السياحي وأن يكتب عبارة أو نصيحة أو يرسم شيئًا كنوع من الذكرى له في المكان ولغيره ليتعلم منها وهو الآن يفتتح الكافيه الخاص به الأول الذي يطل على شاطئ لامبيدوزا بإيطاليا.

***

ذكريات من زمن فات

بقلم: مروة حسن

نكهة الذكريات..

حاجات صغيرة أوي لما بتلمسنا.. أو بمعنى أدق بتلمس روحنا.. بنحس فيها بعطر زمان ونكهتة وخفته على القلب وده اللي حصل لما مرِّت بنفس المكان بعد مرور سنين، شافت نفس الأماكن والبيوت ذات الطراز المميز القديم اللي بيخطف قلبها معاه.. وبياخد العقل لمكان تاني غير اللي هي عايشاه .. المحلات.. الأرصفة المزدحمة بالبائعين.. حتى منتجاتهم فيها من نكهة المكان وفي منها صعب تلاقيه في مكان تاني غير الشارع ده.. وكأن هذه المنتجات تتعلق بهذا المكان وتأبى تركه لمكان آخر.. ومن ترك منها وذهب فقد النكهة التي تميزه في هذا الشارع.. كانت رائحة محلات العطارة تختلط في أنفها مع رائحة البن التي تفوح من محل البن الشهير مع روائح البخور والعطور التي تتميز بعض المحلات بتركيبها.. فتمتزج جميعًا لتكوِّن ذلك الخليط الذي تميزه جيدًا مهما مرَّ عليها من سنوات.. فيدخلها

أيضًا في حالة من المشاعر المختلطة سويًّا كاختلاط تلك الروائح والعطور.. فلا تستطيع أن تصف ما تشعر به أو تطلق عليه اسمًا واحدًا وإلا فقد أبخست هذا الشعور حقه فهو يستحق من الوصف والتسمية بقدر ما أشبع روحها سعادة وامتلاء..

وواصلت السير امرأة وبداخلها طفلتها التي أيقظها ما رأته منذ بداية سيرها تركض ركضًا من فرط ما تشعر به من سعادة فلا تكاد تستقر قدماها على الأرض حتى تركض مرة ثانية.. وتود لو أفلتت من داخلها لتتناول يدها كل ما يجذب نظرها من مغريات.. فيزيد ذلك من نبض قلبها وتحتضن طفلتها بداخلها وتواصل سيرها وعلى وجهها ابتسامة لا يعلم أحد سرها.. وتحمد ربها أن ما بالداخل لا يراه سواه فيبقى السرّ بين العبد وربه ولا أحد سواهم يطّلع عليه.. فيا له من شعور بالخصوصية والأمان..

وعندما وقعت عيناها على المارة حتى وإن اختلفوا بعد مرور تلك السنوات عما رأتهم زمان إلا أنهم مُعطرون بعطر المكان وكأن كل من يمرّ في هذا الشارع في أي زمان يُصبغ بصبغة المكان فلا يسلم أحد من ونسه ودفئه وجماله فيصبح كل من يمر به ينتمي إليه بشكل ما.

وأثناء سيرها قفزت إلى ذهنها صورة جدها ...

ولا تعلم سرّ تذكرها له وهى تسير في هذا المكان؟

لعلها الأصالة التي لمست روحها في هذا المكان والصدق

والبساطة مع الجمال الذي يشع منه ذِكرها بمن أثّر في سنوات مراهقتها بأصالته وصدقه وحكمته وجماله.

إنه ذلك اليوم وقت العصاري.. كما كان يحب أن يسميه.. وفي إحدى جلساتهم التي كانت تستمتع فيها بوجودهم سويًّا بعيدًا من كل من في البيت.. فقد رافقته آخر ثلاث سنوات في حياته.. وما تعلمته من رؤيته لا يقل عما تعلمته عن كلماته.

فعندما رأته يناجي ربه بعد صلاته وإن كانت لم تسمع المناجاة، ولكن وصلها من الهالة النورانية التي كان عليها.. إن علاقته بربه هي سرّ ما هو فيه من حكمة ورضا وجمال ووصلتها منه هذه الرسالة بدون كلام.. اخترقت قلب الفتاة ذات الخامسة عشر قبل عقلها فرسخ فيها معنى الإيمان.

وفاجأها بهذا الحديث .....

الجد: هو أنا لما خلاص همشي هتنسوني؟

الفتاة (بارتباك): لأ طبعًا يا جدو..

وكأنه الرد الجاهز في مثل هذه المواقف وإن كانت غير مدركة لصدق ما تقول.

الجد (مبتسمًا بنبرة اطمئنان): لأ طبعًا هتنسوني.. أصل دي سُنة الحياة اللي بيمشي بعد شوية بننساه.. لكن أنا هطلب منك طلب.. كل ما آجي في بالك وتفتكريني ابقي ادعيلي.

الفتاة (مبتسمة وإن لم يزل كل ارتباكها بعد): حاضر يا جدو

....

....

يا ترى كان عارف إنه لسه حي جواها وهى على عهدها معاه..

أصل اللي بيمسّ الروح والقلب بيفضل حي بيرونا كل ما نفتكره ..

بيبعتلنا رسالة حب وحنين من زمن فات.. هو صحيح فات بحسابات التواريخ والأزمنة

لكن فيه نسخة منه جوَّانا مهما عدّى عليها الزمن وبعدت عننا شوية ومش بنفتكر كل ملامحها

بتيجي لحظة مرور من مكان محمَّل بعطر الذكريات يوصل عطره جوانا عشان يصحي الصورة من تاني وترجع ملامحها تبان تنور جوّانا وتنوّرنا معاها.

ويفضل نبضه حي جوّانا..

يروينا ويزهر وخيره هيوصله في مكانه كمان..

والوصل بينا يفضل في أمان....

***

التغيير

بقلم: سارة سلامة

هل تغيير الآخرين أسهل أم تغير نفسك؟

تغيير الآخرين ليس تحت سيطرتك ولا يمكنك تغيير الأشخاص الذين لا يريدون التغيير. الشيء الوحيد الذي تحت سيطرتك هو أنت. يمكنك بالفعل تغيير نفسك. وإذا واصلت باستمرار إضافة تغييرات إيجابية في شخصيتك، فإنك تنمو بالفعل كشخص. ولا يمكنك الاستمرار في وعظ الناس حتى تدرك هراءك؛ لذا، فإن الخطوة الأولى نحو أي شيء وكل شيء تبدأ منك أنت فقط. إذا لم تكن على دراية بنفسك وتريد تغيير الآخرين، فلا داعي على الإطلاق. وعندما تستمر في التعلُّم والارتقاء بنفسك كل يوم، تكتسب المعرفة والحكمة لتعرف سبب حاجتك للتغيير من أجل تغيير الآخرين.

الآن، حتى لو كنت مليئًا بالحكمة، فلا يمكنك أيضًا تغيير الآخرين إذا كانوا لا يريدون ذلك. لذا، غيّر نفسك لتفهم نفسك، ثم يومًا ما ستدرك قوة العبارة، «كن أنت التغيير الذي

تريد أن تراه في الآخرين ولكن إذا أردت تغيير، نفسك فابدأ بهذا السؤال:

لماذا تريد أن تغير من نفسك؟

الخطوة الأولى هي أن تصبح أكثر تحديدًا. أن تكون «شخصًا أفضل» أمر واسع جدًّا.

هناك طُرُق لتغيير كل شيء في شخصيتنا. يمكننا أن نصبح أكثر ثقة، وأكثر انفتاحًا، وأكثر جاذبية، وتحسين كل شيء تقريبًا عن أنفسنا، ولكن يجب أن نسأل أنفسنا أولاً:

من نريد أن نصبح؟

في نهاية الأمر كله، مَن تريد أن تكون؟

الحقيقة هي أننا نتغير كل يوم. تجربتنا تحوِّلنا إلى شخصٍ جديدٍ، وتشكِّل وِجهات نظرنا وتجعلنا نتصرف بشكل مختلف في المواقف الجديدة.

لذلك أنت تتغير سواء أعجبك ذلك أم لا. إذا كنت تريد توجيه هذا التغيير، عليك أن تعرف إلى أين تريد أن ينتهي بك الأمر.

أفضل شيءٍ تفعله هو أن تسأل نفسك: كيف تكون النسخة الأفضل من نفسك؟

ما هي الصفات التي تهمك؟

ما عليك سوى معرفة ما تبحث عنه!

حتى علماء النفس يعرفون أن شخصيتك تتغير وتعتمد بشكل كبير على موقفك الحالي. يصبح تغيير شخصيتك معركة عقلية على أي شيء آخر.

إذا كنت تريد حقًا تغيير شخصيتك، فإليك أفضل الخطوات التي يمكنك اتخاذها:

اكتشف من تريد أن تصبح.

اكتشف لماذا تريد هذه الخصائص.

ابحث عنها بقدر ما تستطعمك

اختبرها وتدرب عليها وغير موقفك منها.

استمتع بها.

الحياة بين يديك استثمر في نفسك لأنها الوحيدة التي ستدوم معك....

لا تتغير ولكن تطوّر

احتضن شخصيتك واجعلها أفضل، لأن شخصيتك هي كينونتك

بمجرد أن تشتغل على تطوير نفسك وتفهم أنها أنت،

ستتطور إلى أفضل ما لديك.

إزاي؟؟

١- حاول البقاء بمفردك ولو ١٠د .. فالوحدة أحيانًا تعلمك أشياء عن نفسك لم تعرفها من قبل.

لذلك...

اكتب...

٢- اكتب أفكارك واقرأها، فهذا سيجعل أفكارك واضحة.. ارجع إلى كتاباتك مرارًا وتكرارًا بشكل دوري.

٣- صلِّ.. لأن الصلاة توصلك إلى نفسك الداخلية، وستقوي علاقتك الروحية مع الخالق

وهذا ما أنت عليه حقًا!!! بمجرد الاتصال بنفسك، ستبدأ في حب شخصيتك.

٤- تحدّث إلى نفسك.. نعم أنت قرأتها بشكل صحيح!!!

تناقش مع نفسك بشكل راقٍ وواعٍ وإيجابي، ويجب أن تتخذ جميع القرارات الكبرى بواسطتك، ولا تترك الشخص الأكثر ولاءً لك.. وهو «أنت»

٥- ابدأ في مساعدة الناس بدون قيدٍ أو شرط دون أدنى نية لتلقي أي شيء في المقابل.. حتى لو كان شيء صغيرًا العطاء مصنع السعادة.

قبل كل شيء ابدأ في التعبير عن نفسك. سواء كانت الكتابة، أو القراءة، أو الغناء، أو الرياضة أي شيء، وابحث عن أداة للتعبير الخاصة بك ولا تخجل أبدًا من التعبير... بمجرد أن تبدأ في التعبير عن نفسك ستجد معنى لأفكارك.. بمجرد أن يكون هناك معنى لأفكارك، ستبدأ لكي تفهم نفسك.. بمجرد أن تبدأ

في التفكـير، سـتقع في حـب شـخصيتك.. بمجـرد أن تقـع في حـب نفسـك، سـوف تتطـور فقـط وسـتختفي الحاجـة إلى التغيـير..

ما كتبته هو ما أتبعه شخصيًّا... وأحاول أن أتطور مثلك

تمامًا.. أنا متأكدة من أنك ستتطور إلى أفضل ما لديك.

تمنياتي بالتوفيق لك عزيزي القارئ

❋❋❋

المحتويات

العجـــوز..................................٥

كورونا يتحدث إلينا........................١٢

عندما وجدت «أنا» ١٦

انتحار يوتيوبر.............................٢٢

غامض.....................................٣٠

نيرة ٣٧

فقد ٤١

الساحر ٤٤

منعطف....................................٤٧

المصالحة..................................٥٠

تلك الحقول................................٥٤

أجل تعلم ولكن ٥٨

كرامة ٦١

طنين ٦٥

دُميتها ٧٠

تلك الغرفة ٧٣

بداية ٧٨
عالم بلا ألـــــوان ٨١
الأواني الخزفية ٨٤
رسائل من نور ٨٧
السقوط الحـر ٩١
ندوب في الروح ٩٣
مجرد حلم ٩٦
جبل السكر ٩٨
شبع........................ ١٠٥
دموع ١٠٧
وجودها ١٠٩
ليست كالنساء ١١٢
لمَ ليس الآن؟........................ ١١٦
خداع ١١٩
غرفة الأحلام ١٢١
خمسة جنيهات........................ ١٢٧
من أنا؟ !........................ ١٣٠
ضحى والتفاحة........................ ١٣٥
أخيرًا أصبحت رشيقة. ١٣٩

عيونها الزرقاء ١٤٢
الرحيل أم البقاء ١٤٥
الطاولة الزجاجية ١٤٩
ساكنو الدور الأرضي ١٥٢
ستي «بهية»........................ ١٥٥
سوسن ذات الرداء الأسود ١٥٨
«ميرفت» ١٦٢
سر الغار ١٦٥
من العالم الموازي ١٦٨
ديجافو........................ ١٧١
الخطـــيب ١٧٤
عالم تاني........................ ١٧٩
للأبد........................ ١٨٣
اعتزال ١٩١
صدمة أمل ١٩٥
فُسيفساء الغربة........................ ٢٠٠
الرباط العنيد ٢٠٤
أنيس........................ ٢٠٩
ألا ترى!! ٢١٥

لقد افتقدتك روحي كثيرًا ٢١٧
مواقف لا تنسى ٢١٩
نورين أجدع الصديقات.............................. ٢٢٠
أجزخانة نبيل ٢٢٨
احتمال ٢٣٢
نسايم الفجر ٢٣٨
«لمسة رجاء» ٢٤٣
أمل البقاء.............................. ٢٤٨
ربكة القلب ٢٥٣
لم يعتذر ٢٥٥
للحب رقصة أخيرة ٢٥٩
ست البيت.............................. ٢٦٢
كهف الملح.............................. ٢٦٥
فرحة جميلة.............................. ٢٧١
عائلة جميلة ٢٨٠
خلقت أنثى ٢٩٤
أجندته الخاصة ٣٠٤
سألقاه غدًا.............................. ٣٠٨
غرفة ٧ .... ٣١٢

مخاوف امرأة........................... ٣١٦
ليالي الشتاء ٣١٩
ملهاش كتالوج........................... ٣٢٢
جذور الأمل ٣٢٦
الحـــــكر ٣٣١
ألوان ٣٦١
عين حورس........................... ٣٦٤
عينــــــــــــان........................... ٣٦٨
معشوقتي المحرق........................... ٣٧٢
نداء قطة ٣٧٦
أنا اسمي........................... ٣٨٥
طيارة ورق ٣٩٠
قومي يا بت........................... ٣٩٤
قلنا وقالوا وقال........................... ٣٩٨
البعث بعد الموت........................... ٤٠٠
أنا برتاح لا شفت شمسان........................... ٤٠٤
نهار ٤٠٧
لمرة واحدة ٤٠٩
حديث تائه........................... ٤١٢

إلى أن ٤٢٥
باقة الورود.. ٤٢٩
دَعك منهم.. ٤٣٣
العربة السوداء ٤٤٥
تشابه.. ٤٥١
جارتي ٤٥٤
ريكـــــا ٤٥٧
ذكريات من زمن فات ٤٦١
التغيير.. ٤٦٥